LEE CHILD

PRESENTS

JACK REACHER

IN

MAKE ME

"أكثر نهاية صادمة
على الإطلاق"

ستيفن كينغ

رواية لي تشايلد

من يستطيع قتل جاك ريتشر؟

ترجمة: خالد أمين

دار دَوّن





من يستطيع قتل جاك ريتشر؟!

لي تشايلد

من يستطيع قتل جاك ريتشر؟!

روايـــة

ترجمة

خالد أمين



Make Me

Lee Child

First published in Great Britain in 2015 by Bantam Press an imprint of Transworld Publishers



تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



قبل أن تقرأ

دعوني أخبركم بما قاله ستيفن كينج عن تلك الرواية الماثلة بين أيديكم:

«لقد صدمتني النهاية للغاية، يا إلهي يا لها من نهاية صادمة».

تلك الرواية عبارة عن رحلة من الغموض تنتهي بنهاية صادمة ستبقى عالقة بخيالكم لفترة طويلة بعد أن تنتهوا من القراءة، لي تشايلد كاتب عبقري له أسلوب رائع يجعلك عاجز عن ترك الرواية من بين يديك. وهذه الرواية مزيج رائع ما بين الغموض والحركة، كأنك تشاهد فيلمًا سينمائيًّا ممتعًا يبقيك على حافة مقعدك طيلة الوقت.

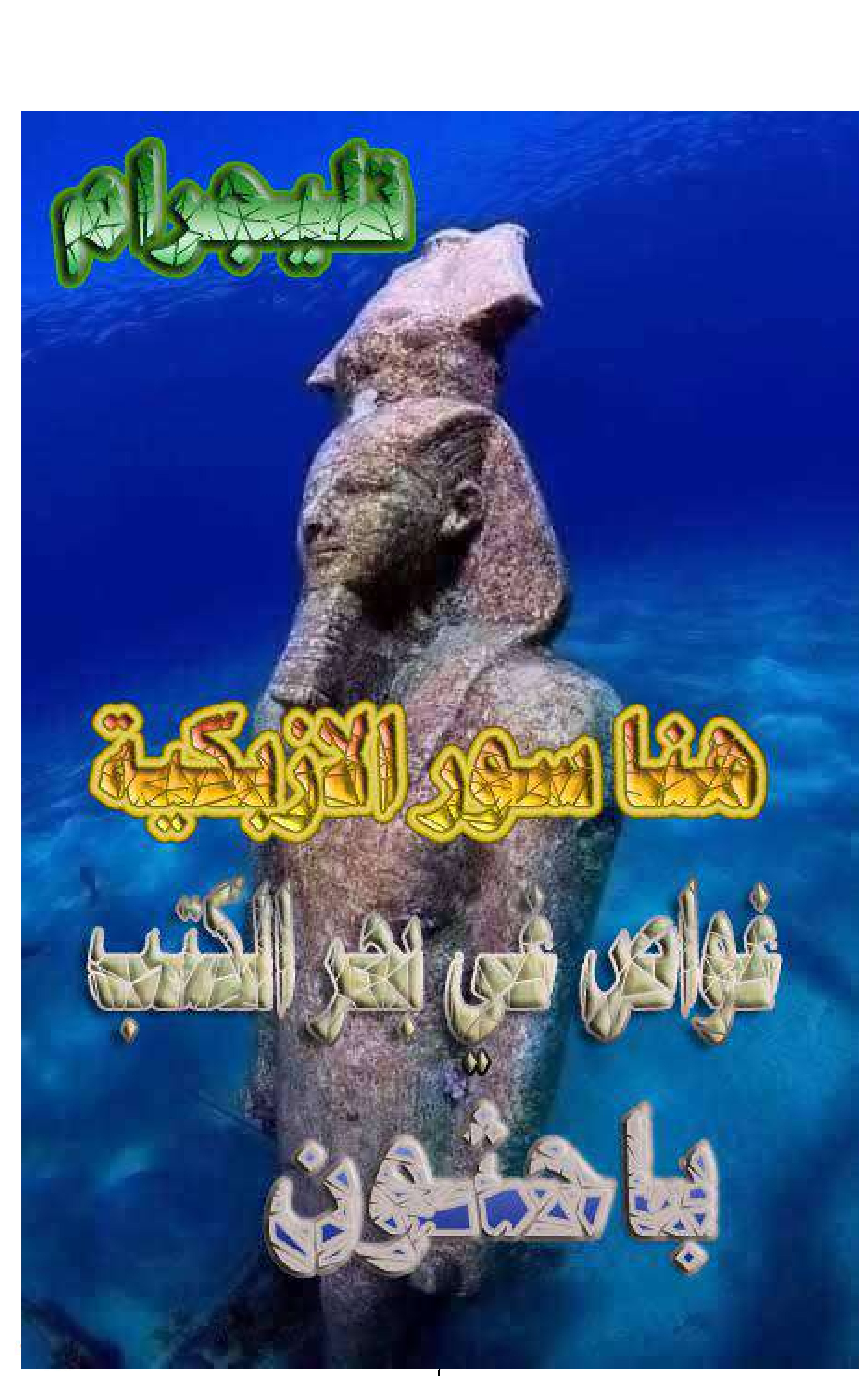
تعتبر مدرسة لي تشايلد في الأدب امتدادًا لما بدأته أغاثا كريستي، وأرثر كونان دويل من قبل، روايات شيقة مكتوبة بأسلوب معاصر جدًا وكلاسيكي في الآن ذاته، وتلك معادلة صعبة لكنه حققها. وقبل أن نبدأ الأحداث الغريبة التي ستقع في بلدة ريفية غامضة دعوني أعرفكم بشخصية بطلنا «جاك ريتشر» والذي سنعيش معه في الصفحات التالية مغامرة ممتعة ومثيرة للغاية.

جاك ريتشر، رحالة ومتنقل، بطل من نوع خاص، ضابط شرطة متقاعد، بعد تقاعده المبكر تحول لرحالة يطوف البلدان كلها، يعشق الحرية ويبحث عن تحقيق العدالة بطريقته الخاصة، قد يعتبر البعض أن «جاك



ريتشر» هو حلم الجميع بالحرية الكاملة دون أعباء، أو ديون، أو مخاوف، أو رغبة في القبول الاجتماعي، وهذا هو مصدر قوته!

المترجم



الفصل الأول

لم يكن من السهل أبدًا نقل رجل بضخامة وثقل كييفر، الحقيقة أن الأمر أشبه بمحاولة حمل مرتبة ضخمة من فوق سرير مائي؛ ولذا لم يحركوه بعيدًا وإنما دفنوه قرابة المنزل، هذا أمر منطقي بطبيعة الحال، موسم الحصاد لا يزال أمامه مدة شهر، وعندئذ أي قلق في الحقل سيمكن رؤيته من الطائرات المحلقة؛ إذ إنهم سيستخدمون الطائرات والمروحيات وربما حتى النفاثات من أجل البحث عن رجل مثل كييفر.

بدأت عملية الدفن عند منتصف الليل، وقد بدا لهم هذا التوقيت آمنًا بما فيه الكفاية، استمروا في الحفر وهم وسط العدم، لا شيء يحيط بهم إلا قضبان السكة الحديد المتجهة للشرق، حيث إنه في المعتاد لا توجد قطارات قبل خمس ساعات من منتصف الليل، والقطار الصباحي يأتي بعد بزوغ الشمس بفترة؛ ولذا فهم في أمان، لا توجد أعين متطفلة..

كان هناك أربعة كشافات ساطعة من محراثهم المستخدم في الحفر، أربعة كشافات ساطعة بالطريقة نفسها التي يضيء بها الشباب شاحناتهم الصغيرة، وخلال عتمة الليل شكلت الأضواء ما يبدو كأنه مسبح صغير من الضوء المتراقص؛ وبناءً على هذا لم تكن الرؤية عائقًا بالنسبة لهم، وقد بدؤوا في الحفر أسفل حظائر الخنازير، محدثين ضررًا



دائمًا لا يمكن تفاديه، حيث إن وزن كل حظيرة يبلغ مئتي كيلوجرام، ويصل طول كل واحدة أربعة أقدام التراب متكدس جوار الحظيرة.. وكل ذلك دون أن يتمكن أحد من رؤيتهم من السماء عن طريق أي طائرة، ولا حتى من خلال كاميرا مراقبة.. ولو حاول أحدهم أن يتجسس عليهم فالصورة ستكون ضبابية وغير واضحة وسط كل هذا الغبار.. فضلًا عن الخنازير ومخلفاتها المحيطة بهم..

الأمر آمن حتى الآن..

إن الخنازير حقًا حيوانات تعشق القذارة وتأكل الطين؛ ولذا أرادوا أن يكون قبر كييفر عميقًا بما فيه الكفاية، وقد كان هذا أمرًا سهلًا بفعل الذراع الطويلة لمحراثهم، الذي واصل الحفر بسلاسة ونعومة... وهكذا ارتجت ذراع المحراث وسط الضوء الصناعي المتراقص، بينما يزأر المحرك ويهتز، والمحراث نفسه يتحرك للأمام والخلف أثناء عملية الحفر.. وعندما انتهت مهمتهم تراجعوا بالحفار الآلي للخلف، ثم حملوا بمقدمته جسد كييفر وأسقطوه داخل الحفرة، فانقلب جسده الملقى وسط التراب بينما تغطيه الظلال، ثم بدؤوا عملية الردم..

ظل كل شيء يمر بسلاسة وعلى ما يرام.. إلى أن حدث خطأ واحد في تلك اللحظة..

إذ جاء القطار الليلي بسرعة بعدما تأخر عن موعده خمس ساعات، فقد سمعوا في صباح اليوم التالي عبر مذياع



محطة القطار أن عطلًا في أحد القطارات أدى لتعطله لقرابة المئة ميل في طريقه من الجنوب، هذا ما عرفوه في الصباح.. لكن في لحظتنا تلك.. لم يكن لديهم أي فكرة.. كل ما سمعوه هو صفارة القطار قادمة من على بعد، وبعدها كل ما استطاعوا فعله هو الالتفات والتحديق بالعملاق الحديدي القادم بعرباته المتعددة، ظلوا يحدقون بالقطار واحدًا تِلْوَ الآخر كأنه رؤية في حلم ما، حتى بدا أنهم سيظلون متسمرين ومرتكزين بأعينهم على القطار للأبد، وفي النهاية رحل القطار، وتغنت القضبان الحديدية بصوته لوهلة بعد رحيله، ثم تلاشى ضوء القطار المبتعد وسط الظلام الذي وقفوا ينظرون خلاله قبل أن يلتفتوا ويعودوا لمهمتهم..

على بعد عشرين ميلًا شمالًا بدأ القطار في الإبطاء تدريجيًّا، قبل أن يتوقف تمامًا.. ثم انفتحت أبوابه للداخل، وترجل جاك ريتشر من عربة القطار، لمست قدماه الأرض الرخامية، واستقرت أمامه رافعة حبوب (31) شديدة الضخامة بحجم منزل فندقي ذي طابقين.. على يساره استقرت أربع رافعات، كل واحدة منهن أكبر من الأخرى، وعلى يمينه ربضت سقيفة معدنية بحجم حاملة طائرات.

امتلأت الشوارع بأعمدة قديمة تحتوي على مصابيح ضوء كلاسيكية، مبددة الظلام بضوئها الأصفر، بينما انتشر القليل من الضباب وسط نسيم الليل، كأنه ملاحظة خافتة



على تقويم شهري، بأن نهاية الصيف تقترب، والخريف على وشك الحلول.

وقف ريتشر بهدوء ومن خلفه تحرك القطار مبتعدًا، ثم سار مترنحًا ومتثاقلًا يدندن لحن «راء ألف راء»(30)، حتى تزايدت سرعة القطار، بينما تتطاير أبخرة الفحم المحترق صوب ملابس ريتشر.. لقد كان الراكب الوحيد الذي خرج من القطار، ولكن ذلك لم يكن بالأمر المدهش، فهذا المكان ليس بمصدر جذب للمسافرين، فكل شيء هنا متعلق بالزراعة، وما يحتوي عليه من وسائل ترحيب بالوافدين كان فقط السقيفة المعدنية ورافعات الحبوب.

ومبنى متوسط الحجم به نافذة تذاكر ومنصات انتظار الذي كان مصممًا بالطريقة التقليدية لمحطات السكة الحديد، إذ بدا أشبه بالمباني التي تجدها في ألعاب الأطفال الخاصة بالقطارات.

وأمام ريتشر تظهر لافتة كُتب عليها سبب مجيئه للمكان: «استراحة الأم».. لم يفهم ريتشر المعنى المقصود بالضبط من اسم البلدة، فقد رآه على الخارطة واعتقد فورًا أنه اسم ملائم جدًّا وجذاب لاستراحة سكة حديد، بينما خمن أن الاسم متعلق بتراثٍ ما يخص السكة الحديد، لا بد أن شيئًا قد حدث منذ فترة طويلة وهو ما أدى لتسمية المكان بهذا الاسم، وهكذا انطلق عقل ريتشر يفكر بكل الاحتمالات.



ربما تعرضت امرأة حبلى للمخاض هنا ولم يستطع الحشد مساعدتها، أو تعطلت عربة قطار هنا لأسابيع أو ربما لأشهر، ثم تذكر أحدهم - أقارب المولود في الأغلب- المكان لاحقًا، وتحول الأمر لأسطورة متداولة في العائلة، ومتحف تراثي مكون من غرفة ليخفي سر سبب تسمية المكان بـ«استراحة الأم».

من الممكن أن يكون هناك تفسير أكثر حزنًا، ربما هنالك امرأة قد دُفنت هنا، عجوز مسنة لم تستطع إكمال رحلتها، ولكن في تلك الحالة سيكون هناك شاهدُ قبرٍ لها..

في كل الأحوال قرر ريتشر وهو يقرأ اسم المكان على الخارطة أن يزور البلد لمحاولة معرفة القصة وراء تسميتها بهذا الاسم.. لم يكن لديه مكان معين ليقصده، فهو لا ينتمي لأي مكان، وإنما يمتلك كل الوقت في العالم.. ولذا فالترجلات المفاجئة تلك لم تكلفه شيئًا، تلك طبيعته كرحالة متنقل على أية حال ولتلك الأسباب فقد ترجل من هذا القطار..

لكنه شعر بخيبة الأمل لأن توقعاته كانت مخطئة، فقد تخيل بيوتًا قديمة بجوار حظيرة خيول فريدة من نوعها، يحيط بهم متحف من غرفة واحدة، والذي ربما يقدم عروضًا بدوام جزئي خلال النهار كأنه كرنفال بلدة صغيرة، يحتوي على مومياء رجل عجوز من أحد تلك البيوت أو شاهد قبر من الرخام العتيق، خلف سياج



حديدي ملتف.. لقد تخيل البلدة كأنها أحد بلدان الغرب القديم.. ولقد كان مخطئًا..

لم يكن يتوقع تلك البنية التحتية الزراعية بينما تظهر الحبوب الغذائية في مقابل السكة الحديد، بينما تحمل كل أطنان القمح تلك على القطارات.. التفت يسارًا ونظر للبلدة ورغم أن المشهد لم يكن واضحًا وسط ظلام الليل إلا أنه شعر بحياة القوم هنا، فهناك بيوت، بالتأكيد، للعمال والمزارعين، وقد كان بإمكانه رؤية الأضواء التي تمنى لو أنها تخص نزلًا أو مطعمًا.. أو كلاهما لو كان محظوظًا.

اتجه للمخرج متجنبًا الأضواء المنبعثة من الأعمدة بحكم العادة ليس أكثر، لكنه لم يستطع تجنب آخر مصباح حيث إنه استقر بشكل مباشر فوق المخرج.. ولذا وفر على نفسه محاولة تفاديه وسار عبر الضوء المنبعث من المصباح قبل الأخير.

هنا، ومن بين الظلال، اندفعت نحوه امرأة تكاد تقفز من فرط الطاقة، تخطو نحوه بسرعة، وفي حماسة حتى بدا له أنها مسرورة لرؤيته؛ إذ كانت إشارات جسدها بالكامل تنم عن ارتياح بالغ.

ثم اختفى هذا الارتياح ليحل مكانه خيبة الأمل، لقد تسمرت في مكانها، قبل أن تقول: أوه

كانت امرأة آسيوية، ولكن - على خلاف الآسيويين- لم



تكن ضئيلة الحجم، بل طويلة القامة، ذات جسد ممتلئ لا توجد عظمة واحدة بارزة فيه، بدت كأنها على مشارف الأربعين من العمر، كذا خمن ريتشر وهو يتفحصها، شعرها أسود طويل معقوص للخلف، ترتدي سروالًا من نوع جينز وقميصًا صيفيًّا، أسفل معطف قطني، بينما خبأت قدميها داخل حذاء جلدي..

- مساء الخير يا سيدتي.

قالها ريتشر وهو ينظر إليها..

لم تكن تنظر إليه في تلك اللحظة، وإنما كانت تترقب شيئًا، وتنظر خلفه كأنها تبحث عن شخص ما..

- أنا الراكب الوحيد.

وهنا التفتت، ثم نظرت إلى عينيه..

ليستطرد: أنا الراكب الوحيد الذي ترجل من القطار لتلك المحطة؛ ولذا أعتقد أن صديقك لن يأتي.

- صديقي؟

- قالتها بلكنة أمريكية محايدة.. من نوعية اللكنات التي تسمعها بكل صوب..

- نعم، لقد خمنت أنك تنتظري صديقًا، وإلا فلِمَ ستأتين إلى هنا، لمقابلة القطار؟.. فلا يوجد مغزى من قدومك إلا أن تكوني على موعد مع أحدهم عند منتصف الليل.



لم ترد عليه، وإنما اكتفت بالصمت فحسب.

- ولكن لا تقولي لي إنك تنتظرين هنا منذ السابعة مساءً، مع تأخير القطار كل ذلك الوقت.

- لم أكن أعلم أن القطار سيتأخر، فلا توجد تغطية لشبكة الهاتف الخلوي، ولم يكن هناك أحد من العاملين بالمحطة ليخبرني بأي شيء، أعتقد أن عامل البريد المسؤول عن إخبارنا بالتأخير في إجازة مرضية، أو بأمر من هذا القبيل..

- على أية حال، من تنتظرينه لم يكن في مقطورتي، ولم يكن في العربة التالية كذلك.

- عمن تتحدث؟

- صديقك.

- لكنك لا تعرف كيف يبدو؟

- سيكون رجلًا ضخمًا، طويلًا مثلي على الأرجح، ولهذا اختلط عليك الأمر عندما رأيتني وسط الظلال.. لقد اعتقدتِ لثوانٍ فحسب.. أنه أنا.. وبما أنه لم يكن هناك ركاب ضخام البنية في عربتي، أو العربة المجاورة فبناءً عليه أؤكد لك أني لم أرَ صديقك..

ظلت صامتة، تنظر إلى ريتشر فحسب..

ثم أردف: متى موعد القطار القادم؟ السابعة صباحًا؟



- من أنت؟ ولماذا أتيت إلى هنا؟

- أنا مجرد عابر سبيل.

- القطار هو عابر السبيل، لكنك لست كذلك، فأنت ترجلت منه.. هل تعلم أي شيء عن هذا المكان؟

- لا شيء على الإطلاق.

- هل نتوقع رؤية متحف أو شاهد قبر أحد المشاهير؟ ها.. لماذا أنت هنا؟

- من الذي يسأل؟

ترددت للحظة قبل أن تجيبه: لا أحد.

هل هناك فندق أو نزل في البلدة؟

- أنا أقيم بنزل..

هل هو جيد؟

- جيد بما يكفي بالنسبة لي..

- هل به غرف شاغرة؟

- سأندهش للغاية لو كان به غرفة ممتلئة.

- حسنًا، أريني الطريق للنزل، ولا يجب أن تنتظري هنا طيلة الليل، فعندما أستيقظ مبكرًا، سوف أطرق باب غرفتك وأنا في طريقي للرحيل لأوقظك، آمل أن تجدي صديقك هنا في الصباح الباكر.



لم تقل المرأة شيئًا، وإنما نظرت للسكة الحديد مرة أخرى فقط، ثم التفتت وخرجت بينما يتبعها ريتشر من البوابة الحديدية.



الفصل الثاني

كان النزل أكبر مما توقعه ريتشر، إذ يتكون من طابقين وبه ثلاثين غرفة، مع مساحة لركن السيارات لكن لم تكن هناك سيارات عدة بساحة الانتظار، فقد كان المكان نصف ممتلئ بالكاد، بينما تلفت ريتشر متفحصًا تفاصيل بناء النزل، سلالم معدنية، وسياج طويل، مطلي باللون البني، وقد صممت الجدران على الطريقة القديمة بطوب أحمر مطلي بعناية، ورغم أنه لا يوجد شيء مميز هنا، لكنه بدا نظيفًا ومرتبًا بعناية، الأضواء كلها تعمل، كما أنه ليس أسوأ مكان رآه ريتشر بالتأكيد.

يقع مكتب الاستقبال على أول اليسار في الطابق الأرضي ومن خلفه يجلس موظف قصير القامة، متقدم في العمر، له بطن ممتلئ؛ ما بدا لريتشر أنها عين زجاجية.. وبعدما أعطى للمرأة الآسيوية مفتاح الغرفة رقم ٢١٤ في صمت، ورحلت هي دون أن تنطق بحرف أيضًا، سأله ريتشر عن سعر الغرف، فتمتم الرجل: ستون دولارًا.

- في الأسبوع أم الليلة؟!! لقد تنقلت كثيرًا.

- وما الذي يعنيه هذا؟

- يعني أني أقمت بالعديد من الفنادق، وأنني لا أرى شيئًا هنا يستحق ستين دولارًا، عشرون دولارًا هي السعر المناسب على الأرجح.



- لا أستطيع عرض هذا السعر عليك، فتلك الغرف ليست رخيصة..

عن أي غرف تتحدث؟

- الغرف بالطابق العلوي.

- سأرضى بغرفة في الطابق السفلي.

ألا تريد أن تكون بالقرب منها؟

من؟

- صديقتك.

- كلا، أنا لست بحاجة لذلك.

- أربعين دولارًا للغرفة السفلية إذن.

- بل عشرون دولارًا، إن نصف الغرف لديك خالية، إنك تبدو كأنك على وشك الإفلاس، عشرون دولارًا أفضل من لا شيء.

- ثلاثون دولارًا.

- عشرون.

- خمسة وعشرون.

- اتفقنا.

قالها ريتشر ثم أخرج حفنة النقود من حافظته، وأمسك بورقة من فئة عشرة دولارات، وورقتين بخمستين، أضاف



إليها خمس عملات نقدية، ووضعها قبالة العجوز ذي العين الواحدة الذي أخذها وأعطاه مفتاحًا خشبيًّا يحمل رقم ١٠٦.

وقال له: هناك في الركن الخلفي بالقرب من السلالم.

كانت السلالم معدنية وبالتأكيد ستحدث الكثير من الضوضاء كلما وطأتها قدم، وستغزو تلك الضوضاء غرفة ريتشر.. إنها ليست أفضل غرفة في المكان، وقد كان هذا هو انتقام الرجل الصغير، إلا أن ريتشر لم يبالِ بذلك، ففي الأغلب سيكون رأسه هو آخر رأس يرقد فوق وسادة في تلك الليلة؛ إذ إنه لا يرى احتمالية قدوم أي وافدين آخرين؛ ولذا توقع أن أحدًا لن يزعج رحلة نومه خلال الليل الصامت الطويل.

- شكرًا لك.

قالها ريتشر ورحل حاملًا مفاتيحه الخشبية..

بينما انتظر الرجل ذو العين الواحدة ثلاثين ثانية قبل أن يلتقط سماعة الهاتف ويطلب رقمًا ما، ثم قال هامسًا بعد وهلة: لقد قابلتِ الفتاة رجلًا عند محطة القطار، حدث هذا في وقت متأخر، لقد انتظرت قرابة الخمس ساعات هناك، ثم عادت إلى هنا بعد أن أحضرت معها هذا الغريب، وقد أخذ غرفة لنفسه.

كان هناك صوت حشرجة ما، ناجمة عن سؤال قادم من الطرف الآخر، وبعدما استمع العجوز للسؤال همس



قائلًا: رجل ضخم آخر، يبدو وغدًا لو أردت رأيي، لقد ظل يساومني على سعر الغرفة حتى أعطيته الغرفة رقم ١٠٦ في الركن الخلفي.

ثم يجيب العجوز سؤالًا آخر: كلا، ليس من موضعي الحالي، أنا في المكتب.

تعود الضوضاء مرة أخرى من نبرة صوت مختلفة، ولهجة آمرة، بينما لا يوجد تساؤل تلك المرة..

وإنما ينصت العجوز قبل أن يهمس وهو يبتلع ريقه قائلًا: حاضر.

ثم وضع سماعة الهاتف وهو يقف بصعوبة على قدميه، قبل أن يخرج من المكتب، ويأخذ مقعد من الغرفة ١٠٢، ثم يجره إلى نقطة بعيدة حيث يتمكن من رؤية باب الغرفة ١٠٦..

وهكذا جلس ذو العين الواحدة يراقب غرفة ريتشر.

إذ يبدو أن السؤال الذي وجه إليه كان: «هل تستطيع رؤية غرفته من موضعك؟»

والأوامر هي: «حرك مؤخرتك إذن واجلس في زاوية يتسنى لك مراقبته منها».

وإن الرجل ذا العين الواحدة دومًا يتبع الأوامر، حتى وإن كان مجبرًا أحيانًا وعلى مضض كما في حالتنا تلك وهو جالس يراقب الغرفة، بينما يعدل من زاويته ويعتدل في



جلسته فوق المقعد، وسط هدوء الليل، فرغم أنها ليست طريقته المفضلة لقضاء الوقت، إلا أنه يعلم جيدًا ما الذي يحدث لهؤلاء الذي يخالفون أوامرهم.

***

سمع ريتشر صوت المقعد وهو يتحرك خارج غرفته، ولكنه لم يبالِ كثيرًا بالأمر، وإنما ظنه صوت عشوائي ما في قلب الليل ليس أكثر، فلا يوجد شيء خطير هنا، فلا يبدو كأنه صوت بندقية أو حفيف سِكّين يشق الهواء؛ ولذا فلا شيء من شأنه أن يقلق عقل السحلية(29) الخاص به، والاحتمالات الآمنة فحسب هي المتراصة الآن أمام باب غرفته، خيل إليه أنه سمع طرقًا على الباب، ربما تلك المرأة القلقة من محطة القطار، لقد بدت إليه كأنها محملة بالأسئلة، ولديها أمل أن هناك إجابات عن أسئلتها تلك، من أنت ولماذا أتيت هنا؟ هكذا سألته بخوف..

لكن الصوت خارج الغرفة لم يكن طرقًا على الباب، وإنما صوت غريب وخافت غير ناجم عن خطوات أحدهم، وبالتأكيد ليس بصوت طرقات؛ ولذا لم يبالِ ريتشر بالأمر، بل قام بتطبيق سرواله ووضعه بحرص أسفل الفراش، ثم استحم بعدها متخلصًا من آثار اليوم الطويل، وانسل أسفل أغطية الفراش، وقام بضبط المنبه داخل رأسه ليرن عند السادسة صباحًا، ثم تمطى بعدها لمرة واحدة وتثاءب قبل أن يستغرق في النوم.



حل الغسق باللون الذهبي لأشعة الشمس؛ إذ لم يكن هناك لون أحمر غامق أو قرمزي، وإنما كانت السماء زرقاء صافية كقميص تم غسله آلاف المرات، فاستيقظ ريتشر واستحم مرة ثانية، ثم ارتدى ملابسه بعدها، وخرج من غرفته لبدء اليوم الجديد، وقعت عيناه على المقعد المقابل لغرفته لكنه لم يُلْقِ له بالًا، وإنما صعد السلالم المعدنية بخطوات خفيفة حرصًا على ألا يصدر صوتًا، وفي الطابق الثاني وجد الغرفة ٢١٤ وطرق الباب بحزم، ولكن بصوت خافت في الوقت ذاته، مثلما قد يفعل موظف خدمة الغرف في فندق فاخر، ثم قال: نداء الاستيقاظ يا سيدتي، فلا يزال أمامها أربعون دقيقة قبل موعد القطار الصباحي، عشر دقائق للاستحمام، وعشرة لارتداء ملابسها، وعشرة آخرون للذهاب للمحطة، وحينئذ ستصل مبكرة بعشر دقائق.

بعدما انتهى ريتشر من طرق الباب خرج من النزل للشارع، الذي كان واسعًا بما فيه الكفاية ليصنف كميدان، بينما خمن أن مدى اتساع الشارع مخصص لمرور شاحنات المزرعة، وهي شاحنات بطيئة وضخمة وتحتاج لمساحة هائلة كي تلف في المنعطفات، ثم تصطف أمام المحلات ومكاتب الشحن بانتظار حمولتها، بينما تظهر آثار عجلات الشاحنات بكل صوب، فكر ريتشر في كونها عملية تجارية كبيرة، فإنها منشأة صناعية في الأغلب توظف كل المحليين في تلك البلدة الأمريكية فهذا يعني أن



تلك الشركة تسيطر على البلدة بأكملها.

وهذا يفسر بشكل ما النزل الضخم، فقد تستعين الشركة بعمالة خارجية، ويأتي المزارعون ذوو الخبرة من أماكن بعيدة، ليقضوا الليلة هنا قبل رحلة القطار القادمة، ربما يأتون دفعة واحدة في توقيت معين من العام، لينهوا عملهم ويرحلوا لمدينة بعيدة، حيث يحمل لهم المستقبل أعمالًا تجارية أخرى، ربما شيكاغو، فبالطبع هذا هو سبب الفندق الكبير ذي الثلاثين غرفة، والشارع المتسع المتجه للجنوب، والمتصل بالسكة الحديد، وتلك البنية التحتية اللامعة، فالمباني السكنية كانت بالشرق، بينما الشارع العمومي في الغرب، حيث يتواجد النزل هناك أيضًا، وكذلك مطعم ومتجر كبير، وخلف تلك المنطقة التجارية، تستقر المدينة، على شاكلة بلدة ريفية تجارية تحاول أن تبدو تقليدية، بتعداد سكاني من ألف نسمة أو أقل.

اتجه ريتشر للشمال، وسار موازيًا للشارع العمومي، مقتفيًا آثار القطار، لقد قرر أن يسير متبعًا القطار حتى يصل من الشرق إلى الغرب.

وعندما وصل لم يكن هناك شيء مهم لرؤيته، لا معالم سياحية ولا متحفًا، وبالتأكيد لا يوجد شواهد قبور مشاهير هنا، امتد الممر عبر البلدة لينتهي عند طريق مسدود على جانبيه مبنيان من ستة طوابق، وبين المبنيان امتدت مساحة بدت لريتشر كأنها ملعب كرة قدم، تلك المساحة كانت مركز تجاري لأدوات الزراعة، وآلات



ضخمة، وحفارات، وأدوات عدة مختلفة، على اليسار متجر إمدادات، يستقر داخل مبنى صغير بدا كأنه مجرد مبنى سكني هادئ، انعطف ريتشر وسار للأمام بينما ضوء الشمس ينعكس على ظهره.

داخل مكتب الاستقبال بالنزل، التقط الرجل ذو العين الواحدة سماعة الهاتف، وطلب رقمًا ما، ثم انتظر حتى أتاه صوت المجيب قبل أن يقول مسرعًا: لقد ذهبت الفتاة مرة أخرى لمحطة القطار، هي تنتظر القطار الصباحي، أعني، كم رجلًا سيرسلون بالضبط؟ واحد ليلًا والآخر صباحًا؟

جاءته إجابة خالية من أي تساؤل لكنها حملت بين طياتها أوامر جديدة، ولكن نبرة الصوت تلك المرة كانت أقل حدة، وبها نوع من التشجيع، أو الطمأنة، إذ استمع الرجل قبل أن يقول: حاضر، بالطبع. وأنهى المكالمة.

في هذا الوقت كان ريتشر لا يزال يواصل جولته السياحية داخل البلدة، بينما سار عدة أمتار ذهابًا وإيابًا، ورأى الكثير من الأشياء: منازل صغيرة لا يزال أهلها يسكنونها، محلات صغيرة وعدد من البائعين، بناية لعيادة بيطرية ضخمة، ومكتب صغير من غرفة واحدة يخص المأمور، جوارها بنزينة، وقاعة رئيسية تخص مجلس البلدة بلا شك، وكذلك متجر لبيع الكحوليات والجعة، وآخر يبيع الأحذية والحقائب الجلدية فحسب، كما رأى أيضًا غسالة سيارات، ومساحة مخصصة لتغيير الإطارات.



ثم تنهد ريتشر بعدما أدرك عدم وجود متحف ولا معالم أثرية، ولكن لا بأس فربما لا تزال هناك فرصة لاستكشاف أشياء أخرى؛ ولذا واصل البحث.

سار موازيًا للشارع بعدما توقف عن تتبع آثار القطار، فالبلدة تقبع أمامه، بعض الأماكن بالبلدة أكثر جاذبية من غيرها بالنسبة له، بينما بدا له كأن حاملات الرياح تحمل نظامًا خاصًّا بها وقد فرضته على البلدة بأكملها، مبانٍ متصلة تصل لنقطة الازدحام، وهناك منطقة غير مكتملة البناء، جوارها شقق سكنية من غرف واحدة، أقرب للأستوديو، لا بد أنها بدأت كحظائر أو مخازن قبل أن يحولوها لحالتها الحالية، هناك سوق خضراوات وفاكهه كذلك، ومتجر «اتحاد الغرب لنقل الأموال»، صراف، ومحل نسخ وطباعة خاص بشركة «فيديكس»، هناك مكتب استثمارات محاسبية وضريبية، وقد بدا لريتشر أنه مهجور.

سار لمسافة أخرى، مواصلًا البحث، جوار ورشة إصلاح محركات الشاحنات، وأماكن خالية بها حشائش ناعمة وصافية حتى عاد للشارع العمومي، فقد بحث في نصف البلدة ولم يجد أي متحف أو أي شاهد أثري.

ثم رأى قطار الصباح يصل للمحطة، بينما بدا له أن القطار متعجل وغاضب بشأن الوقوف، وقد كان من المستحيل التبين من موقعه إن كان أحد الركاب قد ترجل من القطار أم لا، فهناك الكثير من المباني تعوق رؤيته.



كان يشعر بالجوع، فسار بشكل مباشر، ثم التف حول الميدان حتى مر بجوار متجر الأدوات، ودخل المطعم.

***

وفي اللحظة نفسها كان حفيد الرجل ذي العين الواحدة، ابن الاثني عشر عامًا، يدخل لهاتف عمومي، يضع القطعة المعدنية ويطلب أحدهم قبل أن يقول بحماسة: لقد تتبعته، هو يبحث في أرجاء البلدة كلها، في كل ركن، لم يترك بقعة في البلدة وإلا وذهب إليها.



الفصل الثالث

كان المطعم نظيفًا ومبهجًا، مصممًا بشكل جذاب، ولكنه في نهاية المطاف لا يزال مكان عمل مخصصًا لاستبدال السعرات الحرارية مقابل النقود، أخذ ريتشر منضدة في الركن الأيمن، ثم جلس على المقعد، موليًّا ظهره للحائط، وهكذا أصبح المطعم بأكمله في مجال رؤيته، فقد كانت نصف غرفة الطعام مكتظة بأناس بدوا له كأنهم عمال يشحنون طاقتهم استعدادًا ليوم عمل شاق، جاءته نادلة قد بدا عليها أنها مشغولة لكنها وقفت تنتظر طلبه باحترافية، فطلب ريتشر الفطار التقليدي، بيضًا، وفطائر محلاة، ولحمًا مقددًا، والأهم من ذلك هو الكثير من القهوة السوداء.. وعندما أخبرته النادلة أن المطعم يمتلك خاصية «إعادة ملء قدح قهوتك بالمجان لعدد غير محدود، بعد أن تدفع ثمن القدح الأول» استقبل ريتشر تلك الأنباء بترحاب.

وقد كان يحتسي كوب القهوة الثاني عندما دخلت المرأة التي رآها في السكة الحديدية وحدها.

ثم وقفت لثانية في تردد، غير واثقة مما يجب فعله، وبعدما تلفتت حولها ورأته توجهت إليه مباشرة وجلست جواره بالقرب من ضوء النهار، لكنها بدت في حالة جسدية أفضل من الليلة السابقة، إذ كانت عيناها السوداوان عازمتين على شيء، تعبير من الإصرار الممزوج



بالذكاء قد اعتلى وجهها، لكن هناك الكثير من القلق كذلك.

- شكرًا لك على إيقاظي.

- من دواعي سروري.

- صديقي لم يأتِ هذا الصباح.

- ولماذا تخبريني بهذا؟

- لأنك تعلم شيئًا؟

- حقًّا؟

- لماذا سترجل من القطار لو لم تكن تعلم شيئًا؟

- ربما أنا أقطن هنا.

- هذا غير صحيح.

- ربما أنا مزارع.

- أنت لست بمزارع.

- من الممكن أن أكون.

- لا أعتقد ذلك.

- لماذا؟

- لأنك لم تكن تحمل حقيبة عندما ترجلت من القطار، وهذا معاكس تمامًا لطبيعة مزارع يعرف حرفته.



- توقف ريتشر للحظة وهو ينظر إليها قبل أن يسأل: من أنت بالضبط؟

- لا يهم من أنا، المهم هو من أنت؟

- أنا مجرد عابر سبيل.

- أنا بحاجة لمعرفة المزيد.

- وأنا بحاجة لمعرفة من يسأل.

لم تجبه المرأة بينما أتت النادلة بأطباق الإفطار الخاصة به، البيض، واللحم المقدد، والفطائر المحلاة، وأعادت ملء القهوة الخاصة به، فالتقط ريتشر الشوكة والسكين، ثم وضعت المرأة المترقبة وصول القطار بطاقة عملها على المنضدة..

كان هناك ختم حكومي فوق البطاقة بمزيج من اللون الأزرق والذهبي.

«مكتب التحقيقات الفيدرالية».

العميلة الخاصة: ميشيل تشانج.

فنظر ريتشر للبطاقة قبل أن يسأل: هذا هو أنت؟

- نعم.

- من اللطيف مقابلتك.

- وأنت أيضًا.



- ولماذا أتعرض للتحقيق من مكتب التحقيقات الفيدرالية؟

- متقاعدة.

- من؟

- أنا، أنا لم أعد على صلة بمكتب التحقيقات الفيدرالي، فتلك البطاقة قديمة، أخذتها معي عندما رحلت.

- وهل هذا أمر مسموح به؟

- لا أعتقد.

- لكنك أظهرتها لي رغم هذا.

- لأحصل على انتباهك فحسب، وللمصداقية كذلك، فأنا محققة خاصة الآن، لكني لست من النوع الذي يصور الخيانات الزوجية في الفنادق.. يجب أن تعي هذا جيدًا.

- لماذا؟

- لأنني بحاجة لمعرفة سبب مجيئك إلى هنا.

- أنت تهدرين وقتك، وأيًّا كانت مشكلتك، فأنا لست طرفًا بها، ووجودي هنا مجرد صدفة.

- أنا بحاجة لمعرفة أنك هنا بخصوص عمل، فمن الممكن أن نكون في الجانب نفسه، وسنهدر الوقت لو لم نعمل سويًّا.

أنا لم آتِ هنا لأعمل، ولست على أي جانب، أنا مجرد



عابر سبيل.

- هل أنت متأكد؟

- جدًّا.

- لماذا يجب عليَّ أن أصدقك؟

- أنا لا أكترث إن صدقتيني أو لا.

- انظر للأمر من وجهه نظري.

قاطعها ريتشر: أين كنتِ قبل التحاقك بالمكتب الفيدرالي؟

- عملت ضابطة شرطة في ولاية كونيتيكت، شرطية دورية.

- هذا أمر جيد؛ لأني كنت ضابطًا بالشرطة العسكرية؛ ولذا بحكم المجاملة المهنية، عليك تصديقي، فإن وجودي هنا مجرد صدفة.

- أي نوع من الشرطة العسكرية؟

- الخاصة بالجيش.

- حدثني عن مهامك؟

- كنت أفعل أي شيء يطلبونه مني، تحقيقات تخص التزوير، والسرقة، والقتل، والخيانة، وكل الأشياء الأخرى التي قد يفعلها البشر لو تركناهم على سجيتهم.



- ما اسمك؟

- جاك ريتشر، رتبتي الأخيرة كانت رائدًا، لقد خسرت وظيفتي مثلك.

أومأت تشانج برأسها بينما بدا عليها الارتياح، ولكن ليس بشكل كامل، ثم قالت بصوت أقل توترًا: هل أنت متأكد من أنك لا تعمل هنا؟

- نعم، متأكد.

- ماذا تعمل الآن؟

- لا شيء.

- وما الذي يعنيه هذا؟

- ما يعنيه بالضبط، أنا أرتحل من مكان لآخر، أستكشف ما وراء الأشياء، اذهب حيثما شئت.

- طوال الوقت؟

- نعم، فهذا الأمر يناسبني جدًّا.

- أين تقطن؟

- لا يوجد مكان محدد، في العالم، واليوم.. هنا.

- هل أنت بلا مأوى؟

- لا مغزى من امتلاك واحد، لن أتواجد به على الإطلاق.



- وهل أتيت لبلدة «استراحة الأم» من قبل؟

- كلا.

- لماذا أتيت الآن إذن طالما أنك لا تعمل؟

- أنا أمر بالمكان فحسب، يمكنك اعتبارها نزوة؛ بسبب اسم المكان.

توقفت تشان لبرهة قبل أن تبتسم فجأة..

- أعلم بشأن التخيلات التي قد تصيب المرء بشأن هذا الاسم، بإمكاني تخيل الفيلم في عقلي، والمشهد الأخير منه هو صورة كبيرة لصليب مائل مغروس في الأرض جوار سطحين متلاصقين، ودخان قادم من مخيم قريب، خلف القطار الراحل بعيدًا للمجهول، وبعدها تعلو الشاشة كلمة النهاية.

- هل تعتقدي أن امرأة عجوزًا ماتت هنا وبناءً عليه تم تسمية البلدة بهذا الاسم؟

- هكذا افترضت.

- أمر مثير للاهتمام..

- وماذا عنك أنت؟ ما هو تفسيرك للاسم؟

- لست متأكدًا، ربما فتاة شابة توقفت هنا لتنجب صغيرها، ثم استراحت هنا لشهر ورحلت بعدها، ربما أصبح الطفل عضو مجلس شيوخ، أو شيئًا من هذا القبيل.



- نظرية مثيرة للاهتمام.

تناول ريتشر جزءًا من الفطار، وبدأ يمضغ ويلوك الطعام..

وعلى بعد ثلاثين قدمًا، قام الرجل الذي يراقبهما بالاتصال من كابينة الهاتف، وقال: لقد عادت وحيدة من محطة القطار، واتجهت لمقابلة الرجل الذي جاء البارحة، والآن هما يتبادلان حديثًا طويلًا، يخططان ويتآمران على شيء ما، ثق بكلامي هذا.



الفصل الرابع

قل المطعم ازدحامًا مما جعل ريتشر يفكر أن وقت ذروة الإفطار تبدأ مع بزوغ الفجر فيما يبدو، ثم قال لنفسه: إن الزراعة بنفس مقدار سوء الجيش، أتت النادلة وطلبت تشانج كوبًا من القهوة، وقطعة من الـ«دانيش»، ثم قال ريتشر لها بعدما انتهى من تناول إفطاره: قولي لي، كيف تقضين وقتك كمحققة خاصة؟ طالما أنك لا تتنصتين على القوم في فنادقهم، وتختلسين الصور..

- نحن نعرض قدرًا وافيًا من الخدمات المختلفة: أبحاث تخص الشركات، أمن إلكتروني، وأمن شخصي كذلك.. حماية شخصية، فالأغنياء يزدادون غنًى والفقراء يزدادون فقرًا.. وتلك أخبار جيدة لحرفة الحماية الشخصية، كما أننا نوفر حراسة المباني أيضًا، وتقديم الاستشارات، والتحقق من خلفية الموظفين، وتقييم خطورة التهديدات، ومن حين لآخر تحقيقات عامة كالاختفاء والسرقة.

- وما الذي أتى بك لـ«استراحة الأم»؟

- لدينا تحقيق فعال هنا.

بخصوص؟

- لا أستطيع القول.

- حسنًا.. ما هو حجم هذا التحقيق؟

- لدينا رجل واحد هنا، مثلما أعتقد على الأقل.. وقد تم



إرسالي هنا لدعمه.

- متى؟

- لقد أرسلت هنا بالأمس، فقد كنت أعمل في سياتل، ثم أخذت الطائرة وبعدها أجرت سيارة، رحلة طويلة للغاية.. حتى بدا لي أن الطريق يمتد إلى ما لا نهاية.

- وعندما وصلتِ لم تجدي رجلك هنا.

- نعم، لم أجده.

- هل تعتقدي أنه رحل بشكل مؤقت وسيعاود المجيء؟

- أتمنى أن يكون هذا ما حدث.

- وما الذي قد يحدث بخلاف هذا؟ نحن لسنا في الغرب المتوحش الكلاسيكي كما تعلمين.

- أعلم، فعلى الأرجح هو بخير، لقد كان يعمل خارج مدينة أوكلاهما، ومن المحتمل أنه اضطر للعودة إلى هناك للانتهاء من عمل ما، في تلك الحالة سيكون قد استقل القطار، وسيعود بالقطار أيضًا، لقد أخبرني أنه لا يمتلك سيارة.

- هل جربتِ الاتصال به؟

أومأت تشانج برأسها.

- نعم، وجدت هاتفًا أرضيًّا في متجر الأدوات العامة، لكنه لم يرد على هاتفه الخلوي.



- ربما يكون خارج نطاق الخدمة، وهذا يعني أنه ليس في أوكلاهما.

- وأين سيذهب هنا دون سيارة؟ في تلك الحقول الشاسعة..

- أنت أعلم بهذا مني.

قالها ريتشر شاردًا قبل أن يردف: تلك قضيتك أنت..

لم تجبه تشانج، بينما عادت النادلة، واختلس ريتشر جانبًا من الغذاء عندما طلب قطعة من فطيرة خوخ، والمزيد من القهوة.

ثم نظرت له النادلة مقطبة الجبين وهي تفكر أن سياسة إعادة ملء أقداح القهوة الخاصة بمديرها تتعرض للاستغلال.

قالت تشانج بعد رحيل النادلة: لقد كان على وشك إخباري بتقرير ما حدث هنا قبل أن يختفي.

- من؟ الرجل الذي ليس هنا؟

- ومن غيره..

- بماذا كان سيخبرك بالضبط؟

- الكثير..

ثم أردفت تشانج: اسمه كيفر، هو يعمل في فرعنا الخاص بمدينة أوكلاهوما، لكننا جميعًا متصلون بالشبكة



نفسها، وبإمكاني رؤية تقاريره من على الحاسوب، كان لديه عمليات مهمة، ولكن ليس هنا في تلك البلدة، على الأقل، لم يسجل هذا على حاسبه الآلي.

- وكيف حصلتِ على مأمورية إسناده ما يحدث هنا؟

- لقد اتصل بي شخصياًّ.

- اتصل بك من هنا؟

- بلى، وأعطاني الإرشادات وطرق الوصول للبلدة.

- وهل بدا الأمر لك كطلب روتيني؟

- نعم.

- فكل شيء كان يسير وَفْقًا لقواعد العمل، إلا أن ملف التحقيق الخاص بـ«استراحة الأم» لم يكن على حاسبه.

- صحيح؟

- وهذا يعني..؟

- يعني أن التحقيق لم يكن ذا شأن كبير، ربما خدمة لصديق، أو عمل ما بسيط لخدمة المجتمع، شيء تطوعي لم يرد للمدير أن يراه، ثم حدث شيء ما وكبر التحقيق بعد ذلك، ولهذا اتصل بي..

- إذن هو تحقيق صغير، تحول لشيء خطير بعد ذلك.. مثل ماذا؟

لا توجد لديَّ أدنى فكرة، لقد كان من المفترض أن



يقوم كييفر بإخباري عندما أصل هنا..

- لا توجد لديك أي فكرة؟

- لماذا يصعب عليك استيعاب هذا الجزء؟ لقد كان يعمل هنا على قضية تافهة، لكنه ولسبب ما قرر أن يعمل عليها بسرية، وقد كان سيخبرني بشأنها عندما أصل لكنه اختفى.

- أخبريني عن نبرة صوته عندما حدثك على الهاتف..

- كان مسترخيًا، ولكن بإمكاني الشعور بأنه لم يحب تلك البلدة كثيرًا.

- هل قال لك هذا؟

- كلا، لكن هذا كان انطباعي عن الأمر، فعندما كان يشرح لي كيفية الوصول للبلدة، بدت نبرة صوته كمن يعتذر عن شيء ما، كأنه يدعوني لمكان شرير ومظلم.

لم يقل ريتشر شيئًا.

فأكملت تشانج: أعتقد أن رجلًا بخلفيتك العسكرية لن يبالي إلا بالأرقام والمعلومات التي تساعد على التحليل المنطقي.

- كلا، كنت سأخبرك أني أتفق مع كييفر، فقد أخبرني حَدْسِي أن هناك شيئًا خاطئًا في بعض المتاجر والأماكن هنا، كمتجر الأحذية الجلدية على سبيل المثال، كما أن هناك صبيًّا صغيرًا غريب الأطوار يتتبعني أينما



ذهبت هذا الصباح، صبي في العاشرة أو الثانية عشرة من العمر، وقد افترضت أنه يعاني من التأخر العقلي، وربما أنه منبهر بوجود غريب في بلدته، لقد بدا أنه شديد الخجل؛ إذ كان يختبئ وراء الحائط كلما التفت نحوه.

- لا أعلم إن كان هذا أمر مريب أم حزين.

- إذن، أنت لا تمتلكين أي معلومات على الإطلاق بخصوص ما يحدث هنا.

- أنا أنتظر ظهور كييفر ليخبرني..

- وهذا ما يفسر ذهابك المستمر للمحطة؟

- نعم، مرتين في اليوم.

- كم سيأخذ الأمر من وقت كي تفقدي الأمل.

- هذا تساؤل خالٍ من المشاعر..

- كنت أمزح ليس أكثر، كما تعلمين لقد تعرض كلانا لمثل تلك الأمور في وظائفنا السابقة، رسالة لم تصل بسبب انهيار قنوات الاتصال، عدم وجود تغطية شبكة، الناس لا يستطيعون التكيف مع انعدام وسائل الاتصال.

- سأنتظر خمسًا وعشرين ساعة.

- سأكون قد رحلت أثناء تلك المدة.

قال لها ريتشر قبل أن يردف: أعتقد أني سأستقل القطار الليلي.



ترك ريتشر تشانج في المطعم ورحل، عائدًا للطريق القديم، وهو يستعد لإكمال رحلة بحثه في النصف الآخر من البلدة، لم يرَ الصبي غريب الأطوار مرة أخرى، انعطف يسارًا بجوار المبنى البيطري وأعاد تفحص هذا الجزء من الشارع، دون أن يجد أي شيء مثيرًا للاهتمام، واصل مسيرته، مئة ياردة، مئتي ياردة، ظل يتتبع خط القطار المار عبر البلدة بإصرار، لو كانت تشانج محقة في نظريتها، وسبب تسمية البلدة هو موت سيدة عجوز هنا، فإن شاهد قبرها لن يكون -بالضرورة- واضحًا من على تلك المسافة، ربما يكون قبر قديم مبني بشكل عادي، وليس بشكل لافت للأنظار، مجرد قطعة رخام بطول قدم ونصف، وسط الحشائش، لونها باهت.. لكنه لم يرَ قطعة رخام ولا شواهد قبور، لا يوجد سياج يحيط بفناء الدفن، لا شيء من هذا القبيل.

ولا متحف، أو لافتة تخبرك عن حدث أثري ما وقع بالبلدة.

التفت وعاد ليكمل البحث ذاهبًا للجزء الجنوبي من البلدة تلك المرة، ظل يبحث، شارعًا تلو الآخر، الجزء الجنوبي كان شبه مطابق للجزء الشمالي الذي رآه ريتشر بالفعل، فقط المزيد من الغرف السكنية، لا شواهد تاريخية ولا متاحفَ، ليس حيثما أشار المنطق لوجودها، بلدة «استراحة الأم» لم تكن دومًا شوارع متداخلة، لقد تحولت لهذا بعد وصول السكة الحديد (28).



أي كان سبب التسمية، شاهد قبرٍ أو أسطورة ما، فالبلدة قد نمت واحتوت تلك الحكاية، وهو لا يستطيع إيجاد السبب، لا يستطيع إيجاد الشاهد الأثري أو المتحف، ليس حيثما يجب أن يكونا. لا يوجد شيء هناك، رحل من موضعه الحالي، وأكمل مسيرة البحث بطريقته السابقة نفسها، فتفقد شارعًا تِلْوَ الآخر.. رأى بعض الأشياء وبدأ يفهم البلدة أكثر فأكثر، كأنما الأخيرة تشرح نفسها له، هناك الكثيرة من أعمال التجارة، مستهلكون وعمال، مجرد بلدة مثل أي بلدة أخرى.

الشمس كانت دافئة، ولكن لم يكن هناك حرارة، إنها نهاية الصيف؛ ولذا فالجو لم يعقه من إكمال تجواله، وعندما انتهى أخيرًا ووجد نفسه يعيد تفحص المناطق نفسها التي زارها من قبل أدرك أن رحلة البحث قد انتهت، لم يكن هناك شاهد أثري، ولا متحف، ولا صبي غريب الأطوار.

وإنما رجل يقف وينظر له بطريقة غريبة فحسب..



الفصل الخامس

حدث الأمر على بعد شارعين من السكة الحديدية، على مشارف شارع موازٍ للحي الغربي، حيث تراصّت خمس بنايات مكتملة البناء على جانبي الطريق، كما كان هناك نقابة عاملين بجوار المصرف، إضافة إلى متاجر صغيرة، وورش أيضًا، كلها منشآت صغيرة وفردية، بجانبها حداد، وميكانيكي، وحلاق، ثم نظر ريتشر لرجل مسؤول عن قطع الغيار، لديه متجر صغير، وكان يجلس كأنه مثبت بمسامير خلف المكتب، لم يكن رجل ضئيل الحجم، كان يطل برأسه للخارج ولمح ريتشر رجفة في عينيه عند مروره، ثم مد يده للأمام والخلف والتقط شيئًا خلف كتفه لم يستطع ريتشر تبينه، فواصل السير والجزء الأمامي من عقله لم يُلْقِ بالًا لما حدث للتوِّ، ولكن الجزء الخلفي سأل بإلحاح: لماذا توتر هذا الرجل؟

سهلة، لقد رأى وجهًا جديدًا، وجهًا غريبًا.. لم يتعرف الوجه ليس أكثر.

وما الذي كان يحاول التقاطه؟ سلاح؟

في الأغلب لا، عابر سبيل عشوائي ليس بالضرورة أن يكون شخصًا يمثل خطرًا عاجلًا، ولا أحد يحتفظ بمضرب بيسبول أو مسدس من عيار٤٥ خلفه على الحائط، ليس على مرأى من الجميع على أية حال.

ربما يحتفظ بالسلاح أسفل المكتب، دعك من حقيقة



أن تجارة قطع الغيار ليست بالأمر الخطير، فالمضارب والطبنجات مناسبة أكثر للبارات، ومحلات الخمور، وربما الصيدليات.

إذن ما الذي كان يحاول الرجل التقاطه؟

الهاتف؟.. في الأغلب..

هاتف تقليدي معلق بالحائط، على ارتفاع يصل لمتناول أغلب الناس، ليطلبوا بسهولة، التقطه الرجل بالعكس لأنه كان متصلبًا بشكل كافٍ لإعاقته من الالتفات، متصلبًا من رؤية ريتشر، لماذا كان يحاول إجراء مكالمة هاتف؟ هل رؤية غريب في البلدة أمر غير اعتيادي لتلك الدرجة؟ أم أنه تذكر شيئًا فجأة، مكالمة مبيعات عاجلة، أو ربما كان عليه إرسال طرد عاجل.

ربما قيل له أن يتصل فورًا عند رؤيتهم؟.. من؟.. الغرباء..

من الذي أخبره بتلك التعليمات؟

ربما الصبي غريب الأطوار أيضًا، كان محاولةً ما لمراقبة ريتشر، هناك خط رفيع بين الخجل وعدم الكفاءة..

توقف ريتشر في منتصف البلازا متلفتًا حول نفسه، لا أحد هناك.

في تلك اللحظة قرر ريتشر أن تناول كوب من القهوة لفكرة جيدة؛ ولذا عاد مرة أخرى للمطعم، تشانج لا تزال



هناك، جالسة بالمنضدة نفسها، ولكنها غيرت مقعدها، الآن ظهرها مولي للحائط والمطعم يقف أمام ناظريها..

ذهب ريتشر وجلس على المنضدة المجاورة لها.. جنبًا إلى جنب، ظهره مقابل للحائط، وغرفة الطعام أمامه.. كان يعلم أنه يفعل هذا بحكم العادة ليس أكثر.

- صباح لطيف؟

سألها:

- أشعر كأنه يوم أحد من سنة تخرجي بالكلية، لا هواتف خلوية، ولا يوجد شيء لفعله.

أليس من المفترض أن يثبت رجلك حضوره مع المكتب على الأقل؟

كادت تجيبه لكنها توقفت، تلفتت حولها، في كل أرجاء الغرفة، متفحصة القوم الجالسين، كأنها تحصي عدد الشهود المحتملين للاعتراف المحرج الذي ستقوم به، ثم ابتسمت بمزيج معقد من الندم والتآمر والإحراج..

- ربما أكون قد بالغت قليلًا في وصف مكتبنا.

- بمعنى؟

- مكتبنا في أوكلاهوما هو غرفة النوم الإضافية في شقة كييفر، كما أن مكتبنا في سياتل هو غرفتي أنا الإضافية، موقعنا الإلكتروني سيقول لك: إننا نمتلك فروعًا في كل مكان، وهذا حقيقي بشكل ما، ففي كل مكان ستجد



عميلًا فيدراليًا سابقًا لا يجد شيئًا ليفعله، وسيتصادف أنه يمتلك غرفة نوم إضافية وفواتيرَ ليدفعها، نحن لسنا منظمة كبرى، بمعنى آخر لا نمتلك أقسامًا لخدمة عملاء أو موارد بشرية، لا يوجد لدينا موظفون ليثبت كيبفر حضوره إليهم.

- لكن لديه مهام كبيرة.

هزت تشانج رأسها.

- نحن الأساس ونحن من نقوم بالعمل الصائب، لكننا تجارة صغيرة، النشاط والمبادرة مع موقع إلكتروني هو طريقتنا للتقدم، لن يعلم أحد حينئذ ما يدور حقًّا داخل مكتبك.

- أي نوع من المهام التافهة سيقبلها كيبفر؟

- لقد كنت أفكر في هذا الشأن، لا شيء متعلق بشركات، لا توجد قضية صغيرة عندما يتعلق الأمر بالشركات، يبدو الأمر أحيانًا كأنهم مرخصون لطباعة الأموال، الشركات، العمل معهم كأنك تعطي نفسك وسامًا ذهبيًّا، وكل مهام الشركات يتم تسجيلها في تقارير الحاسوب، أعتقد أن كيبفر يقوم بمهمة لعميل خاص، فرد يدفع نقدًا، أو شيكًا موقعًا بخط اليد، لا شيء مثيرًا للشبهات بالضرورة، ولكن في الأغلب مهمة مملة، أو مهمة عبثية لا طائل منها.

- ولكن رغم هذا، فكيبفر بحاجة لدعم.



كما قلت لك، لقد بدأ الأمر صغيرًا ثم خرج عن السيطرة.

أو ربما الجزء العبثي الخاص بالمهمة، تحول لجزء عبثي خارج عن السيطرة.

أتت النادلة، وطلب ريتشر ثاني قدح قهوة سيدفع ثمنه اليوم، والأول لدفعة جديدة من أكواب القهوة المجانية، دفع مقدمًا وترك أربعة أضعاف الحساب بقشيشًا، لطالما أحب القهوة والنادلات.

سألته تشانج: كيف كان صباحك؟

- لم أستطع إيجاد قبر الأم إياها، أو أي معلومات بشأن الطفل.

- هل تعتقد أن أيًّا منهم لا يزال موجودًا في الأنحاء؟

- بالطبع، هناك مساحات عدة ليتواجدوا بها، لكنهم لن يبنوا فوق قبر أحدهم في نهاية المطاف، هناك دائمًا مكان للأماكن التاريخية، الكثير من الطلب عليها.. ثم أضافت تشانج بسخرية: لا أعلم من المختص بتلك الأمور، ربما وزارة الداخلية.. هل تحدثت مع سكان البلدة؟

- تلك هي خطوتي التالية.

- عليك أن تبدأ بالنادلة.

- واجبها الاحترافي سيحتم عليها بأن تعطيني الإجابة



الدبلوماسية الخاصة بالعمل، حتى يتم الترويج للأمر ويكتظ المطعم بالسياح.

- لا أعتقد أن تلك الخطة تأتي بثمارها في اللحظة الحالية.

- هل تعتقدين أن هناك آخرين سألوا فيما سبق؟

- ربما، خمسة من كل عشرة زبائن، ومدة زيارتهم للمكان استغرقت حوالى أحد عشر عامًا على أية حال لتلك البلدة.

كانت النادلة تقترب منهم إبان هذا الحديث لتبدأ بإعادة ملء القهوة، وهنا سألتها تشانج: ما سبب تسمية تلك البلدة بـ«استراحة الأم»؟

تراجعت النادلة للخلف، بينما تدلت إحدى ساقيها أثناء وقفتها، فقد بدت كامرأة مرهقة، وهي تحمل القهوة والمريول حول خصرها، شعرها منسدل، ووجهها مائل للحمرة، بدت لريتشر كأنها في الخامسة والثلاثين أو الخمسين من العمر، ربما هي امرأة نحيفة مجهدة من العمل، أو شخص اعتاد أن يكون ممتلئًا فقد وزنه بسبب العمر وإجهاد العمل، كان من المستحيل تحديد عمرها الحقيقي، على أية حال، بدا له أنها سعيدة لأخذ دقيقة من الراحة لتجيب سؤالهم، دعك من حقيقة أن ريتشر قد أصبح صديقها المفضل للأبد بعد الإكرامية التي أعطاها إياها، ولأن السؤال لم يكن مملًا أو هجوميًّا بالنسبة لها.

- لا أعلم، أحيانًا أحب أن أعتقد أن ابنًا وفيًّا من مدينة



بعيدة شيد لأمه منزلًا ريفيًّا صغيرًا لتحيا به أيامها الأخيرة، مقابل كل الأشياء الجميلة التي فعلتها هي من أجله، وبعض المتاجر تلبي احتياجاتها، ومنازل أخرى كي لا تشعر بالوحدة.. وبعد ذلك تحول كل هذا لبلدة «استراحة الأم»».

- هل تلك هي الحكاية الأصلية هنا؟

- لا أعلم يا عزيزي، أنا من ميسيسبي، لا أفهم كيف انتهى بي المطاف هنا، لو أردت معرفة السبب وراء اسم البلدة عليك بسؤال بعض المحليين.. اسأل رجل الصرافة، أعتقد أنه نشأ في تلك الولاية على الأقل.

ثم استدارت ورحلت بالطريقة التي ترحل بها النادلات.

- هل كانت تلك الإجابة الدبلوماسية؟

سألته تشانج..

أومأ ريتشر برأسه وأجاب: ولكن بنكهة إبداعية بدل من نكهة تسويقية، عليها كتابة سيناريو أفلام، تلك المرأة..

- هل سنسأل رجل الصرافة؟

نظر ريتشر للرجل الجالس خلف آلة تغيير الأموال، بدا له مشغولًا بالكثير من المهام..

- في البدء سأحاول أن أجد بعض الناس الحقيقيين، الذين سيعطونني إجابات بلا دبلوماسية، وبعدها سأجد مكانًا ما لأخلد للقيلولة، أو ربما أحلق شعري، سأراك



قرابة السابعة عند السكة الحديدية، ستجدين رجلك كييفر يترجل من القطار، في الآونة نفسها التي سأرحل خلالها أنا.

- حتى لو لم تعرف السبب وراء تسمية البلدة؟

- الأمر ليس بتلك الأهمية، لا شيء يستحق البقاء من أجله هنا، سأصدق تفسيري الخاص، أو تفسيرك، حسب مزاجي حينئذ.

لم ترد تشانج، أفرغ ريتشر محتوى كوب القهوة، وانزلق بعيدًا عن المنضدة، متجهًا للخارج، الشمس لا تزال دافئة بالخارج، التالي على قائمته، أناس حقيقيون قادرون على إعطائه قصة تلك البلدة، سيبدأ بالعامل في محل قطع الغيار.



الفصل السادس

كان العامل منكبًا خلف ماكينة الصرف عندما دخل ريتشر للمكان، فالمحل ضيق وصغير، بينما يقارب الرجل ريتشر في الطول والوزن، داكن البشرة، ويرتدي قميصًا شديد الاتساع، بحجم خيمة سيرك، وحزامًا متدليًا تحت بطن ممتلئ كالطبلة، وجهه شاحب، وشعره داكن بلا لون مميز.

هناك هاتف معلق على الحائط خلف كتف الرجل، لم يكن ذلك الهاتف التقليدي ذا دائرة الأرقام، بل كان هاتفًا حديثًا ومعاصرًا، بأرقام اتصال سريع على أية حال.

- هل أستطيع مساعدتك؟

- هل التقينا من قبل؟

- كلا لم نلتقِ من قبل، أنا أمتلك ذاكرة جيدة، كنت لأتذكر.

- لكنك رغمًا عن هذا أجفلت ونظرت لي مدققًا عندما مررت بجوارك من قبل، كدت تصدم رأسك بالحائط لو أردت رأيي عند رؤيتي.

- لقد تعرفت عليك من الصور القديمة.

- أي صور قديمة؟

- جامعة بنسلفانيا، عام ١٩٨٦.



أنا لم أكن ذكيًّا كفاية لألتحق بجامعة بنسلفانيا.

- أنت كنت في برنامج كرة القدم هناك، الجميع كانوا يتحدثون عنك، كل الصحف الرياضية، لقد كنت أتابع الرياضة دومًا بإخلاص، لا زلت في الواقع، لا تؤاخذني لكنك تبدو أكبر سنًّا الآن.

- هل أجريت مكالمة عبر الهاتف؟

- متى؟

- عندما رأيتني أمر بالجوار.

- لماذا أفعل شيئًا كهذا؟

- لقد رأيت يدك تتحرك صوب الهاتف.

- ربما كان يرن، هو يرن طيلة الوقت، أحدهم يريد هذا وأحدهم يريد ذاك.

أومأ ريتشر برأسه.

هل كان سيتسنى له سماع رنين الهاتف؟ كلا في الأغلب، الباب كان مواربًا، وكان الهاتف إلكترونيًّا يمتلك صوتًا خفيضًا، وربما رن بسرعة، لعل العامل خفض الصوت لأن الهاتف يرن طيلة اليوم جوار أذنه فأصبح الأمر مزعجًا له.

تابع ريتشر.

- ما هي نظريتك عن اسم تلك البلدة؟



- ماذا؟

- لماذا يدعون تلك البلدة بـ«استراحة الأم»؟

- سيدي، أنا لا أمتلك أي فكرة، هناك أسماء عجيبة في كل مكان ليس هنا فحسب.

- أنا لا أوجه اتهامات، أنا مهتم فحسب بتاريخ القصة وراء الاسم.

- لم أسمع أي قصة عن اسم البلدة.

- حسنًا، يومك سعيد.

- وأنت أيضًا يا سيدي، وتهنئتي لتعافيك من الإدمان لو لم تمانع قولي هذا.

خرج ريتشر من المحل ووقف قبالة الشمس لدقيقة..

قام بعدها بزيارة اثني عشر محلًا وبائعًا، ليحصل على إجمالي ثلاثة عشر رأيًا، أربعة عشر لو حسبنا النادلة، بخصوص اسم البلدة، ثمانية من تلك الآراء لم تكن آراء على الإطلاق، مجرد هزة كتف ونظرة خالية من التعبير، وردود دفاعية من طراز: هناك بلدان عدة بأسماء غريبة، لماذا تلك البلدة بالخصوص؟ في دولة بها بلدان باسم سانتا كلوز، ولا اسم ولم لا، وقطعة الحلوى بالجبن، وحاجب القرد، والشفايف حلوة المذاق! لماذا نهتم بـ«استراحة الأم» ونترك تلك البلدان؟

ستة آراء أخرى كانوا أشبه بمخيلة النادلة، ومخيلة ريتشر



نفسه، لم يكن هناك أدلة واضحة، لا حقائق، ولم يعلم أحد بمكان متحف، أو شاهد أثري كذلك، ولا حتى حكاية شعبية قديمة، عاد ريتشر للشارع وهو يفكر: قيلولة أم الذهاب للحلاق؟

بعد رحيل ريتشر التقط بائع قطع الغيار الهاتف، وأجرى المكالمة بحرص، همس لهم أنه عالج الأمر بأمان، خدعة كرة القدم التقليدية، لقد استخدمها عدة مرات من قبل، حيث يتحدث عن فريق مشهور من سنة ما، وأغلب الرجال سيشعرون بالإطراء للتشبيه دون أن ينتابهم شك، بعد مرور ساعة قام ثلاثة أو أربعة بائعين آخرون بإجراء عدة مكالمات تقريرية من النوع نفسه، موظف الفندق ذو العين الواحدة تلقى كل تلك المكالمات، واتصل بعدها برقم خارجي ليقول: الرجل الضخم يتجول بكل مكان بالبلدة، يطرح الأسئلة دون توقف.

أتاه رد هادئ وبلاستيكي من الطرف الآخر، رد مطمئن، استمع قبل أن يقول: بالتأكيد.

لكنه لم يبدُ متأكدًا، أنهى المكالمة في صمت.

***

كان محل الحلاق ببساطة عبارة عن مقعدين متجاورين، والحلاق يعمل في أحدهما، وهو رجل عجوز، لكنه متماسك، حصل ريتشر على حلاقة كاملة لوجهه قبل أن يقص شعره بالطريقة التقليدية، مقصات شعر فحسب



دون استخدام أي أدوات أخرى كالموس أو المقص الكهربائي، شعر قصير في الخلف وعلى الجانبين، وأكثر غزارة بشكل طفيف في المنتصف، فقد كان الحلاق جيدًا، وتفحص ريتشر نفسه في المرآة، ليجد أنه لا يزال نظيفًا ومهندمًا، الحساب كان أحد عشر دولارًا، وقد بدت الفاتورة منطقية لريتشر.

عاد بعدها للميدان الواسع، وخارج الفندق رأى المقعد المخصص للمارة الذي التقطته عيناه من قبل، بلاستيكيًّا وأبيضَ، حمل ريتشر المقعد ووضعه بجوار الحشائش الخضراء، خلف السياج، هو مكان لطيف ولن يعيق طريق أحد، ثم استدار حتى واجه أشعة الشمس قبل أن يجلس على المقعد، تراجع بظهره للخلف وأغلق عينيه، وهو يستنشق الأشعة الدافئة، وبعد وهلة خلد للنوم في العراء الخارجي فوق هذا المقعد، وكانت تلك ثاني أفضل طريقة يعرفها ريتشر للنوم.



الفصل السابع

عندما حل المساء ذهب ريتشر لمحطة القطارات، لكنه وصل قبل موعد القطار بساعة، فلا تزال السادسة مساءً، وقد وصل مبكرًا لأن الشمس كانت تغرب وقد ساعد هذا في استيقاظه كما أنه يحب الوصول مبكرًا على أية حال، كان يفضل امتلاك الوقت لملاحظة الأشياء قبل الصعود على متن القطار.

مبنى الحصاد لا يزال مغلقًا والسكك الحديدية صامتة، الضوء الصناعي ساطع، السماء تصطبغ باللون بالأحمر الذهبي، والظلام يخيم على الباقي، مبنى السكة الحديد الصغير مفتوح، ولكنه خالٍ، دلف ريتشر إليه، البنية الداخلية مكونة من الخشب، وقد تم طلاؤها عدة مرات، لها رائحة خشب المباني المعتاد بعد يوم حار وطويل.

شباك التذاكر كان صغيرًا وبه دائرة مستديرة في الزجاج للتحدث من خلالها، ولكن خلف الزجاج تم إسدال الستار البني وقد اعتلته كلمة «مغلق».

هناك استراحة في آخر الممر، وجريدة أخبار تعود لستة أيام سابقة، هناك أضواء معلقة من السقف، بلا قابس نور، بالقرب من الباب حيث وجب تواجد مكان القابس استقر فراغ عليه عبارة: اطلب تذكرة من أجل النور.

جلس ريتشر في الظلام وأطل برأسه من النافذة، لا بد أن تشانج بالخارج في مكان ما، في الظلال، كما فعلت من



قبل، بإمكانه الذهاب والبحث عنها وإيجادها، لكن لماذا؟ هو لم يكن ينتوي إجراء محادثة طويله معها، خمس دقائق من الحديث العابر لن تحدث فارقًا، لقد سافر، انتقل من مكان لآخر، البشر يأتون ويرحلون، لقد اعتاد هذا الأمر، تلويحة مهذبة بيده ستفي بالغرض كطريقة وداعٍ، سيركب القطار بينما هي تنهمك في الحديث مع كييفر على أية حال، لتعرف أين كان؟ هذا لو كان كييفر على متن القطار من الأساس، جلس ريتشر منتظرًا.

وقبل أن يصل القطار بدقيقة واحدة سمع الأحجار على القضبان تهتز وتهمس، ثم بدأت القضبأن نفسها في الغناء، بنغمة هادئة متصاعدة، شعر بالضغط في الهواء، ورأى نور القطار البعيد، الضوضاء أتت بعد هذا، ثم وصل القطار، متحمسًا ومتوحشًا وبطيئًا في نهاية الأمر، ثم انفتحت الأبواب..

رأى ريتشر تشانج على يساره تخرج من الظلال كرد فعل لوصول القطار، بينما ترجل رجل من القطار نفسه، على يمينه رأى ريتشر بائع محل قطع الغيار، خرج من الظلال بدوره، وتقدم خطوة للأمام قبل أن يقف مكانه، القادم من القطار وقف في محيط الضوء، لم يكن رجلًا ضخمًا، بالتأكيد ليس كييفر، هذا رجل متوسط الطول والوزن، ربما في الخمسين من عمره، شعره أسود داكن، مصبوغ في الأغلب، يرتدي حلة بلا ربطة عنق، ويحمل حقيبة في يده، لم يخرج آخرون من القطار، بينما الأبواب



لا تزال مفتوحة.

راقب ريتشر رجل قطع الغيار على يمينه، يتقدم خطوة للأمام، ولمحه القادم من القطار، تفوه البائع باسم ما، ومد يده بطريقة مهذبة تشع احترامًا، مرحبًا بالرجل، شد القادم من القطار على يده، الأبواب لا تزال مفتوحة، ولكن ريتشر لم يتحرك، ظل قابعًا حيثما هو، في الظلام..

حمل رجل قطع الغيار الحقيبة الجلدية الخاصة بالرجل الآخر، وسار الاثنان صوب بوابة الخروج، انغلقت أبواب القطار، وتحرك الأخير مبتعدًا ببطء، عربة تلو الأخرى..

اختفى بائع قطع الغيار مع الرجل الآخر عن ناظري ريتشر.. تحرك الأخير وشاهد الضوء المبتعد، سمع صوت تشانج من خلفه.

- إنهما يتجهان للنزل.

- من هما؟

- الرجل القادم من القطار وصديقه الجديد.

تقدمت تشانج ووقفت في الضوء.

وأردفت: أنت لم ترحل.

- كلا لم أرحل.

- اعتقدت أنك ستذهب.

- وأنا كذلك.



- أعتقد أني إنسانة لطيفة، لكني أعلم أني لست بسبب بقائك هنا.

لم يرد ريتشر.. بينما تابعت تشانج.

- لقد قلت الأمر بالشكل الخاطئ، آسفة، لا أعني هذا النوع من الأسباب، هذا حكم مسبق وتعنت مني، أعني، ربما يجب أن يكون هذا النوع من الأسباب، آه انظر إليَّ، أنا أجعل الأمر أسوأ، ما قصدت قوله هو أنك لم تبقَ هنا لكي تساعدني فحسب أليس كذلك؟

- هل رأيتِ الرجلين يتصافحان؟

- بلى.

- لهذا بقيت.



الفصل الثامن

قاد ريتشر تشانج إلى غرفة الانتظار الساكنة بالمحطة، وجلسا على محفة الانتظار، متجاورين في الظلام، حتى قال لها: هل تعرفتِ على طريقة تصافحهما؟

- ما الذي تعنيه؟

- الحكاية وراء المصافحة، القصة، لغة الجسد.

- لقد بدا لي كأنه موظف صغير تم إرساله ليقابل عميلًا مهمًّا.

- هل تقابل الاثنان من قبل؟

- لا أعتقد.

- أوافقك الرأي، وقد تم الأمر باحترافية من الرجل المحلي أليس كلك؟ أداء ثابت، مصافحة مهذبة وآلية تختلف عن مصافحته لصديقه في المحل، أو حماه، أو حتى صديق طفولته من المدرسة الذي لم يره من أعوام.

- حسنًا.

- صديقنا من محل قطع الغيار يمتلك طرقًا مختلفة للمصافحة، وهو يجيد استخدامها جميعًا.

- وكيف يفيدنا هذا؟

- لقد رأيت هذا الرجل صباحًا، هو يدير محل قطع غيار، لقد مررت جوار النافذة، وكاد يقفز صوب الهاتف عندما



رآني.

- لماذا؟

- أنت أخبريني.

- ما هي درجة جنون الارتياب التي تريدني أن أتحول إليها.

- ما بين المنطق وقليل من اللامنطق.

- لم أكن لأرتاب في تلك الحكاية، لو كان كييفر خارج الصورة.

ولكن.

أنت تشبه كييفر، بشكل عام، ربما كييفر كان يتفقد البلد، وتم إخبار البعض بأن يراقبوه، وبما أنك تشبهه..

لقد تساءلت بهذا الشأن أيضًا، لم يبدُ لي كاحتمالية قوية، لكن الأشياء غير المحتملة تحدث في نهاية المطاف؛ ولذا عدت إليه لاحقًا، وسألت الرجل لماذا قام بردة الفعل تلك، أجابني بأنه تعرفني من فريق كرة القدم في الكلية لعام ١٩٨٦، بجامعة بنسلفانيا، وأنه هناك صورًا لي في الصحف، وأضاف أنه لم يقف لإجراء مكالمة هاتفية، برر الأمر بأن ربما يده كانت تتحرك لأن الهاتف يرن، قال لي: إن هاتفه يرن طيلة الوقت.

- هل كان يرن؟



- لم أكن بالقرب الكافي لأسمع.

- هل لعبت كرة القدم في جامعة بنسلفانيا؟

- كلا، لعبت الكرة مرة واحدة في الأكاديمية العسكرية بنيو يورك، ولم أكن جيدًا على الإطلاق، كما أني واثق أني لم أكن مبرزًا في أي مجالات رياضية.

- من المحتمل أن تكون غلطة بريئة، لقد مر الكثير من الوقت على عام ٨٦، وشكلك قد تغير بشكل ملائم لهذا الوقت، كما أنك تبدو كلاعب كرة.

- هذا كان استنتاجي، حينذاك.

- والآن؟

- الآن أعتقد أنه كان يكذب، يختبئ وراء تلك القصة الممتلئة بالهراء، ربما هي خدعة تعلمها، لا تضع الوقت في الإنكار، ولكن قدم هذا العذر الواهي، بعض الرجال سيطربون لسماع هذا الأمر، ربما هم أرادوا أن يكونوا نجوم كرة قدم، كما أن حكايته تجعلني أصغر سنًّا مما أنا عليه، وهذا أيضًا نوع من الإطراء، لقد كنت في الجيش عام ٨٦؛ لأني تخرجت عام ٨٣، الرجل يجيد التمثيل بحق.

- ولكن هذا ليس بدليل على أي شيء.

- في البدء سألته، هل التقينا؟

أجابني:



- كلا.

- وهذا صحيح أليس كذلك؟

- رجل كهذا، معجب، قادر على تذكر لاعبي كرة القدم منذ ثلاثين عامًا، لو سألته هل التقينا سابقًا؟ كان سيقول: كلا، لكني أحب أن أصافحك، أو ربما صافحني وأنا راحل، هذا رجل يجيد المصافحة واعتادها، والمصافحة مهمة لبعض القوم، وهو منهم، البعض يفضل المصافحة على التوقيع مع المشاهير؛ لأنها شخصية وأكثر حميمية، هناك تلامس جسدي، أراهنك أن هناك قائمة طويلة من المشاهير الذين يقرأ عنهم هذا الرجل أو يراهم في التلفاز ليقول لنفسه بعدها: سأصافحهم بالتأكيد لو قابلتهم.

- لكنه لم يصافحك أنت.

- وتلك كانت غلطته، لقد كان يعلم أني لست لاعب كرة مشهورًا، وهذا يعيدني لنظريتك أنت، لقد تم إخباره بأن يبقى عين مستيقظة من أجل كييفر والغرباء، كما أن كييفر لم يأتِ، أين هو؟ ولهذا بقيت، لليلة أخرى على الأقل.

- من الرجل ذو الحلة الذي خرج من القطار؟

- لا أعلم، هو ليس محليًا بالتأكيد، أتى من أجل العمل.. لن يبقى كثيرًا، حقيبته الصغيرة تقول هذا، ثري في الأغلب، نحافته تقول هذا، نحن نحيا في زمن غريب،



الفقراء يزدادون وزنًا، بينما الأغنياء أكثر نحافة، هذا لم يحدث من قبل..

- أنى لإتمام عمل سيئ أم جيد؟ هل هي صدفة أن رجل قطع الغيار هو من استقبله؟ أم أن الأمر له علاقة بكيبفر بشكل ما؟

- يحتمل الأمران.

- ربما هو مدير شركة كبرى أو يمتلك مصنعًا.

- في تلك الحالة كان سيسافر في الاتجاه الآخر، كان سيقابل من سيقابله هنا في حفلة كوكتيل فاخرة بمكان آخر أنيق.

- أنا قلقة بشأن كيبفر.

- عليك القلق بشأنه، ولكن قليلًا -لنواجه الأمر- ما هي أسوأ احتمالية؟ مع كامل احترامي، كيبفر محقق خاص يتقاضى راتبه من فرد وليس شركة، ربما يكون مخبولًا أو عاقلًا، أنا أستعير كلماتك ها هنا، وشخص كهذا سيذهب للشرطة دائمًا في المقام الأول، ولكن يبدو أن رجل الشرطة هنا لم يكن مهتمًّا، ولذا لا أعتقد أن الأمر بهذا السوء.

- أنت تعتقد أن الشرطة دومًا محقة؟

- أعتقد أنهم يمتكلون خبرة ما، سيتفقدون الأمر، يلقون نظرة على الأقل، لو قال لهم الرجل الذي وظف كيبفر



بأن المخزن ممتلئ بالقنابل، سيأتون على الفور، لو قال لهم: إن البلدة تتجسس على تقاريره الطبية الخاصة مثلًا، لن تهتم الشرطة.

- ولكن المغزى مختلف هنا؛ لذا اتصل بي طلبًا للدعم.

- ما أقصده أن كييفر يستطيع الاتصال بالشرطة مثل أي أحد، أو بمكتب التحقيق الفيدرالي، أنا واثق بأنه لا يزال يمتلك الرقم.

- إذن ما الذي نفعله الآن؟

- نعود للنزل، أنا بحاجة لغرفة لتلك الليلة قبل أي شيء آخر.

***

جلس الرجل ذو العين الواحدة في ردهة الفندق، أخذت تشانج مفتاح غرفتها، ٢١٤، كما فعلت سابقًا، وانتظرت، قام ريتشر بالتفاوض نفسه السابق مع الرجل، ٦٠ دولارًا، كلا أربعون، حسنًا ثلاثون، خمسة وعشرون، ولكنه لم يحصل على الغرفة ١٠٦، لم يترك ريتشر الرجل يفوز في كل جولة، حصل على الغرفة ١١٣، في منتصف الجناح المقابل، الطابق الأرضي، بعيدًا عن السلالم المعدنية، وبالقرب من غرفة تشانج.

سأل ريتشر الرجل

- أي غرفة يقيم بها مستر كييفر؟



- من؟

- كييفر، الرجل الضخم من مقاطعة أوكلاهما، لقد وصل هنا منذ يومين أو ثلاثة، أتى بالقطار، وفي الأغلب دفع أسبوعًا مقدمًا.

- غير مسموح لي بالإجابة، خصوصية النزلاء، أنت تفهم بالتأكيد، وستقدر إجابتي أيضًا لو كنت مكانه.

- بالتأكيد، هذا أمر منطقي.

أخذ مفاتيح الغرفة، وسار مع تشانج، قال لها: لا تفهمي ما سأقوله بشكل خاطئ، لكني أريد الذهاب لغرفتك.



الفصل التاسع

استقلا السلالم المعدنية، واتجها لغرفة تشانج، ٢١٤، بجوارها الغرفة ٢١٥، ثم فتحت تشانج الغرفة بمفتاحها، ودلف الاثنان للداخل، فقد كانت الغرفة كأي غرفة أخرى، ولكن ريتشر استطاع تمييز أن امرأة تستخدمها، إذ كانت أنيقة ونظيفة، وحقيبتها تستقر في مكانها بينما تحوي ملابس مطوية بعناية.

- أي نوع من الملاحظات كان يحملها كيبفر؟

- سؤال جيد، فنحن نستخدم الحواسب الآلية المتنقلة، والهواتف الجوالة في المعتاد، وبهذا كل ملاحظتنا تكون عبر آلة المفاتيح، كي نسجل كل شيء في نهاية الأمر، ولكن لو كانت قضية حساسة فنحن نبقي الأمور خارج السجل الرسمي؛ ولذا في الأغلب فهو يمتلك معلومات ورقية كتب فيها الملاحظات.

- أين؟

- في جيب سرواله على الأرجح.

- أو في غرفته، يعتمد الأمر على كمية الورق، علينا تفقد غرفته.

- نحن لا نعلم أين غرفته، ولا نمتلك مفتاحًا، ولا نستطيع الحصول على واحد؛ لأن فندق «الفورسيزونز» هذا يمتلك سياسة خصوصية لكل شيء.



- أعتقد أن غرفته ستكون ٢١٢ أو ٢١٣ أو ٢١٥.

- لماذا؟

- سأخمن أن كييفر هو من حجز لك هنا أليس كذلك؟

- لقد ذهب في الأغلب - للموظف وأخبره أن أحد زملائه قادم، ولو فكر الموظف أنك تمتلكين أي رابط بكييفر، سيعطيك غرفة قريبة منه، وأنت في الغرفة ٢١٤؛ لأن كييفر بالفعل كان في ٢١٣ أو ٢١٥، ربما ٢١٢.

- لماذا سألتَ الرجل طالما أنت تعرف الإجابة بالفعل.

- كان من الممكن أن يفيدني في تضييق دائرة البحث، ولكن في الأغلب أنا شَعَرْتُ باستخدام اسم كييفر معه، بكل بساطة، لو كان القوم يراقبون أو يستمعون أيضًا، فأنا أردتهم أن يسمعوني أذكر اسمه.

- لماذا؟

- لإعطائهم تحذير عادل.

ذهب كل من ريتشر وتشانج بعدها للغرفة ٢١٢، والتي كان من السهل إقصاؤها من عملية البحث، فالستائر كانت مسدلة، والتلفاز يعمل، تلك ليست بغرفة كييفر، أما كلا الغرفتين ٢١٣ و ٢١٥ فكانتا شاغرتين، فالستائر مفتوحة، والظلام يخيم بالداخل، قانون الاحتمالات يقول له: إن إحدى الغرفتين بلا ساكن، والأخرى تخص كييفر، محجوزة له لكنها خالية أيضًا لظروف غريبة لم يفهمها



بعد، الغرفة الشاغرة ستكون خالية تمامًا من أي مقتنيات، أما غرفة كييفر ستحمل علامة ما، مهما كانت صغيرة، ملابس نوم لكييفر ربما، كتاب ما يخص الأخير، أو حقيبة على أحد المقاعد، ولكن الغرفة كانت مظلمة فلم يستطع تبين شيء.

- هل تريدين المراهنة على الغرفة الصحيحة بقطعة معدنية أم ننتظر حتى الصباح؟

- وماذا سنفعل عندما يأتي الصباح؟ نحطم الباب؟

- نحن نمتلك رؤية شاملة للمكتب من هنا.

نظر ريتشر للأسفل، ورأى الرجل ذا العين الواحدة يجر كرسي الجلوس عبر الخلف، المقعد نفسه الذي نام عليه ريتشر، جلس الرجل فوق المقعد، كمأمور في فيلم قديم، ينظر فحسب، ليس للغرفة ٢١٤، بل لليمين قليلًا، ليس للغرفة ٢١٣ أيضًا، بل للغرفتين معًا في الآونة نفسها، أمر مثير للاهتمام..

ثم تذكر ريتشر موضع المقعد هذا الصباح، أمام الغرفة ١٠٦.

أمر مثير للاهتمام.

استراح ريتشر بكوعه على مسند السلم وقال: أعتقد أن موعد تحطيمنا للباب يتوقف على مدى عجلة الأمر بالنسبة لك.



- لا أحد يكون محقًّا دومًا في تلك النوعية من التخمينات، ليس طيلة الوقت.

- لكن المرء قد يكون محقًّا في بعض الوقت.

- أعتقد هذا.

وأي نوع من الوقت نحن فيه الآن؟

ما هو رأيك؟

- أنا لست مديرك، رأيي ربما لا يهم.

قالت تشانج: ما هو على أية حال؟

- كل قضية مختلفة.

- هذا هراء، القضايا كلها متشابهة وأنت تعلم هذا.

- قضايا كتلك تتشابه أغلب الوقت، هم نوعان، أحيانًا سيظهر كييفر بعد أسبوع، أو شيء من هذا القبيل، سليمًا ومعافًى، وأحيانًا ستفقدين كييفر قبل حتى أن تعرفي أنك تواجهين مشكلة، لا توجد أرضية وسط هنا.

وعلى هذا إذن فالمنطق يقول أن ننتظر، إما أننا قد خسرنا بالفعل، أو أننا نمتلك الوقت.

هز ريتشر رأسه: هذا ما يقوله المنطق، ويؤيده الواقع العمليُّ..

لو تحركنا الآن، فنحن نخطو صوب موقف مجهول ضد قوى لا نستطيع تقييمها، ربما هناك خمسة رجال أو



خمسائة بأسلحة آلية، يدافعون عن شيء لا نعرف حتى كنهه.

- وما عسى أن يكون هذا الشيء، افتراضيًّا بالطبع؟

- قنابل في المخزن، ربما شيء آخر، ربما هم حقًّا يتجسسون على التقارير الطبية، لا أعلم.

أشارت تشانج برأسها صوب العجوز ذي العين الواحدة.

- إنه متورط بشدة في هذا الأمر.

وافقها ريتشر الرأي.

- موظفو الفنادق مفيدون في المعتاد، ولكن هذا الرجل لا يمتلك منصبًا رفيعًا داخل المنظمة، كائنًا ما كانت تلك المنظمة، هو لا يحب ما يفعله، يعتقد أنه أفضل من العمل كحارس ليلي، ولكنَّ رؤساءه يعتقدون العكس.

- وهم من يتوجب علينا إيجادهم.

- نحن؟

كذا سأل ريتشر.

- جملة من الماضي ليس أكثر عندما كان الأمر يتعلق بالعمل الجماعي.

لم يرد ريتشر.

- أنت بقيت بإرادتك هنا يا ريتشر لم يرغمك أحد.



- أسبابي للبقاء لا علاقة لها بمدى أهمية أو عجلة أمر كييفر من وجهة نظرك، هذا أمر مختلف؛ ولذا فمسألة اقتحام الغرفة هي قرارك.

- سأنتظر حتى الصباح.

- أنت متأكدة؟

- المنطق يقول أن ننتظر.

- ستنامي بسلاسة مع معرفة أن الموظف يراقبنا؟

- ما الذي أستطيع فعله بشأن هذا الصدد؟

- بإمكاننا سؤاله بلطف أن يتوقف.

- ألن يكون هذا بمثابة خطوة الدخول نفسها لموقف مجهول ومواجهة خطر لا نعلمه؟

- هذا يعتمد على رد فعله.

- سأنام بخير، لكني سأحكم غلق الباب، نحن حقًّا لا نمتلك أدنى فكرة عما يحدث ها هنا.

- هذا حقيقي.

أجابها ريتشر، نظرت إليه تشانج قبل أن تقول: أنا أحب قصة شعرك الجديدة.

شكرًا لك.

- ما هي أسبابك؟



- للحلاقة؟

- للبقاء يا ريتشر.

- الفضول.

- بشأن؟

- هذا الأمر بخصوص جامعة بنسلفانيا وعام ٨٦، لقد تم بعناية، أداء مبهر، أنا واثق أنه قدمه من قبل عدة مرات، وأنا أجزم أنه تدرب عليه عدة مرات كذلك، وقاس نجاحه داخل عقله عدة مرات؛ ولذا أستطيع تخمين أنه في كل مرة قام بأداء هذا الأداء كان يعقبه بمصافحة، لكنه لم يصافحني، لماذا؟

- لأنه ارتكب غلطة.

- كلا، فهو لم يستطع إجبار نفسه على مصافحتي، هذا رأيي، حتى لو كان هذا سيهدد أداءه، هو متورط في شيء ما، وبالنسبة له أنا أمثل تهديدًا؛ ولذا لا وعيًا هو يشعر أن هؤلاء الذين يمثلون خطورة بالنسبة له لا يجب مصافحتهم؛ ولذا انتابني الفضول لمعرفة أي نوع من التهديد أمثله لأجعله يشعر بهذا.

- آه الآن سأنام بشكل جيد.

- سيأتون إليَّ قبلك، أنا بالطابق السفلي، سأحدث الكثير من الضوضاء لأعطيك فرصة للهروب.



الفصل العاشر

جلس ريتشر في مقعده داخل الغرفة، في الظلام، على بعد عدة أمتار من النافذة، كان خفيًّا عن الأنظار في الخارج، وأخذ يراقب الأجواء حتى مرت خمس عشرة دقيقة، عشرون، ثم خمس وعشرون، ظل مكانه يراقب، إلى أن مر الوقت أكثر وفي الآونة نفسها، استقر الرجل ذو العين الواحدة في المقعد البلاستيكي، على بعد أميال، توغل الارتياح لجسده وهو جالس، ربما كأن نائمًا، ولكن بشكل خفيف، أي ضوضاء بسيطة ستوقظه بالتأكيد، لم يكن أفضل حارس ليلي بالنسبة لريتشر، وليس الأسوأ كذلك، بالأعلى، فوق موظف الفندق، على أقصى اليمين في الطابق الثاني، انبعث ضوء من الغرفة في المنتصف، الغرفة ٢٠٣، الرجل من القطار، المتأنق، في الأغلب، يقوم بترتيب محتويات حقيبته الصغيرة، ويضع مقتنياته في أماكنها، بعضها في خزانة الثياب والبعض في دورة المياه، والباقي في الدرج، رغم أن حجم الحقيبة كان صغيرًا جدًّا، لكنها بدت لريتشر كحقيبة ذات جودة عالية، تم العناية بها دون خدش واحد، جلد سميك، بُنِّيَّة اللون، شكل كلاسيكي، وصاحبها ينتوي البقاء في البلدة ليوم كامل على الأقل، ربما أكثر، بحقيبة لا تتسع مساحتها لملابس إضافية أو حتى حذاء إضافي، هذا أمر غير معتاد حسب خبرة ريتشر، أغلب المدنيين يحملون ملابس إضافية طيلة الوقت، لمعالجة انسكاب السوائل وخلافه.



بعد عشر دقائق انطفأ نور الغرفة ٢٠٣، وحل الظلام بداخلها، الموظف ذو العين الواحدة ربض حيث هو، ربما يراقب وربما نائم، نظر ريتشر خلال الظلال، حتى مرت خمس عشرة دقيقة، فمهما استغرق الأمر من الوقت فكر ريتشر أنه يجب أن يتأكد تمامًا من استقرار الوضع، وما أن فعل قام وتجرد من ملابسه ورتبها بطريقته المعتادة، استحم بعدها قبل أن ينسل للفراش، ترك الستائر مفتوحة، وأعد المنبه داخل عقله ليوقظه في السادسة صباحًا، أو يوقظه في حالة حدوث ضوضاء ليلية، أيهما يحدث الأول.

كان الفجر هادئًا وصامتًا، بدأت الشمس تبزغ واصطبغت السماء باللون الذهبي الأحمر الداكن، بشكل شاحب، انعكست ظلال شاحبة من المباني، ظلال طويلة استقرت على النزل، اعتدل ريتشر في فراشه، ونظر من النافذة، المقعد البلاستيكي لا يزال مكانه، على بعد أميال، في الممر الجانبي أسفل الردهة الرئيسية، لكنْ ذو العين الواحدة لم يكن هناك، خمن ريتشر أنه ذهب لينام قرابة الرابعة صباحًا، على أريكة في الخلفية بالأغلب، ستائر الغرفة ٢٠٣ لا تزال مغلقة، الوافد الجديد لا يزال نائمًا إذن، في الأرجح، وقف ريتشر واتجه لدورة المياه بمنشفة حول خاصرته، فتح النافذة طلبًا للهواء والصوت، سمع صوت إطارات سيارات في الشارع الرئيسي المواجه للميدان.



شاحنات نقل، بوقود اعتيادي، يتجه سائقوها لتناول الإفطار، الناس تستيقظ مع الشمس..

جلس وراقب، بدون قهوة، مرت بخاطرة مخيلته مبهجة، يتصل بالمطعم ويطلب قهوة من النادلة، صديقته المفضلة، وتأتي له بالقهوة بعد دقائق في غرفته، إلا أنه لم يمتلك رقم المطعم، ولم يكن هناك هاتف في غرفته، كما أنه لم يكن مرتديًا لملابسه.

كان هناك ضوء خافت منبعث من غرفة الاستقبال لكن بلا حركة.

جلس ريتشر وراقب بصبر، منتظر مكافأة لصبره هذا في نهاية المطاف، وبالفعل أتت المكافأة بعد قرابة الساعة، في البداية خرج الرجل ذو العين الواحدة من المكتب، وقف وتشمم الهواء، كما يفعل الناس في الصباح الباكر، ثم تلفت حوله، في كل صوب، منطقة ركن السيارات، الممر الجانبي، الرصيف، الميدان، كان يتلفت حوله بجدية، فكر ريتشر بقليل من الفخر بما يفعله، ثم تذكر الرجل منطقة خلفه فاستدار وتفحصها، وأعاد المقعد البلاستيكي لموضعه الأصلي، حيثما الغرفة ١٠٢، وتركه هناك، بدت المهمة الأخيرة لريتشر كنوع من الواجب بدلًا من الفخر والاعتزاز بما يفعله الرجل؛ لأنه لم يبالِ بتحريك مقعد المراقبة في اليوم السابق، لقد تركه مكانه بالخارج لينام عليه ريتشر.



هناك شيء مختلف اليوم، فالرجل يتصرف بقليل من العصبية؛ ولذا انتظر ريتشر حتى تراجعت الظلال مع أشعة الشمس، سمع قطار السابعة صباحًا يصل، لكنه واصل الانتظار، حتى انفتحت الستائر في الغرفة ٢٠٣ حيثما يقطن الوافد الجديد، النافذة مواجهة للشمس بجانبها، وككل شيء آخر في النزل الزجاج كان مغطًى بالغبار، ولكن رغمًا عن هذا تمكن ريتشر من رؤية الرجل بوضوح، في حلته، يقف بذراعين مفتوحتين، يداه لا تزالان على الستائر، ينظر للصباح، بتعجب، كأنه مندهش من بزوغ الشمس مرة أخرى، كأن احتمالية شروقها مرة أخرى كانت خمسين في المئة، وقف الرجل في تلك الحالة لدقيقة كاملة، ثم استدار واختفى عن عيني ريتشر.

أتت سيارة كاديلاك بيضاء للمشهد، أمام النزل، فكر ريتشر أنها من الجيل القديم من الكاديلاك، طويلة ومنخفضة، أشبه بالليموزين، لونها غير اعتيادي، كما لو كانت من خارج أريزونا أو فلوريدا، مشهد غير اعتيادي في كل الأحوال، أن ترى سيارة كتلك في بلدة ريفية، لم يرَ ريتشر أي سيارات مثلها في «استراحة الأم»، كانت نظيفة للغاية، تم مسحها حديثًا إن لم يكن غسلها بالكامل، لم يتمكن ريتشر من رؤية السائق، الزجاج الأسود أعاق رؤيته، تحركت السيارة لليمين وتراجعت للخلف قبل أن تقف أمام المساحة المخصصة للركن أسفل الغرفة ٢٠٣، لم



يكن هناك لوحة أرقام أمامية للسيارة، ولم يخرج السائق، انفتح باب الغرفة ٢٠٣، وخرج الرجل ذو الحلة حاملًا حقيبته البُنِّيَّة، وقف للحظة، وتشمم هواء الصباح، ثم تحرك بسلاسة وخفة ومرونة، لم يتحرك كرجل رياضي يمتلك عضلات، بل كراقص مرن، أو ممثل مسرح، نزل السلالم، وهنا خرج السائق من السيارة الكاديلاك، ليحيه، لم يرَ ريتشر السائق من قبل، كان طويلًا وقوي البنية في العقد الرابع من العمر، لم يكن ممتلئ الجسد، ولم يكن نحيفًا كذلك، كثيف شعر الرأس، موظف آخر من الدرجة الأدنى، صافح السائق الرجل ذا الحقيبة البُنِّيَّة، قبل أن يركب في الخلف بعدما أخذ السائق حقيبته، ووضعها في الصندوق الخلفي، ثم ذهب السائق واستقر خلف المقود ورحل بالسيارة.

لا يوجد إطار أرقام خلفية كذلك، بعد رحيل السيارة عاد ريتشر واستحم.

تشانج كانت في المطعم بالفعل عندما وصل ريتشر، ظهرها مولٍّ للحائط، بينما حجزت المنضدة المجاورة لها بترك معطفها هناك، أعطاها ريتشر المعطف وجلس مجاورًا لها، وقد كانت تشانج تبدو رائعة وهي ترتدي قميصًا فقط، بينما شعرها لا يزال رطبًا يستقر فوق ذراعين رياضيتين، قالت لريتشر: الرجل ذو الحلة رحل بالفعل، أخذ حقيبته معه؛ ولذا لن يعود، المحظوظ.

- لقد رأيته من غرفتي.



- أنا رأيته في طريق عودتي من المحطة، كييفر لم يظهر.

- أنا آسف لسماع هذا.

- لقد حان الوقت إذن، لا مزيد من الانتظار، على إيجاده، غرفته هي ٢١٥، لقد اختلست نظرة هذا الصباح من النافذة، وجدت قميصًا ضخمًا معلقًا على باب الخزانة، بينما الغرفة ٢١٣ خالية تمامًا.

- حسنًا، سنجد طريقة للدخول.

- نحن؟

أنا لا أمتلك شيئًا آخر لفعله اليوم.

- هل نذهب الآن؟

- لنأكل أولًا، كلي حيثما استطعتِ تلك هي القاعدة الذهبية.

- الوقت الحالي مناسب لدخول الغرفة.

- ربما، لكن لاحقًا سيكون أفضل، بعدما تبدأ مسؤولة التنظيف عملها، ربما تفتح لنا الباب.

- أتت النادله إليهما، ومعها القهوة.

الفصل الحادي عشر

بعد الانتهاء من تناول الإفطار وجدا أن مسؤولة التنظيف قد بدأت عملها بالفعل، لكنها لم تكن بالقرب من غرفة كييفر، وإنما كانت منهمكة بالفعل في الجانب الآخر، تعمل في الغرفة ٢٠٣ لتجهزها بشكل تام بعد رحيل الرجل ذي الحلة، تركت الباب مواربًا بينما عربة التنظيف في الخارج، كانت ترتب الفراش، وقد خمن ريتشر أنها تحمل مفتاح الغرف في حزامها أو جيبها.

فقال لتشانج: سأذهب وأقول مرحبًا.

ثم استدار يسارًا ومر جوار الغرفة ٢١١، وقف قبالة ٢٠٣ ونظر للداخل، عاملة التنظيف كانت تبكي..

تبكي وتعمل في الآن ذاته، كانت بيضاء نحيفة، لم تعد شابة، تحمل المناشف من الحمام، بينما دموعها تنهمر على وجنتيها، ومن خارج الغرفة أتاها صوت ريتشر: سيدتي هل أنت بخير؟

توقفت المرأة، ثم تركت عربة التنظيف واعتدلت واقفة، أخذت نفسًا ونفخت، قبل أن تنظر لريتشر، ثم استدارت وحدقت بشرود في المرآة، قبل أن تلتفت مرة أخرى دون أي تعبير على وجهها، لكنها تتكلف ابتسامة وترد: أنا سعيدة للغاية.

حسنًا.



- كلا حقًّا، أنا آسفة، لكن السيد المحترم الذي رحل للتو ترك لي إكرامية.

- وهي أول إكرامية لك؟

كلا، لكنها الأفضل.

- استخدمت يديها بحرص وهي تخرج المظروف من جيبها الواسع، حجم الظرف أصغر من المعتاد، كأنه رد على دعوة فاخرة في سهرة كلاسيكية، على المظروف تم الكتابة بعناية، العبارة كانت «شكرًا لك» بقلم حبر، قلبت المرأة المظروف بإبهامها، وأخرجت خمسين دولارًا، وقالت: خمسون دولارًا، أكبر إكرامية حصلت عليها قبل ذلك كانت دولارين..

أجابها ريتشر: رائع !

- تلك الإكرامية ستحدث فارقًا رهيبًا بالنسبة لي، لن تتخيل..

- أنا سعيد من أجلك.

شكرًا لك، أعتقد أن المعجزات تحدث أحيانًا.

- هل تعلمين لماذا سميت تلك البلدة باسم «استراحة الأم»؟

توقفت المرأة لحظة قبل أن تقول: هل تسألني أم أنك ستقوم بإخباري؟



- بل أسألك.

- لا أعلم.

- ألم تسمعي حكايات من قبل؟

عن ماذا؟

الأمهات، هل هي استراحة لهن بشكل حرفي أو مجازي.

- كلا، لم أسمع شيئًا من هذا القبيل سابقًا.

- هل بإمكانك إدخالي للغرفة ٢١٥.

- توقفت المرأة للمرة الثانية قبل أن تقول: هل أنت السيد من الغرفة ٢١٣؟ والغرفة ١٠٦ من الليلة السابقة؟

- بلى.

- غير مسموح لي بفتح الغرفة إلا للنزيل الخاص بها، آسفة.

- لقد كان جزءًا عامًّا من شركة، كلنا نعمل سويًّا، نحن بحاجة لدخول غرف بعضنا البعض، عمل جماعي بطبيعة الحال.

- بإمكاني تفقد الأمر مع المدير.

- لا تقلقي بشأنه، سأذهب وأفعل هذا بنفسي.

لكنَّ الرجل ذا العين الواحدة لم يكن في مكتبه، غياب غير متوقع، لأمر طارئ؛ لأن حالة المكتب توحي



باستمرارية العمل. قالت لريتشر: إن شيئًا قاطع الرجل بغتة أثناء أداء عمله، الملفات والسجلات كانت مفتوحة، الأقلام متناثرة، وهناك كوب قهوة لا يزال دافئًا، لكن الرجل لم يكن هناك.

خلف المكتب، استقر باب يتوسط الحائط، لا بد أن أريكة النوم تقبع خلفه، خمن ريتشر، ومعها حمام متوسط الحجم بالتأكيد، ربما كان الرجل هناك، فنداء الطبيعة لا ينتظر أحدًا!

استمع ريتشر بعناية، لا شيء.

ذهب خلف المكتب للجزء الخاص بالرجل، نظر للسجلات، والملفات، والملاحظات، كلها أشياء تقليدية خاصة بالنزل، حسابات، طلبات، نسب الإقامة، استمع مرة ثانية، لا صوت ولا شيء، فتح الدرج، حيثما يحتفظ الرجل بمفاتيح الغرف، وضع مفتاح الغرفة ٢١٣ وأخذ المفتاح الخاص بـ٢١٥ وأغلق الدرج بعدها..

لم يظهر الرجل ذو العين الواحدة، ربما لا يزال بالحمام، مشكلة في الهضم، أو شيء من هذا القبيل، استدار ريتشر وخرج من خلف المكتب، صعد السلالم متجهًا لتشانج، أراها المفتاح.. سألته: كم من الوقت نملك لهذا المفتاح؟

- حسبما دفع كييفر للإقامة، ربما أسبوع في الأغلب، أنا سوف آخذ غرفته، الموظف لن يستطيع الاعتراض، لقد تم دفع مقابل الغرفة بالفعل، وكيفر ليس هنا ليعبر



عن رأيه.

هل تعتقد أن هذا سيُفلح؟

- ربما.

- لو لم يفلح بإمكاننا الاتصال بالشرطة، مثلما كان يجب على كييفر أن يفعل.

- الرجل ذو الحلة ترك خمسين دولارًا إكرامية لعاملة التنظيف.

هذا مبلغ ضخم، أنت تُعطى تلك الإكرامية لعمل أسبوع على متن باخرة سياحية.

- لقد كانت سعيدة للغاية.

- بالطبع، هذا أجر أسبوع كامل.

- هذا جعلني أشعر بالسوء، أنا لا أترك أبدًا أكثر من خمسة دولارات.

- لقد كان رجلًا ثريًّا، أنت قلت هذا بنفسك.

- لم يقل ريتشر شيئًا، وذهب لباب غرفة كييفر، وضع المفتاح في الباب وعالج القفل، فتح الباب وتراجع للخلف قائلًا لتشانج: بعدك.

- دلفت تشانج للغرفة وتبعها ريتشر، الأدلة التي تقول: إن تلك الغرفة تعود لكييفر كانت موجودة بكل صوب، قميص على مقبض الباب، فرشاة أسنان في الحمام، سترة في



خزانة الملابس، حقيبة قماشية ممتلئة بالملابس قبالة الحائط، كل شيء كان موضوعًا بدقة من قبل الخادمة، الغرفة كانت نظيفة ومرتبة..

لم يكن هناك حقيبة عمل ولا حاسب آلي، لا أوراق ملاحظات ولا صفح ورقية، لست على مرأى منهم على أية حال.

استدار ريتشر وأغلق الباب من خلفهما، لقد بحث في أكثر من مئة غرفة فندق من قبل بحكم وظيفته، وقد كان بارعًا دومًا في البحث، وجد كل أنواع الأشياء بمختلف الأماكن.

قال: ماذا كانت وظيفة كييفر قبل التحاقه بمكتب التحقيقات الفيدرالي؟

- لقد كان شرطيًّا، محقق جنايات، مع بكالريوس في المحاماة والقانون الجنائي.

وهذا يعني لريتشر أن كييفر قد بحث في غرف بدوره؛ ولذا لم يكن ليضع الأشياء المهمة في أماكن واضحة، لقد كان يعلم الخدع كلها، إلا أن تلك الغرفة الصغيرة الحالية لم تقدم لهم أماكن عدة لتخبئة الأشياء، لم تكن غرفة معقدة من الناحية الهندسية.

- نحن نخدع أنفسنا هنا.

قالت تشانج ثم أردفت: موظف الفندق بإمكانه دخول



تلك الغرف حيثما شاء، أو يدخل أحد آخر هنا، علينا افتراض أنهم فتشوا تلك الغرفة عدة مرات ومنذ زمن.

أوافقك، ولكن ما مدى جودة البحث والتفتيش؟ لأننا نعلم شيئًا واحدًا على اليقين، كييفر كان هنا ثم رحل، وأمامه ثلاث طرق مختلفة للرحيل، الأولى هي الرحيل على عجل، الثانية هي أنه تم جره خارج الغرفة وهو يصرخ ويستغيث بواسطة أشخاص مجهولين، الثالثة، هي أنه كان يجلس على الفراش، يفكر، ثم توصل لحقيقة ما، لحظة من لحظات: يا إلهي لقد فهمت، وخرج مسرعًا بعدها، للهاتف العمومي في الشارع لكي يتصل بالشرطة، لكنه لم يصل أبدًا..

لم يصل؟ ما الذي تريد قوله؟

أنا أقول: إن الرجل مفقود، قولي لي أين ولماذا ولسوف أكف عن النظريات.

- ولا طريقة من الثلاث تعني لنا أن نتوقع إيجاد شيء هنا في الغرفة يا ريتشر، لماذا سنجد شيئًا غفل عنه الجميع؟

أعتقد أن الطريقة الثالثة توحي بأننا سنجد شيئًا غفلوا عنه، تخيلي تلك اللحظة، يا إلهي لقد فهمت، هو مذهول، وبعدها بلحظة فارقة هو يواجه خطراً داهمًا، خطر قوي يجعله يهرع صوب الهاتف العمومي، لكنه الآن مكشوف؛ الأمر ليس بمثابة الاتصال من هاتف خلوي خلف الأبواب المغلقة، تلك الدرجة من الأمان غير موجودة



الآن، هو يسير في الهواء الطلق، هناك مخاطرة؛ ولذا هناك إغراء بأن تترك ملاحظة خلفك، خطة بديلة، وبعدها تتجه للهاتف العمومي..

- ولا تصل إليه.

- هذا ما يقوله المنطق.

ولكن تلك الملاحظة -إن وجدت- مخفية، ولم يجدها أحد، لكننا سنجدها؟

- تخيلي المشهد يا تشانج، هما لحظتان، الأولى «يا إلهي، لقد فهمت، لحظة صغيرة عابرة، ربما في اليوم الذي اتصل بك فيه طلبًا للدعم، ثم اللحظة الكبرى، يذهب بعدها ليحاول الاتصال بالشرطة..

- بعدما يترك ملاحظه؟

- أعتقد أنها نظرية تستحق التفقد.

- بدأ ريتشر بالتفتيش في الغرفة نفسها وليس المحتويات؛ لأن الباحثين يبدؤون في المعتاد بالبحث في الحقائب وخلافه ويتركون البنية المادية للغرفة ذاتها، مثل الجدران والمرآة، وهناك دومًا احتمالية لا بأس بها بإيجاد الأشياء في البنية المادية للغرفة، أسفل إطار نافذة مثلًا، أو في الدليل الخاص بالغرف حيث يستطيع المرء إخفاء أوراق عدة، أو في جهاز التبريد إن وجد، هناك أجزاء قابلة للتحرك في السقف خاصة بالتهوية، تصل للتخبئة، الكراسي



القابلة للتطبيق كذلك.. إلخ إلخ..

بعدها أتت مرحلة الأثاث، الفراش والمناضد الليلية، المقعد الثابت، مائدة تناول الطعام، المكتب والأدراج، بحثوا بكل صوب، ولم يجدوا شيئًا، قالت تشانج بعدها: كان الأمر يستحق المحاولة، أنا سعيدة أننا لم نجد شيئًا، بشكل ما هذا يعني أنه بخير، أنا أريده أن يكون بخير.

- أنا أريده أن يكون في فيجاس يمرح مع فتاة مراهقة، ولكن حتى يرسل إلينا بطاقة بريدية من فيجاس، علينا افتراض أنه ليس بخير، علينا أن نكون حذرين.

- لقد كان شرطيًّا يا ريتشر، بعدها أصبح عميلًا فيدراليًّا، لا أعلم ما نوع الخطر الذي تعرض له.

- هناك أنواع عدة من المخاطر بإمكانه التعرض لها.

لم تعلق تشانج، شَعَرَ ريتشر أن يديه قذرتان من التفتيش، وتحريك الأثاث، ذهب للحمام ليغسلهما، الصابون كان جديدًا، لا يزال مغلفًا، غلافًا ذهبيًّا أنيقًا، ليس أسوأ مكان رآه ريتشر بالتأكيد، سحب المناديل الورقية، سلة المهمات قبعت أسفل الحوض، غسل يديه، الصابون الجديد كان صُلبًا في البداية ثم ازداد نعومه مع الماء، نشف يديه بمنشفة نظيفة، ثم استجاب لنداء ضميره وانحنى ليتفحص إن كان الغلاف الذي رماه قد استقر في سلة المهملات أم لا؟، لم يصب الهدف، سلة المهملات كانت مستديرة، ومستقرة في الركن الأيسر، وهذا يعني أنه



هناك مساحة جوفاء خلفها، في العادة ستتجاهل خادمة الغرف تنظيف تلك الجزئية، لن تنظفها من أجل إكرامية اثنين دولار بالتأكيد، تفحصها ريتشر، وجد غلاف الصابونة الخاصه به، وغلافًا قديمًا، ثم وجد شيئًا ثالثًا، مخلفات جيب أحدهم..



الفصل الثاني عشر

كانت الوريقة الملقاة في سلة المهملات بيضاء وصغيرة لها حافة مدببة، ومطوية أربع مرات، فبدا لريتشر أنها استقرت في جيب سروال كيبفر لأسابيع، ربما شهر، ربما أكثر، إذ إن أطراف الوريقة كانت بالية، وسطحها كان مجعدًا، مما جعله يخمن أنه تم طويها وفركها عدة مرات، كخدعة في أوراق لعب طاولة، قبل أن ينتهي بها المطاف هنا في أرض العدم..

فتح الوريقة المطوية التي كان عليها لون أزرق باهت إثر وجودها داخل جيب سروال جينز بلا شك، ثم قلب الوريقة في يده ليجد كتابة بداخلها، بخط متعجل، كان هناك رقم هاتف، وكلمة: ٢٠٠ حالة موت.

سأل ريتشر تشانج: هل هذا هو خط يد كيبفر؟

- لا أعلم، لم أَرَ كتابته من قبل، وتلك ليست بعينة رائعة للفحص، أنا غير متأكدة، فكر كمُدَّعٍ عامٍّ في محكمة يعاين الأدلة، بإمكان أي أحد رمي تلك الوريقة في سلة المهملات في أي وقت.

- أكيد، ولكن افترضي معي أن كيبفر هو صاحب تلك الوريقة، فما الحقيقة وراءها؟

- حقيقة؟ إنها ملاحظة، كتبها في الأغلب أثناء مكالمة هاتفية، في مكتبه، وبمكتبه أعني الغرفة الإضافية للنوم



في شقته، على أية حال، لا أعلم، ربما كانت مكالمة إجراء تواصل مع أحدهم للمرة الأولى أو مكالمة متابعة، الاحتمالات خطيرة، انظر لما هو مكتوب، ٢٠٠ حالة موت ورقم هاتف، ربما كانت مكالمة مع العميل، أو شركة مستقلة، أو مصدر معلومات.

- لماذا يرمي الوريقة؟

- لأنه لاحقًا قام بإعداد تقرير مفصل؛ لذا لم يعد بحاجة إليها، ربما كان يقف هنا أمام المرآة يتفحص نفسه كما يفعل القوم، ربما تخلص من مناديله الورقية وحصل على ملفوف جديد، ربما تفحص جيوبه في التوقيت نفسه، وربما لم يستخدم سراويله منذ فترة.

- الرمز الخاص بالمنطقة في رقم الهاتف هو ٣٢٣، لوس أنجيليس أليس كذلك؟

أومأت تشانج برأسها وقالت: هاتف خلوي أو رقم أرضي.

- ٢٠٠ حالة موت، هذا يصنف كخطر داهم.

- هذا لو كانت الوريقة تخص كيبفر، لو كانت عن القضية الحالية، من الممكن أن تخص أي أحد وتكون عن أي شيء.

- من الذي سيمر هنا وبخاطره ٢٠٠ حالة موت؟

- حتى لو كان كيبفر، ربما الوريقة تخص قضية



قديمة أو مختلفة، أو تخص محامي مديونات يطارد قضايا رخيصة، أعني، كيف يكون هناك ٢٠٠ حالة موت هنا في تلك البلدة؟ تلك نسبة عشرين بالمئة من السكان، لا بد أن أحدهم سيلاحظ يا ريتشر، أنت لن تحتاج محققًا خاصًّا لتلاحظ مئتي حالة موت.

- لنتصل بالرقم المكتوب على الوريقة.

- قالها ريتشر ثم أردف: ترى من سيجيب؟

أحكم ريتشر غلق الغرفة وهما في طريقهما للخروج، ثم نزل على السلالم المعدنية، وعلى بعد خمسة أمتار جاء الرجل ذو العين الواحدة متجهًا إليهما، وهو يلوح بيده، وقال لريتشر فور أن وصل: عذرًا يا سيدي، ولكن الغرفة ٢١٥ ليست مسجلة باسمك.

- عدل سجلاتك إذن، لقد دفع زميل لنا ثمن الغرفة مقدمًا، وأنا سوف أستخدمها لحين عودته.

- أنت لا تستطيع فعل هذا.

- هذا ليس حقيقيًّا.

- كيف حصلت على المفتاح؟

- وجدته أسفل الإناء، ضربة حظ لطيفة على ما أعتقد.

- هذا غير مسموح به.

- اتصل بالشرطة إذن.



- لم يتفوه الرجل بحرف، وإنما تنهد فحسب، وزفر لوهلة ثم استدار واتجه للخلف في صمت.

قالت تشانج بتوجس: ماذا لو اتصل بالشرطة؟

- لن يفعل هذا، لو كان سيفعل لأخبرنا متباهيًا ومهددًا، كما أن الشرطة في الأغلب على بعد خمسين ميلًا من هنا أو مئة ميل، لن تأتي الشرطة من أجل غرفة تم الدفع لها مسبقًا، كما أن لو كان هؤلاء القوم لديهم ما يخفونه فآخر شيء سيفعلونه هو الاتصال بالشرطة.

- إذن ما الذي سيفعله؟

- أنا واثق أننا سنعلم قريبًا.

- خرج الاثنان بعدها للشارع وسارا سويًّا أمام المطعم متجهين للمتجر العام، الشمس تتوسط السماء والبلدة هادئة، لا نشاط حولهما، لا زحام، هناك شاحنة تدور ببطء متجهة لشارع خلفي، وصبي صغير يلعب بكرة تنس قبالة الحائط، كان بارعًا في رمي الكرة، ربما يجب أن توضع صورته في مجلة رياضية، هناك شاحنة بريد «فيديكس» تعبر القضبان القديمة متجهة للبلدة..

المتجر العام كان عبارة عن مبنى أقليات تقليدي تحول لمكان تجاري، مطلي بالأحمر، وهناك علامة تجارية تتوسط المبنى، كان مكتوبًا عليها: البضائع الخاصة ببلدة «استراحة الأم»، هناك باب مفرد، ونافذة وحيدة، صغيرة، مخصصه للضوء أكثر منها لعرض البضائع، الزجاج مغطى



بالملصقات التجارية لعلامات لم يتعرف عليها ريتشر، أسماء تجارية ربما حسبما افترض كونها مهمة لحياة الريف.

وبالداخل كان هناك هاتف عمومي، ذهبت تشانج تجاهه ووضعت عملات معدنية به واتصلت بالرقم، استمعت لوهلة وهي تعتصر سماعة الهاتف قبل أن تنهي المكالمة دون التحدث، وقالت لريتشر: بريد صوتي، يخص شركة، لم يكن هناك معلومات، مجرد بريد صوتي عام، لا اسم شخص ولا شيء من هذا القبيل، لكنه بدا لي كهاتف خلوي.

- كان عليك ترك رسالة.

- لا هدف من فعل ذلك، أنا لا أستطيع استقبال مكالمات هنا.

- جربي الاتصال بكيبفر مرة أخرى.

- لا أريد فعل هذا، لا أريد الاتصال دون تلقي رد منه.

- إما أن يكون هو بخير أم لا، الاتصال به لن يغير من حقيقة ما حدث له.

- استخدمت تشانج هاتفها الخلوي للحصول على رقم كيبفر، واتصلت به، وكما حدث سابقًا، استمعت لوهلة قبل أن تهز رأسها.

- لا أحد يرد.

- نظر إليها ريتشر قبل أن يقول: علينا الذهاب لمدينة



أو كلاهوما.



الفصل الثالث عشر

كان القطار خيارًا أسرع، ولكن موعد رحيله لا يزال بعد ثماني ساعات؛ ولذا أخذا سيارة تشانج المستأجرة، سيارة فورد خضراء، والتي بدت رائحتها بالداخل كرائحة شامبو بالنسبة لريتشر، خرجا من البلدة في دقائق معدودة، مجاورين للقضبان الحديدية، ثم استدارا جنوبًا، وجنوبًا مرة أخرى عبر الحقول اللامتناهية، حتى وجدا طريق الريف الذي وعدهما بمدخل للطريق السريع على بعد مئتي ميل.

قادت تشانج السيارة مرتدية قميصها، بينما جلس ريتشر جوارها، يشاهدها، يد واحدة على المقود، والأخرى تستريح على مرفقها، عيناها تتحرك باستمرار على الطريق أمامها، وعلى المرايات الخلفية، ثم تعود بناظريها للطريق أمامها، أحيانًا تبتسم نصف ابتسامة، كما لو كانت تفكر بشيء ما، كتفاها مستديران، وهذا أوحى لريتشر بأنها تريد - لا وعيًا - أن تكون أصغر حجمًا، وهو لم يستطع الموافقة على هذا الطموح، حجمها كان يبدو مثاليًّا بالنسبة له.. تذكر قولها: «أعتقد أني إنسانة لطيفة لكني لست سبب بقائك هنا»، لم يعلق هو حينذاك..

نظرت تشانج للمرآة الخلفية وقالت: هناك شاحنة نقل خلفنا.

- على بعد كم متر؟



- حوالي كيلو.

- إنه طريق عام يا تشانج.

- لقد ظهرت بسرعة خاطفة ثم أبطأت من سرعتها فجأة، كأنها كانت تبحث عنا والآن قد وجدتنا.

- شاحنة واحدة فحسب؟

- هذا ما أستطيع تبينه.

- ليس بعدد كبير.

- هناك رجلان، سائق وراكب.

لم يرد ريتشر أن يلتفت وينظر للخلف، لم يبغ أن يُظهر أي اهتمام للسائق أو الراكب؛ لذا انحنى وتحرك جانبًا حتى تمكن من رؤية انعكاسهما في مرآة تشانج الخلفية، شاحنة من طراز فورد، ضخمة وواضحة، حمراء، نفس لون المتجر العام، بينما يجلس الرجلان متجاورين، ولكن على بعد من بعضهم البعض؛ بسبب مساحة الشاحنة، اعتدل ريتشر وتفحص الطريق يمينًا ويسارًا، لم يكن هناك منعطفات، حقول لا متناهية فحسب، بشكل يكاد يكون حرفيًّا، ربما كان الحقل واحدًا يمتد لما لا نهاية، مئتي ميل، يبدو الأمر محتملًا، لم يكن هناك سيارات أخرى في الطريق..

- هل دربوك على مثل تلك الأشياء في كوانتيكو؟

- إلى حد ما ولكن هذا من زمن سحيق وبيئة مختلفة،



محلية، مدنية أقصد، إشارات مرور وشوارع ذات اتجاه واحد، لا يوجد أمامنا عدة خيارات على كل حال، هل تدربت أنت؟

- لم أكن أبدًا سائقًا جيدًا.

- هل نتركهما يأخذان الخطوة الأولى؟

- في البداية نحن بحاجة لمعرفة ما هي مهمتهما، هل المراقبة فحسب، بإمكاننا أن نقودهما لأوكلاهوما ونفقدهما هناك، المعارك الوحيدة التي تكسبينها بحق هي تلك التي لا تمتلكينها.

- ماذا لو كانت أوامرهما أكثر من المراقبة؟

- سيفعلانها مثل الأفلام، يرتطمان بنا من الخلف.

- ليخيفونا أم أن لديهما غاية أكثر سوءًا؟

- ستكون تلك خطوة كبيرة ليأخذاها، سيحاولان أن يجعلا الأمر يبدو كحادثة، سائحة -أنت- نامت أثناء القيادة وتعرضت لحادثة، يحدث طيلة الوقت.

لم يقل ريتشر شيئًا.

غمغمت تشانج: لا يمكننا التفوق عليهما بالسرعة، ليس بتلك السيارة اللعينة.

- إذن اتركيهما يقتربا منا، فور أن يفعلا هذا، انعطفي للجانب الآخر، واضغطي المكابح فجأة، سيسبقوننا.



- متى؟

- لا تسأليني، لقد فشلت في دروس القيادة الدفاعية، أنا مؤهل لأشياء أخرى.

- قادت تشانج السيارة، بيديها الاثنتين الآن، دقيقة، الثانية، ثم قالت: أريد أن أرى خطوتهما الأولى.

- هل أنتِ متأكدة؟

- هم الفريق الهجومي، علينا هز الشباك قليلًا (27).

- حسنًا، زيدي السرعة قليلًا.

ضغطت قدم تشانج المقود، ونظرت من النافذة الخلفية، وجه شاحب يعلوه تركيز، ثم أتاها صوت ريتشر: أسرع!

قفزت السيارة الفورد الخضراء للأمام، حوالي مئتي ياردة، وحينئذ زادت الشاحنة من سرعتها، مقتربة منهما بكل قوتها، هتفت تشانج: أعطني تقريب لمسافتهما منا، لا أستطيع تقدير المسافة عبر المرايات.

- مئتا ياردة؛ مما يعطينا ثماني ثوانٍ.

- أقل؛ لأني سأبطئ الآن.

- ستون ياردة.

- حسنًا، الطريق سالك من الأمام.

- ومن الخلف كذلك، لا يوجد أحد خلفنا سواهما، أربعون ياردة.



- سأبطئ أكثر، لا أستطيع بسرعة أكثر من الستين.

- عشرون ياردة.

- سأنعطف عن عشر ياردات.

- حسنًا، الآن، افعليها الآن!

امتثلت تشانج للقول، انعطفت بسيارتها لليسار فجأة، وكادت الشاحنة تصطدم بسيارتهما وهما ينعطفان، حيث زادت الشاحنة من سرعتها، والسابق يطلق البوق بقوة، بينما تأرجحت سيارتهما الفورد بقوة على الطريق موشكة على الانقلاب، ولكن سرعان ما توقفت السيارة بشكل آمن، في اتجاهها الصحيح، على بعد مئة ياردة من الشاحنة توقفت السيارة بعدما بدلا مواقعهما مع المطاردين..

- والآن مع السؤال الأكثر ملاءمة لهذا الموقف، ما الذي سنفعله الآن؟ نستدير صوبهم، هم يستديرون صوبنا، ويطاردوننا مرة أخرى من جديد؟

- قودي صوبهم بسرعة.

وأصطدم بهم؟

- هذا دومًا احتمال جيد.

- ولكن الشاحنة أخذت الخطوة الأولى، استدارت بشكل كامل واتجهت صوبهم، ببطء، وأخذ ريتشر هذا البطء كنوع من المراوغة والمفاوضة، كعلم أبيض، طلبًا



للهدنة.

- هما يريدان التحدث، مواجهة وجهًا لوجه.

- توقفت الشاحنة على بعد عشر ياردات، وانفتحت أبوابها ليترجل الرجلان منها، طولهما حوالي ستة أقدام ووزنهما قد يصل لمئتي رطل، كلاهما في منتصف الثلاثينيات، يرتديان نظارتين سوداوين، وسترات جلدية، سارا بحرص ولكن بثقة، كأنهما يعرفان ما الذي يجب فعله، كأنهما فريق الهجوم..

لا بد أنهما مسلحان.

- همست تشانج وأكملت: لم يكونا ليقتربا منا هكذا لو لم يكونا مسلحين.

- محتمل.

- أخذ كل من الرجلين موضعهما أمام السيارة، وراءهم الشاحنة وأمامهم سيارة تشانج، أحدهما على اليسار، بالقرب من منتصف الطريق، والآخر على أقصى اليمين، وقفا بجسد متمايل، ينتظران بثقة، أيديهما مستقرة على جانبيهما..

قال ريتشر: ادهسيهما.

لا أستطيع فعل هذا يا ريتشر.

- حسنًا، سأذهب وأرى ما الذي يريدانه إذن، لو حدث أي شيء اذهبي لأوكلاهوما بدوني، حظ سعيد.



- كلا، لا تخرج، الوضع خطير.

- لي أم لهما؟ إنهما مجرد اثنين من الريفيين.

- علينا افتراض أنهما يمتلكان سلاحًا.

- بشكل مؤقت.

- أنت مجنون.

- ربما ولكن لا تنسي، المخابرات هي من جعلتني على تلك الشاكلة، لقد عبرت كل اختباراتهم ما عدا القيادة.

لم ينتظر ردًا، فتح الباب، وخرج من الفورد..



الفصل الرابع عشر

رغم أن السيارة الفورد كانت صغيرة الحجم ولكن أبوابها كانت شديدة الاتساع؛ مما جعل ريتشر ينحني للخلف قبل أن يترجل من السيارة مما أعطاه زاوية أفضل للرؤية، كان منحنيًا صوب المحرك وهذا يعني أنهم لو بدؤوا إطلاق النار فبإمكانه الانطلاق بالسيارة ودهسهما، هذا لو كانا يمتلكان سلاحًا، وهو ما لم يتم إثباته بعد، ما عدا أنهما لو كانا يمتلكان سلاحًا، فهو لا يستطيع تخيل سبب يمنعهما من الترجل وإطلاق النار على الفور، كان بإمكانهما رميهما بالرصاص فور ترجلهما من الشاحنة، إلا لو أرادا الاحتفاظ بالسيارة دون ثقوب رصاص لجعل الأمر يبدو كحادثة، من الصعب تفسير كيف نامت السائحة وتعرضت للحادثة بثقوب رصاص في سيارتها، كما أن عليهم نقل جثته للسيارة مرة أخرى وهذا لن يكون بالأمر السهل، سيكون وزنه ثقيل للغاية وهو ميت، كلا، تخمينه أنهما لن يطلقا الرصاص، في حالة امتلاكهما للسلاح..

فصاح قائلًا: يا رجال، أمامكما ثلاثون ثانية، تقدما للأمام وتحدثا عن سبب وجودكما.

مد الرجل على يمين يده كبلطجي في حانة ليلية، فافترض ريتشر أنها إشارة للدعم للرجل الآخر، والذي بدا كأنه المتحدث الرئيسي..

قال الرجل الآخر بينما لا تزال يداه على جانبه: الأمر



بخصوص النزل.

- ماذا عن النزل؟

- إن عمنا هو من يديره، رجل مسكين معاق، وأنت تعامله بشكل سيئ، وتخرق القوانين كلها.

يداه لا تزالان على جانبيه.

خرج ريتشر من السيارة وتقدم ناحيتهما، بينما كان بإمكانه الشعور بحرارة المحرك.

- أي قوانين تلك التي أخرقها؟

- لقد أخذت غرفة نزيل آخر.

- هو لا يستخدمها الآن.

- هذا أمر غير مهم.

يداه لا تزالان على جانبيه.

تقدم ريتشر للأمام، خطوة تلو الأخرى، حتى أصبح مواجهًا للمصباح الأيسر من الفورد، تقدم عشر خطوات للأمام، حتى أصبح واقفًا بينهما، ليشكلا مثلثًا في أرض لا يقطنها الرجال، الرجل العاقد ذراعيه على صدره على اليمين، بينما المتحدث الرئيسي على اليسار، وريتشر يقف في المنتصف.

قال الرجل الواقف على اليسار: نحن هنا من أجل مفتاح الغرفة.



تقدم ريتشر خطوة أخرى للأمام..

هم على بعد سبع خطوات من الآن.

لا سيارات أخرى على مرأى منهم..

بينما تموج أعواد القمح في الحقول بنعومة مع أشعة الشمس فيبدو الحقل كأنه بحر من الذهب المتموج..

- سأعيد المفتاح عندما أرحل.

- أنت رحلت بالفعل، منذ تلك اللحظة، ولن تحصل على غرفة أخرى لو عدت مرة أخرى، سياسة النزل لها الحق في رفض النزلاء.

لم يقل ريتشر شيئًا.

فقال الرجل الذي على اليسار: ولا يوجد مكان آخر في «استراحة الأم» لك، نزل عمي هو المكان الوحيد في البلدة، هل وصلتك الرسالة؟

- لماذا سميت البلدة بهذا الاسم؟

- لا أعلم.

- من هو صاحب الرسالة التي توصلها إلي، عمك أم الطرف الآخر؟

- أي طرف آخر؟

- شيء سمعت عنه.



- لا يوجد طرف آخر.

- جيد، قل لعمك إني سأراه لاحقًا، لأني لم أخرق قوانين، والغرفة تم دفع ثمنها مسبقًا.

- فتح الرجل على اليمين ذراعيه المعقودتين وقال الواقف على اليسار: هكذا سيتحول الأمر لمشكلة؟

- الأمر مشكلة بالفعل!

- قالها ريتشر ثم أردف: السؤال هو، ما الذي ستفعله بشأن تلك المشكلة؟

ساد الصمت لوهلة، الجو حار، والمكان خالٍ هنا، في وسط الصحراء، ثم أجاب الرجلان ريتشر بأن مدا أذرعهما في اللحظة نفسها داخل معاطفهما واستلا مسدسين نصف أوتوماتيك من داخل أغمدتها المعلقة في حزاميهما..

وتلك كانت غلطتهم، فقد كان بإمكان ريتشر أن يريهما كيف أن ما فعلوه غلطة فادحة؛ إذ كان بإمكانه أن يبدأ محاضرة طويلة وهما جالسان أمامه يتلقيان الدرس، أن يريهما كيف أنهم ختما أقدارهما بدخولهما معركة دامية مبكرًا، وكيف أن استراتيجية التعجيل بنهاية اللعبة خاطئة دومًا، فالتهديدات لا بد من الرد عليها، وهذا يعني أن عليه أخذ سلاحيهما منهما؛ لأن الرسل المهددين لا بد من هزيمتهم؛ ولأن القوم في «استراحة الأم» عليهم التيقن من أنه سيكون مسلحًا عندما يعود للبلدة، أراد أن يخبرهما عن



خطئهما، وأنهم تسببا بما حدث لأنفسهما..

لكنه لم يخبرهما بشيء، لقد انبطح ومد يده في معطفه ليخرج لا شيء سوى الهواء، لكن الرجلين لم يعرفا هذا، وكمطلقي النار المحترفين في ساحة التدريب، استلا سلاحيهما وتراجعا متخذين أوضاعًا دفاعية في ثوانٍ، وفي تلك الثانية، بينما أقدامهما تتحرك عندما اعتقدوا أن ريتشر يستل سلاحًا، توازنهما لم يكن كاملًا، تقدم ريتشر للأمام مسرعًا وركل الرجل على اليسار بكل قوته فيما بين ساقيه، بينما مسدس الرجل لا يزال في منتصف الطريق خروجًا من غمده، وهذا يعني أن سلاح الرجل الآخر قد وجد طريقه بالفعل، ولكن ليس لمده طويلة لأن الحدث التالي في حياة هذا الرجل وهو ضربة كوع ريتشر التي حطمت فكه، حتى سادت العتمة رأس الرجل..

تراجع ريتشر للخلف، وتفحص الرجل الآخر الذي كان مشغولًا بالتلوي كعادة كل من ركلهم ريتشر من قبل، نظر ريتشر للسلاح، مسدس من نوعية طراز «سميث وويسون»(26) عيار ٤٠ ملم، سلاح غالي الثمن، عامر بالذخيرة، كل من الرجلين حملا محافظ في جيوبهم الخلفية، وكل منهما حمل قرابة المئة دولار، أخذ ريتشر غنائم الحرب، رخصة قيادة كل منهما حملت الاسم ذاته، موهينيان، وهذا يعني أنهم حقًّا إخوة أو أولاد عم، أحدهم يدعى جون، والآخر ستيف..

حمل ريتشر الأسلحة وعاد للفورد الخضراء، نافذة تشانج



مفتوحة، وضع مسدس في جيب معطفه وأعطى الآخر لتشانج، أخذته بقليل من التردد، سألها: هل سمعتِ ما قالوه؟

- كل حرف.

- استنتاجات؟

- هناك احتمالية قولهم للحقيقة، ربما العجوز عمهما، وهناك الاحتمال الآخر بأنه ليس عمهما.

- أنا أصوت للاحتمال الآخر، تلك غرفة مدفوع ثمنها، لماذا كل تلك الضجة؟

- لقد كان من الممكن أن تقتل.

هز ريتشر رأسه..

- كان من الممكن أن أتعرض للقتل عدة مرات، ولكن هذا فيما سبق، ليس اليوم، وليس بواسطة هؤلاء.

- أنت مجنون.

- أو كفء.

- وماذا الآن؟

نظر ريتشر للخلف، فقد كان الرجل على اليمين في مرحلة انتقالية من فقدان الوعي للارتجاج، والآخر على اليسار يتلفت حول نفسه على الارض متألمًا..

- أطلقي عليهما النار لو تحركا.



- سار ريتشر عشر خطوات للشاحنة، اعتلاها ودلف للداخل، الدرج الأمامي به ترخيص الشاحنة، ووثيقة تأمين باسم ستيفن موهينيان، لم يكن هناك شيء آخر مهم، أطفأ المحرك، أخذ المفاتيح، وترجل من السيارة..

قام بجر الرجلين واحدًا تلو الآخر وأجلسهما أمام الشاحنة، كلاهما مستيقظ وواعٍ في تلك اللحظة، قال لهم: راقبا بحرص.

حصل على انتباهما، أخذ مفاتيحهما، ورماها بعيدًا في الصحراء، على بعد أمتار عدة، سيستغرقهما الأمر على الأقل ساعة من البحث لإيجاد المفاتيح، وربما هم بحاجة لساعة أخرى كي يصبحا قادرين على فعل أي شيء، عاد ريتشر للفورد، وقادتها تشانج مبتعدة، كل حين وآخر يستدير ريتشر للخلف، الشاحنة لا تزال مكانها، قبل أن تختفي عن ناظريه مع ابتعاد تشانج بالفورد..

استغرقت الرحلة ثلاث ساعات حتى الطريق السريع، وساعتين أخريين لأوكلاهوما، لكنها لم تشهد أحداثًا أخرى، قبل أن يبدأ هاتف تشانج الخلوي بإحداث ضجيج، رسائل عدة، بريد صوتي وإلكتروني، لقد وصلا لمنطقة بها تغطية شبكة..



الفصل الخامس عشر

عادت تشانج للقيادة بيد واحدة، بينما قال لها ريتشر: علينا أن نستريح قليلًا، قبل أن نتعرض السيدة السائحة لحادثة فنحن بحاجة للقهوة.

- أنا لا أفهم لماذا تشرب كل تلك القهوة.

- أجابها ريتشر: بسبب قانون الجاذبية، فلو قلبتي القهوة سوف تسقط للخارج؛ لذا لا يوجد أمامك سبيل سوى شربها.

- لا بد أن قلبك يضخ أدرينالين طيلة الوقت.

- أفضل من العكس.

- بعدما قطعا ميلًا آخر وجدا إشارة وأخذا المخرج التالي الذي أوصلهما لاستراحة على الطريق ومحطة وقود، تجاورها دورات مياه، ومبنى قديم مهجور مصمم بالطراز الفيدرالي، ركنًا السيارة وخرج كلاهما، كان الوقت بعد الظهيرة والجو لا يزال دافئًا.. تمطط كل منهما وذهبا لدورات المياه ليتقابلا مرة أخرى في متجر القهوة، حصل ريتشر على قدحه المعتاد من القهوة السوداء، وحصلت تشانج على مثلها مثلجة، بلبن، وجدا منضدة في الركن، جلس كلاهما ووضعت تشانج هاتفها جانبًا، وبدأت تفحصه عن طريق لمس الشاشة، قبل أن تقول: لا شيء من كييفر.



- جربي الاتصال به مرة أخرى.

- كلانا يعلم أنه لن يرد.

- أشياء أكثر غرابة تحدث، ذات مرة قام ثلاثة أقسام مختلفة من الشرطة والحرس الوطني بالبحث عن رجل، وفجأة ظهر ليخبرنا أنه كان في إجازة خارج البلاد.

- نحن نعلم أن كييفر ليس في إجازة.

- جربي الاتصال به على أية حال.

- بعد لحظة من التردد أجرت تشانج محاولة الاتصال، اتصلت برقم منزله، ورقم هاتفه الخلوي، لا رد من كليهما.

قال لها ريتشر: جربي رقم لوس أنجيليس مرة أخرى، الرقم على الوريقة إياها التي تحمل ملاحظة ٢٠٠ حالة موت.

أومأت تشانج برأسها، واتصلت بالرقم وقربت الهاتف من أذنها، تلك المرة أجابها أحدهم.. بدهشة قالت تشانج: مساء الخير يا سيدي، هل لي أن أعلم مع من أتحدث؟

قالتها بالطريقة نفسها التي سألت بها ريتشر عندما رأته للمرة الأولى، وكانت الإجابة نفس إجابته :

من الذي يسأل؟

- اسمي ميشيل تشانج، أنا محققة خاصة، أعمل في سياتل،



كنت محققة في مكتب التحقيق الفيدرالي، الآن أعمل مع رجل يدعى كييفر، أعتقد أنه أجرى مكالمة معك، لقد وجدت رقمك في غرفته.

لم يكن لريتشر أدنى فكرة عن سؤال المتحدث التالي، لكنه أدرك أنه سؤال عن كيفية تهجئة كييفر؛ لأنها أجابت: ك ي ي ف ر.

صمت طويل، إجابة، سلبية بشكل أكيد؛ لأن تشانج قالت: هل أنت متأكد من هذا؟

دارت محادثة طويلة بعد ذلك، لكنها من جانب واحد، حيث قام الرجل من لوس أنجيليس بأداء الحديث كله، ولم يتمكن ريتشر من سماع شيء، كما أن تعبير وجه تشانج أعطاه ألف سيناريو مختلفًا كلها ينافس بعضها الآخر، دون أن يحظى بأي دلالة مفيدة منها، ربما المتحدث يعطيها تفاصيل متتالية، ربما هو ممثل أو يعمل في هوليوود، إنها لوس أنجيليس بعد كل شيء، لكن المحادثة كانت غير واضحة ولم تقدم أدلة واضحة لكي يبني ريتشر نظرية؛ ولذا في النهاية كف عن الاستنتاج وجلس ينتظر.. حتى قالت تشانج: وداعًا، وأنهت المكالمة، أخذت نفسًا عميقًا بعدها، ورشفت من كوب القهوة قبل أن تقول: اسمه ويستوود، صحفي في جريدة «نيو يورك تايمز».

إنه المحرر العلمي للدقة، وهو قسم ضخم في الجريدة حسب ما يقول، عمومًا هو يكتب في صحيفة يوم الأحد، وقد



أكد لي أن كييفر لم يتواصل معه، لديه عادة بتسجيل ملاحظات عن كل المكالمات الواردة؛ لأن هذا ما يفعله الصحفيون تلك الأيام، وكييفر غير موجود في سجل بياناته؛ ولذا كييفر لم يتصل به

هذا الرجل.. ويستوود، ليس العميل أليس كذلك؟

هزت تشانج رأسها.

- كان سيقول لي إذا كان هو العميل عندما أخبرته أني شريكة كييفر.

- عندما وجدنا الرقم قلتِ: إنه إما العميل، أو مصدر معلومات، أو شركة مستقلة، لو لم يكن العميل فهو أحد الاحتمالين الآخريين، ربما كييفر كان يخطط الاتصال به بعدما يتصل بك، أو ربما دورك هو الاتصال به.

- علينا مواجهة احتمالية أن الرقم لا علاقة به بكييفر، كما قلت لك آنفًا، ربما قبعت تلك الملاحظة في الغرفة لأشهر قبل مجيء كييفر..

- ما الذي يعمل عليه كييفر الآن؟

- مقالة عن أصول القمح، وكيفية تحول القمح القديم للقمح الحديث، عن التعديلات الجينية وخلافه، مقالة تجارية لو أردت رأيي، تسويقية أيضًا، لقد عدلنا القمح فلم لا نفعلها مرة أخرى؟

- هل لهذا الأمر أي علاقة بنا؟



- لقد رأينا الكثير من القمح في «استراحة الأم».

- لقد رأينا كمية قمح يكفي مدى العمر.

قالت تشانج: لكني أميل للنظرية الأخرى، الرقم لا يخص كييفر، خمسمئة نزيل آخر، لا بد أن الرقم يخص أحدهم.

ما مدى سهولة الحصول على رقم ويستوود في العموم؟

يعتمد الأمر على حقيقة هل هذا رقمه القديم أم أنه قام بتغييره، بعض أرقام الصحفيين نتواجد على الشبكة العنكبوتية تلك الأيام لو بحثت جيدًا وبعض الصحفيين يحبون هذا.

أفرغ ريتشر كوب قهوته ولم يرد، نظرت إليه تشانج وقالت: بمَ تفكر؟

أفكر أن هناك نظرية بديلة، لو كنا في محاكمة ونعرض البراهين، فربما يفوز المدعي العام بنظريتك، لكنَّ هيئة المحلفين سينتابها الأرق، أحدهم سوف يستيقظ ليلًا، في الرابعة صباحًا ليفكر بتلك النظرية البديلة، لنبدأ بفرضيتك نفسها أن هناك شخصًا ما قبل كييفر يحمل الوريقة، شخص مختل ومهووس ينتوي قتل ٢٠٠ فرد، ولكي يثبت نيته يتحدث مع صحفي ويخبره بما ينتويه، يحصل على رقم الصحفي من الشبكة الإلكترونية، تلك الوريقة، الملاحظة، تبدو ذات شأن بالنسبة لي يا تشانج؛ الأمر كله مترابط بشكل ما..



علينا العودة للطريق.



الفصل السادس عشر

ساعدهم جهاز الخرائط الإلكترونية المزود في السيارة الفورد بالعثور على منزل كييفر دون مشقة في أوكلاهوما، فالمنزل متواجد بمنطقة في الشمال ذي طابق واحد في شارع مسدود، وهناك شجرة صغيرة الحجم في الساحة الأمامية، تعاني من نقص المياه، ومدخل سيارات أمام البيت، ومرآب يتسع لسيارة واحدة، السقف بني، والجدران صفراء، لم يكن المنزل تحفة هندسية، ولكن غروب الشمس جعله يبدو جميلًا، بطريقة ما، بدا كمنزل رحب ودافئ، تخيل ريتشر كييفر يعود للمنزل، يتخلص من حذائه، ويستلقي بارتياح في مقعده ويشاهد مباراه كرة قدم..

ركنت تشانج السيارة في المدخل، وخرجا سويًّا واتجها للباب، هناك جرس ومطرقة، جربا الاثنين بلا رد، الباب كان محكم الغلق، والمقبض لم يدُر معهم، استقر الظلام داخل البيت من خلف النافذة.

هل يمتلك عائلة؟

- مطلق.

- مثل الكثيرين.

- هل هو من نوعية الرجال الذين يتركون مفتاحًا احتياطيًّا أسفل آنية الزرع؟



- أنا واثقة من أنه يمتلك جهاز إنذار.

- لقد عبرنا مسافة طويلة لنصل هنا.

- أعلم هذا.

- تنهدت تشانج وهي تقولها قبل أن تستطرد: لنتفحص في الخلف، ربما ترك نافذة مفتوحة، أو مواربة على الأقل.

كان الشارع هادئًا، تستقر به سبعة بيوت متشابهة، ثلاثة على كل جانب، وواحد في نهاية الشارع، لا توجد سيارات متحركة، لا عيون فضولية، لا اهتمام، ليست بمنطقة تعج بالجيران الفضوليين، هناك شعور بالعزلة في هذا الحي، كما لو أن كل قاطنيه رجال مطلقون يحتاجون عامًا أو اثنين ليتعافوا..

وقد كان هناك سياج يحيط بالفناء الخلفي لمنزل كييفر، ومقعد يواجه الخضرة، موضوع بشكل لطيف، الجدران الخلفية للبيت لها اللون الأصفر نفسه، وهناك أربع نوافذ وباب، كل النوافذ مغلقة، وكذلك الباب مغلق بإحكام، وهناك تسع نوافذ بالأعلى كبيوت المزرعة، الأرض كانت مسطحة، والبيوت منخفضة، بينما السياج عالٍ.. ولكن رغم هذا كان -ريتشر وتشانج- في مجال الرؤية..

تلفتت تشانج حولها وقالت: أحاول تخمين معدل استجابة الجيران لو انطلق جهاز إنذار في حالة اقتحامنا للبيت.

ما بين عشرين دقيقة، ولا رد فعل على الإطلاق في



الأغلب.

إذن نعطي أنفسنا عشر دقائق، ندخل ونخرج، بشكل سريع وحريص.. أعني اقتحام بيته ليست بجريمة حقًّا لقد عملنا سويًّا هو لم يكن ليقاضيني مثلًا.. ليس في مثل تلك الظروف.

- نحن لا نعلم ما الذي نبحث عنه.

- أوراق وملاحظات.. نأخذ كل المفكرات والورق ونتفحصها بدقة وعناية لاحقًا.

- حسنًا، علينا كسر النافذة.

- أي نافذة؟

- ربما الباب بدلًا من النافذة لندخل سيرًا.

- هيا إذن.

- في البدء كسر ريتشر الزجاج، ثم مد ذراعه بالكامل محاولًا تحسس المقبض من الداخل، أدار ريتشر المقبض، اعتصره بيده، قبل أن يفعل هذا تحسس الباب لمعرفة وزنه والقدر الذي سيحتاجه من القوة لفتحه، استدار المقبض مع يد ريتشر، وانفتح الباب..

استمع ريتشر بحرص، منتظرًا سماع الصوت المتتالي إياه للإنذار، أو سماع إشارة التحذير، ثلاثون ثانية في المعتاد من التحذير لإعطاء أهل البيت فرصة لتعطيله قبل انطلاق الإنذار، ولكنَّ شيئًا لم يحدث، لا صوت، لا تحذير، لا



إنذار.

- هذا غير منطقي.

- قالتها تشانج..

تحسس ريتشر سلاح الـ«سميث وويسون» في جيبه، لا زر أمان، مستعد للإطلاق، فقط صوب وضغط الزناد، تقدم ريتشر للأمام، من الباب الخلفي عبر المطبخ، الذي كان خاليًا، لا توجد دلالات على حدوث أي عنف، لا شيء في غير موضعه، ذهب للردهة، الباب الأمامي أمامه، والشمس تغرب، المنزل كان ممتلئًا بضوء الشمس الذهبي المصاحب للغروب، هواء ساكن وصمت مطبق يخيم على المكان..

شعر ريتشر بتشانج تتحرك لليسار من خلفه فذهب هو لليمين، ذهب للصالة المحتوية على أربع غرف، غرفة نوم رئيسية، ممر، غرفة ضيوف بفراش، وغرفة ضيوف أخرى بمكتب، كلها شاغرة، لا شيء في غير موضعه، لا توجد دلالات على حدوث عنف..

قابل تشانج في منتصف الممر، بالقرب من الباب الرئيسي، هزت رأسها وقالت: كأنه خرج ليبتاع البيتزا، هو لم يقفل الباب بالمزلاج، كأنه خرج ليعود بعد وهلة قصيرة.

- جهاز الإنذار كان معلقًا على الحائط، تم تركيبه حديثًا، كان يظهر التقويم بضوء أخضر ثابت، جهاز



الإنذار كان مفصولًا..

- لنذهب ونأخذ ما أتينا من أجله.

قالها ريتشر..

قاد المسيرة للخلف، لأصغر غرفة نوم، حيث استقر مكتب وكومود، عدة إدراج، خزائن، وحاسب آلي يجاوره هاتف، وآلة فاكس وطابعة، فكر ريتشر أنها استثمارات من أجل مستقبل مهني جديد، لدينا مكاتب في كل مكان، كما قالت تشانج عن عملهم، الغرفة كانت مرتبة، لكن لم يكن هناك أوراق ولا مفكرات ولا ملاحظات.. وقف ريتشر مكانه قبل أن يقول: هذا الرجل كان شرطيًّا وعميلًا فيدراليًّا، قضى ساعات في وظيفته يتحدث عبر الهاتف، وينتظر، هل يفعل أي أحد هذا دون قلم وورقة؟ من أجل تدوين الملاحظات الهاتفية، وانقضاء الوقت، تلك عادة لا يمكن التخلص منها..

- ما الذي تعنيه؟

- أعني أن هناك هراءً يحدث هنا.

انحنى ريتشر، للخزائن البلاستيكية أسفل الأدراج، فتح واحدة، تلو الأخرى، الأولى كانت تخزن أوراق الطباعة، الثانية كانت من أجل أوراق الفاكس والحبر، الثالثة احتوت على معاملات ورقية وسجلات قانونية.



تفحصها ريتشر قبل أن يقول لتشانج: أنا آسف.

- علام؟

- الأمر لا يبشر بخير، هذا الرجل اعتاد استخدام الكثير من الأوراق، الكثير منها لدرجة أنه يبتاعهم بالجملة، أراهنك على أن مكتبه كان مكتظًا بالأوراق، كان بإمكاننا فهم كل شيء لو وجدنا أكوام الورق تلك، ولكن أحدًا وصل هنا قبلنا، وأخذ الأوراق كلها..

- من؟

- الطريقة التي يتم بها الأمر، الـ« كيفية»؟، هي التي ستخبرنا مَن، أخشى أن يكون كييفر مختطفًا في مكان ما، هذا هو التفسير الوحيد، لقد وجدوا الملاحظات في جيبه، ربما قطعوها من سجل ملاحظاته الأصلي، أو وجدوها في محفظته، مع رخصة قيادته التي أخبرتهم بعنوانه، وأتوا هنا بحثًا عن المزيد من الملاحظات، وفي الأغلب وجدوا مفاتيحه في الجيب نفسه؛ لذا تمكنوا من الدخول بسلاسة، أعتقد أن في هذا نوعًا من الرحمة بالنسبة لكييفر، هم لن يبرحوه ضربًا من أجل الملاحظات، لقد وجدوها هنا بسهولة..

- هذا تفسير قوي.

- لا أمتلك تفسيرًا آخر.

- لكننا لا نعرف من الذي يفعل هذا.



«استراحة الأم»، هذا آخر مكان معلوم لكييفر.

- تفحصا وفتشا وبحثا كل ركن وصوب في غرفة كييفر، لم يكن هناك أي شيء ذو فائدة، ذهبا للمطبخ بعدها، أغلب مقتنياته لم يتم استخدامها، ملاعق فضية تم ابتياعها دون حماسة بلا شك، ولم يتم تناول أي طعام بها، لا شيء مخفي ها هنا، الحال نفسها في غرفة المعيشة وغرفة تناول الطعام، البحث كان سهلًا؛ لأن كييفر لم يمتلك الكثير من الأثاث، الفراش في غرفة الضيوف كان معدًا لأطفاله، يلتقي بهم في ساعات الزيارة المتفق عليها مع طليقته دون ريب، كل عطلة أسبوعية، حسبما اتفق مع المحامين، لكن ريتشر شعر أن تلك الغرفة لم يتم استخدامها.. مطلقًا..

ذهبا لغرفة النوم الرئيسية، هناك فراش يجاوره كومود، أدراج خشبية، خزانة ثياب، وعلبة للاحتفاظ بالمحافظ والساعات والعملات المعدنية كأنك في فندق أنيق، رائحة الحمام كانت عطبة، والمناشف كانت في حالة مزرية، نظر ريتشر إليها دون اهتمام ورأى ثلاثة أشياء..

مجلة في الأعلى، إصدار يوم الأحد من توقيت لوس أنجيليس..

ثاني شيء رآه هو أن هناك علامة حفظ أوراق في المجلة تعلم إحدى الصفحات، ثالث شيء لاحظه هو وجود ثنية ورق على الغلاف.. تم طيها مرة واحدة.. تلك أول أوراق



مثيرة للاهتمام يراها ريتشر في المنزل..



الفصل السابع عشر

كانت العلامة التي تم وضعها بين الصفحتين خالية، اللهم إلا رقم ٤، وهو الرقم الوحيد في اللغة الإنجليزية الذي يطابق عدد حروف كتابته معناه الرياضي(25)، ولكن بخلاف الرقم لم يكن هناك أي شيء مكتوبًا، قالت تشانج: أنا مع المدعي العام الذي سيقول للمحلفين: إن الرقم لا علاقة له بقضيتنا..

أومأ ريتشر برأسه، ثم فتح مجلة أخبار لوس أنجيليس، حيثما ثنى كييفر الصفحة، وانفتحت المجلة لتريهم مقالًا علميًا طويلًا مكتوبًا بواسطة آشلي ويستوود، المقال كان يتحدث عن علاج إصابات وأمراض العقل، ويعطينا مفهومًا شاملًا عن العقل البشري، المجلة كانت من إصدار أسبوعين..

رفعت تشانج حاجبيها قائلة: المدعي العام سيبدأ مرافعته باقتباس من مجلة أخبار لوس أنجيليس..

- أي اقتباس منهم؟

- قرابة المليون واحد على ما أظن.

- المدعي العام سيؤكد أن احتمالية كل تلك الإشارات لأخبار لوس أنجيليس وويستوود صدفة تساوي صفرًا.

- حسنًا هذا الذي سيقوله المدعي العام، ما الذي سيقوله عميل التحقيق الفيدرالي.



- لقد تدربنا على أن نفكر مسبقًا، ونتوقع ما الذي سيقوله المدعي العام.

قلب ريتشر حافظة الورق بين يديه، جانب فارغ، ولكن الجانب الآخر لم يكن فارغًا، نظر هو وتشانج للكلام المكتوب.. رقم ويستوود مرة أخرى، وجواره تمت كتابة:

««استراحة الأم»، «مالانوي»».

- والآن ما الذي سيقوله المحقق الفيدرالي بشأن هذا الصدد؟

- ستقول للمدعي العام أن يذهب للجحيم؛ الأمر كله له علاقة بكييفر إذن، الوريقة، ٢٠٠ حالة موت، كل شيء، والصحفي ويستوود مصدر معلومات بشكل ما، شيء له علاقة ببلدة «استراحة الأم»، ربما هناك أحد يُدعى مالانوي، لقد قابلنا أولاد العم موهينيانس للتوِّ..

ولكن لماذا وضع حافظة الورق أمام المقال العلمي؟

- ربما لم يقرأه بعد.

- ولهذا لم يتصل بويستوود، كان ينتوي فعل هذا بعد قراءة المقال، لنحاول أن نفهم شخصية العميل، الذي وظف كييفر، هو رجل شغوف، مهووس، رجل كهذا، هاتفه هو منطقة الأمان بالنسبة له، يروي القصة نفسها مرارًا وتكرارًا عبر الهاتف، لكائن من كان سيسمع، «استراحة الأم»، مئتي حالة موت، لو لم تصدقني اتصل



بهذا الصحفي في لوس أنچيليس، ويعطي الرقم لمن يسمعه، وكييفر يسجل كل هذا، يدون الملاحظات؛ لأن تلك طبيعة كييفر؛ لذا وجدنا رقم ويستوود مع ملاحظة المئتي حالة موت بسهولة..

- ربما في البدء افترض كييفر أن العميل مخبول، لا بد أنكم تتعرضون لمثل هؤلاء العملاء كل حين وآخر.

ولكنَّ هناك شيئًا ما قاله هذا العميل المخبول، هذا الشيء أثار توجس كييفر، جعله يحقق في الأمر، بتشكك، لكنه بدأ التحقيق، وبما أننا في أوكلاهما، فلقد كان على كييفر الذهاب لمحطة القطارات ليحصل على المجلة الورقية الخاصة بلوس أنچيليس، لكنه تكبد عناء الذهاب، وحصل على المجلة، يريد التحقق من ويستوود، شاهد العيان، قبل الاتصال به، يريد معرفة هل هو صحفي جيد أم لا، جاد أم لا، يقرأ مقالاته ويدرسه، متى بدأ البشر زراعة القمح؟

- منذ ألف عام، حسب المكان.

- وهذا يخبرنا أن ويستوود صحفي بارع، مقالة طبية عن العقل البشري، ثم يعود بعدها ألف عام للوراء لتقفي آثار القمح، ولكن كييفر لم يعلم أن ويستوود صحفي بارع؛ لأنه لم يتسنَّ له قراءة المقال، وهذا يعني أن ما أخبره به العميل كان أمرًا مثيرًا للاهتمام، وعاجل في الآن ذاته.

- يبدو كأنه أمر شديد العجلة الآن.

- بالضبط، نحن بحاجة لمعرفة كنه هذا الأمر.



- لم يكونا في حي يكتظ بالجيران الفضوليين، لكن لم يكن هناك داعٍ للمخاطرة، تسللا خارجين من الخلف وأغلقا الباب خلفهما، واتجها بعدها للسيارة.

قال ريتشر فور أن دخل السيارة: علينا التحدث لويستوود مرة أخرى.

- لكن كييفر لم يتصل به يا ريتشر، لا يوجد لديه شيء ليخبرنا إياه.

- ربما شخص آخر اتصل به، بإمكانه أن يخبرنا عن هذا الشخص.

- ومن هذا الشخص الآخر؟

- لا نعلم هذا بعد.

لم ترد تشانج، أخرجت هاتفها الخلوي، وقالت: لقد فعَّلت مكبر الصوت.

سمع ريتشر رنين الهاتف قبل أن يأتيهم صوت ويستوود.

- مرحبًا.

- سيدي، اسمي هو جاك ريتشر، أنا أعمل حاليًا مع زميل لي، ميتشيل تشانج، لقد تواصلت معك منذ قليل.

نعم أنا أتذكر، لقد اتفقنا أن زميلها، اسمه كييفر أليس كذلك؟ لقد أكدت لها أنه لم يتواصل معي.

- نعم، ونحن ندرك هذا، لكننا نمتلك مؤشرات واضحة



أنه كان ينتوي الاتصال بك.

- سادت برهة من الصمت قبل أن يأتيهم صوت ويستوود.

أين هذا الرجل الآن؟

أجابه ريتشر: مفقود.

كيف؟ أين هو؟

لم يرد ريتشر، تابع ويستوود: أسئلة خرقاء على ما أعتقد.

- الجزء الخاص بكيفية اختفائه مهم، الجزء الخاص بأين هو لهو سؤال أخرق، نعم لأننا لو كنا نعلم أين هو لما أصبح مفقودًا.

- عليك تفقد المكالمات التي أجراها بالفعل، وليس التي كان ينتوي فعلها.

- معلوماتنا محدودة.

- ما الذي تقصده؟

- نحن نحاول حل القضية بشكل عكسي يا سيد ويستوود، نعتقد أنه كان ينتوي الاعتماد عليك من أجل الحصول على معلومات مهمة، لقد كان بحاجة لخبرتك.

- أنا صحفي، لست خبيرًا بشأن محدد.

- لكنك تمتلك معلومات.



- أي أحد يقرأ ما أكتبه لديه القدر نفسه من المعلومات.

- أعلم أن أغلب القراء يفترضون أن الصحفي لا يكتب كل شيء، ربما ينقح ما يكتبه لأسباب قانونية وهكذا، ويفترض -القراء- أنك تحب تلك النوعية من الأشياء ويحترمون لقبك الوظيفي.

- من المحتمل نعم لكننا نتحدث عن مكالمة هاتفية لم تحدث بيني وبين رجلك المختفي.

- كلا، نحن نفكر في عميل كييفر الآن.. نعتقد أنه شخص ذو شغف، يمتلك الكثير من الوقت، لدينا أدلة على أنه اتصل بكييفر عدة مرات؛ ولذا أنا أراهن أنه اتصل بعدد غفير آخر من الأشخاص، من البيت الأبيض مرورًا بالجميع، ربما اتصل بمئات الأشخاص وأنت منهم، لماذا لن يتصل بك؟ أنت محرر مهم في مجلة مشهورة، ربما قرأ شيئًا لك له علاقة بمشكلته، ربما وجد رقمك على الشبكة الإلكترونية وأعطاه لكييفر.. أعتقد أن العميل لديه اهتمام علمي، وهو يعتقد أنك ستتفهم قضيته؛ لذا أعتقد أنه اتصل بك، وأعتقد أنك تحدثت معه.

مرت لحظت صمت، ثم ومن على بعد آلاف الأميال أتاهم صوت ويستوود، متحشرجًا قليلًا، كأنه يقاوم ابتسامة: أنا أعمل في جريدة أخبار لوس أنجيليس، في لوس أنجيليس، كاليفورنيا، ورقمي متاح على الشبكة



الإلكترونية، أنا لا أشتكي، لكني أحصل على مكالمات غريبة طيلة الوقت، ليلًا ونهارًا، لقد اتصل بي كل المهووسين بالنظريات العلمية، يتصلون بي ليتحدثوا عن المخلوقات الفضائية والسحرة الطائرين، والإشعاعات والانتحار والميلاد، وهذا كله في الشهر السابق فحسب..

- هل يتم تسجيل تلك المكالمات في السجل؟

- تلك المكالمات هي السجل، اسأل أي صحفي.

- هل يمكنك البحث في السجل بعنوان المكالمة؟

- نحن كسالى بشأن التفاصيل، هؤلاء المتصلون يستطردون كثيرًا، نحن نقسم المكالمات، عمود تلو الآخر، ولاحقًا سأجب وأحظر مكالماتهم، عندما يتمادون كثيرًا، أنا بحاجة للنوم في نهاية الأمر.

- ماذا عن «استراحة الأم»؟

- ما هذا؟

- اسم بلدة، من كلمتين، تخيل والدتك تستريح في مقعدها المفضل.

- ولماذا سميت البلدة بهذا الاسم؟

قال ريتشر: لا أعلم.

سمعوا صوت ويستوود وهو يكتب على لوحة المفاتيح الخاصة به، يبحث باسم «استراحة الأم» في السجل، قال



لهم: لا شيء.

- هل أنت متأكد؟

- الاسم مميز، لا خلط هنا، لا شيء.

لم يرد ريتشر..

- أنا لا أقول: إن موكل كيبفر لم يتصل بي، لقد اتصل بي في الأغلب، كلنا يعرف أناسًا مثله، أنا فقط لا أعرف كيف أتعرف عليه؟

***

خرجا من شارع كيبفر، ومن منطقته السكنية، مرورًا بمركز تجاري، وصولًا لمدخل الطريق السريع، حيث مطاعم الشواء، والفنادق الفاخرة، هنا قالت تشانج: كلا، علينا العودة.



الفصل الثامن عشر

تناولا الطعام بصمت في استراحة على الطريق بدلًا من الذهاب لمطاعم الشواء؛ إذ تناول ريتشر شطيرة لحم بالجبن وكوب قهوة، وتناولت تشانج سلطة في طبق بلاستيكي بحجم كرة سلة، كانت محمومة بالتفكير وقلقة، وربما مرهقة قليلًا من القيادة، ولكن بالرغم من كل هذا كانت لا تزال صحبة جيدة لريتشر، فقد عقصت شعرها للخلف، والتهمت طبق السلطة بفم متسع وعينين متسعتين، بينما رفع ريتشر الشطيرة وحاول أن يقضم منها..

حين قالت له: شكرًا لمساعدتك يا ريتشر.

- العفو.

- علينا التفكير باتفاق ما بيننا.

- حقًّا؟

- لا يجب علينا البدء في العمل كفريق لو سينتهي بي المطاف في العمل على تلك القضية وحدي.

نظر لها ريتشر قائلًا: عليك الاتصال بالشرطة.

سيكون بلاغًا عن شخص مفقود، رجل بالغ يحيا وحيدًا، اختفى ليومين، في رحلة عمل، لن يهتموا بالأمر، لا توجد أدلة لتقديمها إليهم.

- باب منزله.



لا يوجد كسر، باب غير مغلق ليس بدليل على شيء، سوى إهمال صاحب المنزل.

- إذن أنتِ تريدين توظيفي؟ كيف سيتم الأمر؟

- أنا أريدك فحسب أن تخبرني بنواياك.

لم يرد، فتابعت هي: بإمكانك الرحيل، لن أحمل لك ضغينة.

- لقد كنت متجهًا ليشكاغو.. قبل أن يحل البرد.

- اذهب إذن، عد لأوكلاهوما، وخذ القطار لشيكاغو من هناك.

لم يقل ريتشر شيئًا، بينما أراد أن يثني على حذائها المطاطي، شديد العملية ذي المظهر الأنيق، فقد كانت ترتدي سروالًا جينز قديمًا وقميصًا أسودَ، ليس بضيق ولا واسع، وعندما التقت عيناها بعينيه..

قال: سوف آتي معك، لو أردتيني أن آتي، تلك قضيتك وليست قضيتي.

- لا أريد أن أحملك المشقة.

- لا مشقة، أنا أريد القدوم.

- لن أستطيع أن أدفع لك شيئًا.

- لديَّ كل ما أحتاجه.

- وما هو هذا؟



- بضعة جنيهات في جيبي، وأربع نقاط سوداء على الخريطة.

- أنا بحاجة لفهم أسبابك.

- أي أسباب تلك؟

- أسبابك لمساعدتي.

- أعتقد أنه على البشر مساعدة بعضهم البعض.

- هذا لا يحدث هنا.

- أنا واثق أن كلانا مر بما هو أسوأ.

- لحظة صمت قبل أن تقول تشانج: آخر فرصة.

ثم تقول: ريتشر، سوف آتي معك.

***

خيم الظلام على الطريق السريع، وانطلقت عجلات السيارة الفورد، بينما تترامى حقول القمح من حولهم، وقد توسط القمر قلب السماء ومن حوله النجوم البعيدة، كان من المتسحيل تحديد المنطقة التي تركا فيها أولاد العم موهينيانز، فالطريق متشابه للغاية، والشاحنة لم تعد موجودة، لم يرياها يمينًا ولا يسارًا، فقط الطريق القديم المتفرع من الطريق السريع والمؤدي لحقول «استراحة الأم» حتى وصلا للبلدة، وذهبت بهما السيارة للميدان، وصولًا للنزل بعد ذلك.



سطع الضوء القادم من مكتب الاستقبال.

فقالت تشانج: ليبدأ المرح.

ركنت السيارة في المساحة المخصصة لها أمام غرفتها، وأطفأت المحرك، توقف الاثنان للحظة، وساد الصمت، ثم خرجا من السيارة، وامتدت أيديهما للأسلحة في أغمدتها، وهما يقفان بجوار السيارة، لا حركة ولا صوت، لا شيء، فقط الضوء الليلي الخاص بالنزل..

ثم خرج الرجل ذو العين الواحدة من المكتب، ووقف على بعد أمتار منهما، لوح بيده، بطريقته المعتادة، ثم نظر للأرض وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول: أنا أعتذر.

واستطرد: لقد حدث سوء تفاهم، ناجم عن خطأ مني، الغرفة ٢١٥ لكم، لحين عودة السيد المحترم الذي كان يقطنها.

لم تعلق تشانج، بينما قال ريتشر: مفهوم.

أومأ العجوز برأسه، كما لو أنه يختتم الاتفاق الشفهي بينهم، ثم استدار راحلًا، راقبته تشانج وهو يرحل قبل أن تقول: إما فخ أو كمين.

- محتمل، لكني لا أعتقد هذا، إنه يتجنب مشاكل داخل الغرفة ذاتها، الأثاث سيتلف، وسيقضي الشتاء في استخراج الرصاص من الحائط.

- هل تقول إنهم استسلموا؟



- مجرد خطوة في اللعبة.

- وما هي الخطوة التالية؟

- لا أعلم.

- ومتى ستحين؟

- غدًا في الأغلب.

تلفت ريتشر حوله، يمينًا ويسارًا، نظر للطابق العلوي، حيث كان هناك ضوء خافت قادم من الغرفة ٢٠٣، غرفة الوافد الجديد ذي الحلة الأنيقة، هناك نزيل جديد بها إذن..

- لن تكون خطوتهم القادمة قبل الغسق، هذا هو تخميني، هل ستنامين بخير؟

- أتوقع هذا، وأنت؟

- لو لم أنم سأطرق بابك.

صعد كلاهما السلم، أخرجا مفاتيحهما، فتحا القفل، جنبًا إلى جنب، ولكن على بعد عشرين خطوة، كأنهما جاران عائدان للمنزل من العمل..

على بعد عدة أمتار، أخذ الرجل ذو العين الواحدة الكرسي البلاستيكي، من أمام الغرفة ١٠٢، التي كانت شاغرة، وجره لموضع المراقبة الذي استخدمه من قبل، على الممر المجاور لمكتبه، جلس بهدوء، وسط هواء اليل،



لينفذ تعليماته، والتي كانت: راقب غرفتيهما طيلة الليل، ولا تحاول بدء مشاكل معهما تلك الليلة.

وها هو ذا يعتقد أنه نفذ تلك الجزئية بشكل مُرضٍ للغاية.



الفصل التاسع عشر

كما حدث سابقًا، جلس ريتشر في غرفته محتميًا بالظلام، قبالة النافذة، خفي عن رؤية من بالخارج، كان يراقب من الطابق الثاني تلك المرة، فتمرُّ خمس عشرة دقيقة، ثم عشرون، ثم ثلاثون، مهما استغرق الأمر من وقت، حتى يصبح متأكدًا من أنه غير مراقب بدوره، أما الرجل ذو العين الواحدة فمستقر في مقعده البلاستيكي، من على المسافة نفسها، مئتي متر، بينما ينبعث الضوء بخفوت من الستائر المسدلة للغرفة ٢٠٣، لا شيء يتحرك، لا سيارات، لا بشر، لا وهج لفافات تبغ يلمع في الظلام..

لا شيء سوى صمت الليل..

مرت أربعون دقيقة، انطفأ نور الغرفة ٢٠٣، الرجل ذو العين الواحدة قابع مكانه، انتظر ريتشر عشر دقائق أخرى، ثم ذهب للفراش، حل الصباح بنفس جودة وفاعلية الأيام السابقة، شمس متوهجة، جو دافئ، ضوء الشمس ذهبي ونقي، يعكس ظلالًا طويلة، الكرسي البلاستيكي لا يزال في موضعه، على بعد مئتي متر خارج المكتب، وكالمرة السابقة، هو خالٍ.. جلس ريتشر على حافة فراشه، ملتفًا في منشفة الاستحمام، فقد كان بحاجة للقهوة، لكنه عاد لمراقبة المقعد، لا حركة، لا أحد، قليل من الازدحام المروري فحسب، انتظر ريتشر، وحدثت الأشياء السابقة نفسها، تراجعت الظلال أمام أشعة



الشمس، وانفتحت الستائر في الغرفة ٢٠٣ لتكشف امرأة من خلفها، انعكست الشمس على الزجاج، وجعلها هذا تبدو ترابية أكثر مما هي عليه، ولكن ريتشر استطاع رؤية المرأة، بيضاء شاحبة، تقف مثل الرجل من الليلة السابقة، يداها متسعتان وهما يزيحان الستائر، كانت تنظر للصباح مثلما فعل الرجل الآخر، وصلت السيارة الكاديلاك البيضاء، وركنت في المكان نفسه، بلا لوحة أرقام أمامية، تلك المرة خرج السائق مسرعًا، وانفتح باب غرفة النزل لتخرج المرأة، مرتدية فستانًا أبيض، يصل لركبتها، لم تكن صغيرة، ولكن من الواضح أنها تحافظ على لياقتها البدنية، شعرها رمادي، قصير، كانت تحمل معها أمتعة أكثر من الرجل السابق، نزلت السلالم، أشار إليها السائق أن تنتظر، وصعد السلالم، ليحمل حقيبتها، ويتقدم المسيرة، كما لو أنه يريها الطريق للسيارة، وضع السائق حقيبة المرأة ذات الفستان الأبيض في صندوق الكاديلاك الخلفي، ثم عاد لموضعه خلف المقود، بعدما ركبت المرأة السيارة، وقاد السائق السيارة مبتعدًا، لا لوحة أرقام خلفية موجودة مثل المرة السابقة.

ذهب ريتشر كي يستحم، بينما سمع تشانج في الغرفة المجاورة تستحم بدورها، وهذا يعني أنها لم تذهب لتنتظر كيفر في قطار السابعة صباحًا، قرار منطقي مع كل ما يحدث، لقد وفرت على نفسها المسيرة ذهابًا وإيابًا دون داعٍ، ربما هي فعلت ما فعله هو وقت ليلتها تراقب، ربما



كانا يجلسان متجاورين يراقبان سويًّا، ملتفين بالمناشف، لا يفصلهما سوى الحائط، رغم امتلاكها لملابس نوم خفيفة بلا شك، كلا في الأغلب ثياب نوم ثقيلة نظرًا لبرودة الجو ليلًا والحاجة لعدم حزم أمتعة كثيرة.

خرج ريتشر قبلها، واتجه للمطعم، آملًا في حجز المنضدتين المتجاورتين والمقابلتين للحائط في الركن، تمكن من فعل هذا، وضع سترته على مقعد المنضدة المجاورة، وجلس على الأخرى المجاورة لها، السميث ويسون في جيبه، طلب قهوة سوداء، أتت تشانج بعد خمس دقائق، مرتدية السروال الجينز نفسه، وقميصًا جديدًا، شعرها لا يزال رطبًا ومبللًا من الاستحمام، سترتها تغطي سلاحها، وكأي شرطي سابق أدارت رأسها متفحصة المكان فور دخولها، بزواية ٣٦٠ درجة، ثم اتجهت بطاقة ونشاط ناجمين في الأغلب من حقيقة أنهما نجوا من الليلة السابقة، وانسلت إلى المنضدة المجاورة لريتشر.

- هل خلدتي للنوم؟

- لا بد أني نمت، لم تكن تلك خُطتي لكني غفوت رغمًا عني.

- ألم تذهبي لمحطة القطار؟

- إنه مختطف، حسب كلامك، وهذا أفضل سيناريو محتمل..

- هذا مجرد تخمين.



- كلا، إنه افتراض منطقي.

- هل رأيتِ المرأة النازلة بالغرفة ٢٠٣؟

- من الصعب فهم كينونتها، لو كانت ترتدي الأسود كنت سأطرح أسئلة من طراز هل هي مديرة تمويل أم أنها مستثمرة أو شيء آخر؟ ليأتيها السائق بروتين موظف الاستقبال هذا ويقلها بعيدًا، لكنها ارتدت الأبيض، وهذا جعلها تبدو لي كأنها ذاهبة لحفلة في حدائق مونت كارلو، ولكن في السابعة صباحًا؟ من الذي يفعل هذا؟

- ربما يكون أمر يتعلق بالموضة، ملابس الصيف.

- أتمنى ألا يكون هذا هو التفسير.

- حسنًا، من هي؟

بدت وكأنها ذاهبة لتتزوج للمرة الخامسة في دار المناسبات بمجلس المدينة.

- أتت النادلة، وسألتها تشانج على الفور: هل تعرفين رجلًا في البلدة باسم مالوني؟

- كلا، لكني أعرف رجلين باسم موهينيان.

وغمزت لهما قبل أن ترحل..

قالت تشانج: الآن هي حقًا صديقتك المقربة للأبد، لا أعتقد أنها تحب عائلة موهينيان.

أجابها ريتشر: لا أرى سببًا يدفع أحدًا لحبهم.



- أحدهم سيحبهم، علينا افتراض أنهم يمتلكون أصدقاء مقربين كذلك، علينا توقع رد فعل

ولكن ليس بعد، لقد تعرض الاثنان للضرب، سيكون الأمر مثل الإصابة بالإنفلونزا لعدة أيام، لن يكون الأمر مثل المسلسلات التلفزيونية، حيث يعودان للانتقام بعد الفقرة الإعلانية.

لكنهما سيعودان في النهاية، ربما يعودان بصحبة حشد، بين أصدقائهما وشركائهما.

- لقد اعتدتِ أن تكوني شرطية، لا بد أنك أطلقتي النار على أحدهم من قبل.

- أنا لم أسحب سلاحي من غمده أبدًا، لقد كنت أعمل في كونيتكيت، بلد صغيرة.

- وماذا عن عملك في التحقيق الفيدرالي؟

- لقد كنت محللة مالية.

- لكنك عبرتِ اختبارات إطلاق النار الفيدرالية؟

- نعم.. كان لا بد من اجتيازها.

- هل كنتِ بارعة؟

- لم أكن لأطلق النار في الاختبار لو لم يسحب غريمي مسدسه أولًا، أنا أستطيع التعايش مع فكرة الدفاع عن النفس.



فكرت تشانج قليلًا قبل أن تكمل: هذا جنون مطبق، نحن في استراحة بجوار القطار في بلدة صغيرة، ولسنا في فيلم رعاة بقر.

- كل أفلام رعاة البقر احتوت على استراحة وقضبان حديدية، تلك هي الفكرة، المأمور سيصل بالقطار، أو الشرير.

- ما مدى جدية الأمر في اعتقادك؟

- كل الاحتمالات متساوية، ربما كييفر في لاس فيجاس مع مراهقة، ربما كييفر ميت، آسف، لكنها احتمالية، ربما مات بسبب حادثة، أو الحادثة لعبت دورًا في موته، أحدهم أصيب بالهلع مثلًا، والآن هم لا يعرفون كيف يغطون على الأمر.

- ونحن نعلم ما الذي يجب فعله؟

- خُطتنا بسيطة للغاية، نتناول الإفطار، نشرب القهوة، ونجد مالوني.

- لن يكون الأمر بتلك السهولة.

- عن أي جزء من الخُطة تتحدثين؟

- إيجاد مالوني.

علينا البدء بالمحلات التجارية التي بجوار مباني السكة الحديد، ومكاتب استقبال البضائع هناك، أعتقد أنهم سيعرفون أسماء كل ساكني «استراحة الأم»، وبهذا نكون



ضربنا عصفورين بحجر، لأنهم مجاورون لمباني الحصاد، ولو كان هناك شيء مريب بشأن حقول القمح، بإمكاننا أن نستشفه، هزت تشانج رأسها موافقة قبل أن تسأله: كيف كأن نومك؟

- كان غريبًا في البداية، مقتنيات كييفر من حولي، حقيبته أمام الحائط، شَعَرْتُ كأني شخص آخر، كأني شخص طبيعي، لكني تغلبت على هذا الشعور ونمت..

***

مكاتب الاستقبال كانت عبارة عن هيكلة خشبية عالية مصطفَّة بشكل متجاور، لم يكن هناك طراز هندسي مميز في بنائها، ولم تكن بحاجة لذلك، فهي المكاتب الوحيدة من نوعها في البلدة بأكملها، ولو لم يستخدمها المزارعون فلسوف يتضورون جوعًا، بالداخل كان هناك استثمارات تسجيل بيانات، وصف انتظار للسائقين الذين يقومون بتوصيل البضائع بعد تسجيلها، خلف المكتب جلس رجل ذو شعر أبيض، وهناك قلم خلف أذنه، كان يقلب أوراق ماثلة أمامه، يعاين المؤن الخاصة بالحصاد كرجل سعيد في مملكته الصغيرة، وقد قال الرجل ذو الشعر الأبيض لريتشر: هل أستطيع مساعدتك؟

- نحن نبحث عن رجل يدعى مالوني.

- أنا لست مالوني.

- هل تعرفه؟



- من الذي يسأل؟

- نحن محققون خاصون من نيويورك، أحدهم تُوفي وترك إرثًا لرجل آخر، ولكن تبين أن الوريث قد مات أيضًا؛ ولذا سيتم توزيع الأموال على كل الأقارب الذين نستطيع اقتفاء أثرهم، أحدهم يدعى مالوني، هذا كل ما نعرفه.

- أنا لست مالوني، ما هو قدر المال على أية حال؟

- غير مصرح لنا بالقول.

- مبلغ ضخم؟

- أفضل من لا شيء.

- حسنًا، كيف أستطيع مساعدتك؟

- لقد افترضنا أنك تعرف عددًا لا بأس به من أسماء الناس هنا، بما أن كلهم يمرون بمكتبك بطريقة أو بأخرى.

أومأ الرجل برأسه.. كأنه فهم أخيرًا، ثم ضغط لوحة المفاتيح أمامه وأضاء شاشة الحاسوب الآلي، حرك الفأرة، وضغط على شيء ما فظهرت قائمة طويلة من الأسماء أمامه، قال وعيناه ترتكزان على القائمة: هؤلاء القوم المصرح لهم باستخدام البضائع من هذا المكتب؛ الأمر أكثر سلاسة في التسجيل باستخدام تلك الآلية، أعتقد أن تلك القائمة تشمل أغلب القوم هنا، من أصحاب المحلات إلى العاملين بها، من الرجال والنساء والسيدات..



- هل هناك مالوني في القائمة؟

سألته تشانج وتابعت: سنقدر اسمه الأول وعنوانه كذلك.

حرك الرجل الفأرة، لأعلى، ليبحث في الترتيب الأبجدي، توقف وقال: هناك ماهوني، لكنه تُوفي، من عامين أو ثلاثة، لو تذكرت بشكل صحيح، السرطان تمكن منه، لم يعلم أحد أي نوع من السرطان كان..

- لا يوجد أحد يدعى مالوني.

- ليس في تلك القائمة؟

ولو افترضنا أنه ليس عاملًا مسجلًا هنا، هل ستتعرف عليه؟

- ربما، اجتماعيًّا، إلا أني لا أعرف أحدًا يدعى مالوني.

- هل هناك أحد آخر بإمكاننا سؤاله؟

- يمكنك السؤال في مكتب إرسال الأموال التابع لمكتب البريد «فيديكس»، بشكل أو بآخر هذا هو مكتب البريد الخاص بنا في البلدة.

- حسنًا، شكرًا.

قالها ريتشر، بينما هز الرجل ذو الشعر الأبيض رأسه دون أن يتكلم، وبدا أنه منزعج قليلًا لأنهما كسرا روتينه الصباحي، خرجت تشانج مع ريتشر الذي كان يتذكر مكان «مكتب الاتحاد الغربي لإرسال الأموال» من



آخر جولة له، لقد رآه مرتين من قبل في الواقع، مكتب صغير، نافذة واحدة، ضوء صناعي تقليدي، آلة فاكس، آلة نسخ أوراق، جزء خاص ببريد «فيديكس»، وجزء لصرف الأموال، دخلا المكتب، ونظر إليهما الموظف القابع خلف المكتب، كان في العقد الرابع، تقريبًا، فارع القامة، قوي البنية، له شعر كثيف، لم يكن ممتلئ الجسد، وبالتأكيد لم يكن نحيفًا، وجه بلا تعبير، لقد كان هذا الرجل هو سائق الكاديلاك.



الفصل العشرون

التصميم الهندسي للمكتب كان مطابقًا لمكتب الاستقبال، خشب غير مطلي وغبار، آلة فاكس بالية، حالة آلة نسخ الأوراق لم تختلف عنها كثيرًا، استثمارات تسجيل مترامية هنا وهناك، طرود مغلقة، بعضها وصل حديثًا، والآخر معد للإرسال، بعضها صغير، الأخرى أكبر حجمًا، طرود بأختام توريدات أجنبية، بعضها قادم من ألمانيا، معدات طبية كذلك، أغلبها من المعدن، لو وثق ريتشر في مهاراته الخاصة بالترجمة، فهناك كاميرا فيديو بجودة وتقنية عالية مستوردة من اليابان، أختام عدة متراصَّة على المكتب، وأقلام حبر، دفتر ملاحظات، أوراق دعايا لمحلات أخرى ملصقة على الحائط، مثل تعلم دروس الجيتار، غرف للإيجار، كل الخدمات المدنية بأنواعها المختلفة، هذا هو -بشكل أو بآخر- مكتبنا البريدي للبلدة، هذا ما قاله الرجل ذو الشعر الأشيب، وقد عرف ريتشر السبب الآن..

- هل أستطيع مساعدتك؟

- قالها سائق الكاديلاك.

كان يقف خلف المكتب الخشبي، يعد رزمة دولارات في يده...

قال له ريتشر: أنا أعرفك من مكان ما.



- حقًّا؟

- هل كنت تلعب في فريق كرة القدم، ميامي عام ١٩٩٢.

- لست أنا يا صاح.

- جامعة جنوب كاليفورنيا؟

- أنت تتحدث عن شخص آخر.

هنا قالت تشانج: إذن أنت سائق الأجرة، لقد رأيناك في النزل هذا الصباح.

لم يرد الرجل.

أضافت تشانج: وفي البارحة أيضًا.

لا رد.

كان هناك صندوق صغير ممتلئًا بكروت عمل تابعة للمكتب، التقط ريتشر أحدهما وقرأها، لم يكن اسم الرجل مالوني.

نظر ريتشر للرجل وقال: ألديك الدليل؟ كتاب خاص بأرقام الهواتف؟

- من أجل أي غرض؟

- أريد أن أضعه على رأسي وأسير به لاختبار توازني.

ماذا؟



- أريد تفقد رقم أحدهم، لأي غرض آخر سأستخدم الهاتف.

صمت الرجل لوهلة، كما لو أنه يبحث داخل عقله عن سبب لرفض الطلب، وعندما لم يجد واحدًا، انحنى والتقط الدليل، ثم حمله والتفت وأعطاه لريتشر..

- شكرًا لك.

قالها ريتشر وفتح الدليل على حرف الميم؛ بحثًا عن رقم مالوني، لم يجد شيئًا، رفع ريتشر رأسه وسأل الرجل: لماذا تدعى تلك البلدة بـ«استراحة الأم»؟

استند الرجل على المكتب وهو يجيب: لا أعلم.

- ما هو عمر سيارتك الكاديلاك؟

- هذا أمر لا يخصك.

- نعم هو لا يخصني، نحن لا نعمل مع شرطة المرور، لا يهمنا لوح أرقام السيارات المخفية، نحن مهتمون بالسيارة نفسها، تبدو كأنها سيارة رائعة.

- إنها تؤدي الغرض.

- وأي غرض هذا؟

تردد الرجل للحظة قبل أن يقول: سيارة أجرة كما خمنت.

قال له ريتشر: هل تعرف أحدًا اسمه مالوني؟

- هل من المفترض أن أعرف شخصًا يدعى مالوني؟



- من المحتمل أن تعرفه.

- أنا لا أعرفه.

قالها الرجل بثقة مصحوبة باعتزاز النفس، كأنه سعيد أنه في موضع قوة الآن، قبل أن يتابع: لا يوجد أحد يدعى مالوني في المقاطعة بأسرها.

سار ريتشر وتشانج جنبًا لجنب، عائدين للشارع الرئيسي، وقفا قبالة أشعة الشمس، قالت تشانج: لقد كان يكذب بشأن الكاديلاك، هي ليست سيارة أجرة، بلدة كتلك لا تحتاج لسيارة أجرة.

- إذن ما هو الغرض من الكاديلاك؟

- لقد بدت لي كأنها سيارة نادٍ خاص أو شيء من هذا القبيل، كأنها سيارة توصيل خاصة بمنتجع سياحي، تذهب لتقل النزلاء المهمين، كنوع من العناية الفاخرة بهم..

- بيّدَ أن هذا المكان ليس بمنتجع سياحي، إنه حقل قمح عملاق.

- على أية حال، هو لم يذهب لمسافة طويلة بالكاديلاك، لقد أقل السيدة ذات الفستان الأبيض وعاد لمكتب الاتحاد المالي الغربي بسرعة، ثلاثون دقيقة بحد أقصى للذهاب وثلاثون أخرى للعودة، مسافة عشرين ميلًا بتقدير نصف قطر..

- هذا أكثر من ألف ميل مربع، ١٢٠٠ ميل مربع



للدقة، لو سنضاعف تقدير نصف القطر، هل لهذا علاقة بكييفر أم لا؟

- بالطبع له علاقة، في النزل تصرف الموظف الأعور بنفس طريقة تصرف بائع قطع الغيار، كأنهم يحملون التعليمات نفسها، كأنهم فريق رياضي يتبع خطة، والرجل في متجر قطع الغيار ميزك لأنك تشبه كييفر.

قال ريتشر: نحن بحاجة لمروحية، لنستطيع مسح مسافة ألف ومئتي ميل مربع.

- ولا يزال لا ظهور لمالوني.

- إلا لو كان الرجل يكذب.

مدت تشانج يدها في جيب سروالها الخلفي، ثم نظرت لحافظة الورق، التي كتب عليها كييفر: مالوني «استراحة الأم»».

أردف ريتشر: عدم وجود اسم مالوني في الدليل لا يثبت شيئًا، ربما هو جديد في المدينة، ربما لم يسجل اسمه..

- والنادلة.. كانت تكذب أيضًا؟

- علينا تجربة المتجر العام، ربما أن مالوني لا يأكل في المطعم، ربما يبتاع احتياجاته من هناك، يطهو طعامه ويقضي طلباته.

تحرك كلاهما متجهين للحي الغربي، حيث المتجر العام.



***

وفي هذه الأثناء قام سائق الكاديلاك باتصال هاتفي.

- لم يصلا لشيء.

جاءه صوت الرجل ذو العين الواحدة من الفندق.

- وما الذي أوصلك لهذا الاستنتاج؟

- هل سمعت من قبل عن رجل يدعى مالوني؟

- كلا.

- إنهما يبحثان عن رجل يدعى مالوني.

- رجل يدعى مالوني، ها، لا يوجد أحد يدعى مالوني.

- بالضبط، إنهم لم يصلا لشيء.

***

بدا المتجر العام لريتشر كأنه لم يمر بأي نوع من التجديد منذ خمسين عامًا، ظلام وغبار وضوء خافت بالداخل.

خمسة ممرات داخلية، أثاث مهترئ، كان هناك صف من ملابس العمل استرعت انتباه ريتشر، ملابسه شبه بالية، ووجوده مع تشانج جعله يدرك تلك الحقيقة، رائحتها منعشة، مزيج من الصابون مع عطر جميل، لقد لاحظ هذا عندما انحنت لتتفحص دليل الهاتف، وتساءل عم لاحظته هي بشأنه؟ ذهب والتقط سروالًا وقميصًا، وجوارب داخلية، وقميصًا صيفيًّا أبيضَ، دولار لكل قطعة



صغيرة، وأقل من أربعين للقطع الكبيرة، صفقة عادلة، ذهب ليحاسب عليها، صاحب المتجر لم يرضَ أن يبيعه إياهم..

- أنا لا أريد مالك، أنت غير مرحب بك هنا.

لم يرد ريتشر على ما قاله الرجل الذي يقارب الستين من العمر، وله شعر رمادي هزيل، غير نظيف، وطويل، لكنه كثيف جدًّا، أذناه وعنقه خير دليل على هذا، كان يرتدي قيصًا صيفيًّا يكشف عن ذراعيه، فوقه قيص آخر تقليدي مكشوف الذراعين أيضًا، تابع العجوز: ارحل من هنا، تلك ملكية خاصة.

- قال له ريتشر: هل لديك تأمين صحي؟

وضعت تشانج يدها على ذراع ريتشر، أول تلامس بينهما، فكر الرجل، ولا توجد معانٍ خفية في الأمر...

- هل تهددني؟

هتف العجوز.

- نعم.

- تلك بلاد حرة، أنا أختار من أبيع له، القانون يقول هذا.

ما هو اسمك؟

- ليس من شأنك.



- هل اسمك مالوني؟

- كلا.

- هل لديك خمسون سنتًا، أريد استبدال هذا الدولار؟

لماذا؟

- أنا بحاجة لعملات معدنية، أريد استخدام الهاتف العمومي.

- الهاتف لا يعمل.

- ألديك هاتف خاص بك في الخلف؟

- لا يحق لك استخدامه، ارحل، أنت غير مرحب بك هنا.

- حسنًا، لقد وصلتني الرسالة.

تفحص ريتشر الأسعار على المقتنيات التي اختارها، دولار من أجل الجوارب، آخر ثمنًا للسراويل الداخلية، واحد آخر ثمن القميص الداخلي، تسعة عشر دولارًا وتسعة سنتات من أجل السراويل، وسبعة عشر للقميص، الإجمالي.. أربعون دولارًا وتسعة عشر سنتًا، وفي الأغلب سبعة سنتات من أجل ضرائب المبيعات، الإجمالي النهائي أربعون دولارًا وثمانية وخمسون سنتًا، قام بطي الملابس وأخرج المال من جيبه قبل أن يقول للرجل: لديك خياران يا صاح، إما أن نتصل بالشرطة، وتخبرهم أن النشاط التجاري يتعرض للكساد في البلدة، أو تأخذ



مالي، وتحتفظ بالباقي لو أردت، ربما تأخذ إجازة وتذهب للحلاق..

لم يرد الرجل..

ترك ريتشر المال على المكتب، حمل ملابسه، وضعها أسفل ذراعه، وتبع تشانج خارجين من المتجر، دخل ريتشر كابينة الهاتف العمومي، التقط سماعة الهاتف، لا حرارة، لا صوت..

سألته تشانج: مصادفة؟ انقطاع الخطوط؟

أشك في كونها مصادفة، أعتقد أن الرجل قام بفصل الأسلاك.. إنهم يريدون عزلنا.

- من الذي أردت الاتصال به؟

- الصحفي، ويستوود من لوس أنجيليس.. لقد واتتني فكرة أخيرة، ولكن علينا العودة للنزل في بادئ الأمر..

- موظف النزل لن يسمح لنا باستخدام الهاتف.

- بالتأكيد لن يسمح لنا.

وصلا للنزل، دخلا من الخلف، ثم رأيا المقعد البلاستيكي أمام المكتب، فلا يزال في موضعه من الليلة السابقة، بينما كانت حقيبة كييفر الجلدية، آخر شيء رأياه في الغرفة ٢١٥ مغلقة، منسقة، تنتظر، جوارها حقيبة تشانج نفسها، مغلقة، معدة للسفر، ممتلئة بملابس تشانج، وتنتظر بدورها.



الفصل الحادي والعشرون

توقفت تشانج عن السير، بردة فعل تلقائية، فتوقف ريتشر جوارها ثم قال: لا غرف شاغرة بالنزل

إذن تلك هي خطوتهم التالية، طردنا.

سار الاثنان للأمام، متقاربين، لمحا مجموعة من الرجال يقفون سويًّا، ينتظرون، الرجال في كل صوب، ثلاثون منهم على الأرجح، جاؤوا تضامنًا لابن العم موهانيان الذي ركله ريتشر، كان شاحبًا، بنفس حجمه الضخم، قريبه الآخر لم يكن هنا، لا يزال في الفراش غالبًا يبلع مسكنات الألم..

- سنذهب مباشره لغرفتي.

- هل أنت مجنون يا ريتشر؟ سنكون محظوظين لو تمكنا من الوصول للسيارة.

- لقد ابتعت ثيابًا جديدة، أنا بحاجة لارتدائها.

- هل تمزح؟ خذ ملابسك معك، غيرها لاحقًا.

- لقد قاومت إغراء أن أغير ملابسي في المتاجر، أنا لا أحب أن أسير حاملًا أشياء.

- لن يمكننا قتال ثلاثين شخصًا.

تحركا للأمام، متجهين للسلم، يقتربون من الرجال، الذين نظروا بدورهم للمكتب الرئيسي حيث خرج الرجل ذو



العين الواحدة ملوحًا بيديه كعادته، وقال: يبدو أن حجز السيد كييفر قد انتهى، وكذلك زملائه، موسم الحصاد يقترب، وأنا بحاجة لصيانة كل الغرف؛ ولذا لا يمكن تجديد حجزكم.

لم يقل ريتشر شيئًا، ترددت عبارة تشانج في رأسه: لا يمكننا قتال ثلاثين شخصًا.

رد ريتشر الطبيعي على عبارة كتلك سيكون: لم لا؟

القتال يسري في دمه وخلايا جسده، يسري في حمضه النووي، القتال مثل التنفس بالنسبة له، لقد كان دومًا مثيرًا للمتاعب، تلك نقطة قوته الكبرى، وضعفه كذلك، وقد كان يدرك هذا جيدًا، لديه خمس عشرة رصاصة في السميث وويسون، لنفترض أنه سيخطئ ثلاث إصابات، تلك ثلاث رصاصات مهدرة، وبافتراض أن تشانج فهمت ما يريده، فبإمكانها إضافة ست رصاصات من سلاحها، مدى إطلاق الرصاص قريب، الأهداف متعددة، بافتراض أن حِسْبته صحيحة، سيتبقى منها اثنتا عشرة، جزء كبير من الأمر يعتمد على عنصر الصدمة، الضوضاء، الرصاصات تتطاير، الأصابع تعتصر الأزندة، لا بد أن الأمر قابل للتطبيق، لكنه لم يكن، هو لا يستطيع قتال ثلاثين شخصًا، ليس في تلك المرحلة، ليس دون معلومات كافية، وسبب كافٍ للقتال..

نظر ريتشر للرجل ذي العين الواحدة وقال: ما هو موعد



تسجيل الخروج من الغرفة؟

- الحادية عشرة.

ثم صمت العجوز فجأة كأنه ندم أنه تحدث.

قال ريتشر: وكم الساعة الآن؟

لم يرد الرجل ذو العين الواحدة.

تابع ريتشر: إنها التاسعة إلا ثلاث دقائق، سنرحل قبل الحادية عشرة، هذا وعد، لذا بإمكان الجميع أن يهدؤوا الآن، لا شيء لرؤيته هنا..

وقف الرجل العجوز مكانه، يقرر، حتى هز رأسه موافقًا في النهاية، تراجع الرجال الثلاث الذين يسدون المدخل، وأفسحوا مجالًا، لكن نيتهم كانت واضحة، هم لن يذهبوا، لكنهم لن يفعلوا شيئًا، سينتظرون فحسب..

صعد ريتشر السلالم، مع تشانج، فتح باب غرفته ودخل، سألته تشانج: هل سنرحل حقًّا؟ في الحادية عشرة؟

- نعم، ربما قبل الحادية عشرة، علينا الرحيل، نحن لا نملك معلومات كافية.

- لا يمكننا ترك كييفر.

- نحن بحاجة للذهاب لمكان يمكننا استخدام الهاتف فيه.

قالها وهو يضع ملابسه الجديدة على الفراش، وأردف:



ربما يجب أن أستحم.

أنت استحممت منذ ساعتين، لقد سمعتك عبر الحائط.

- حقًّا؟

- بلى، أنت لست بحاجة للاستحمام، ارتدي ملابسك الجديدة فحسب.

- هل أنت متأكدة؟

هزت تشانج رأسها وأحكمت غلق الباب من الداخل، وحركت المزلاج لتوصده والسلسلة الحديدية، حمل ملابسه للحمام، وتخلص من ملابسه القديمة ليرتدي الجديدة، وضع المسدس في جيبه، وفرشاة أسنانه كذلك، والنقود، وبطاقة سحب الأموال، وجواز سفره، وأخذ ملابسه القديمة، وألقاها في سلة المهملات، ثم نظر للمرآة، ومرر أصابعه في شعره، جاهز للرحيل..

أتاه صوت تشانج: ريتشر، إنهم قادمون، يصعدون السلم..

- من؟

- حوالي عشرة منهم.

سمعها تخطو للخلف، حين بدأ الطرق على الباب، طرق غاضب ولحوح، فخرج من الحمام، ورأى السلسلة الحديدية تهتز، والمزلاج كذلك، رأى ظلالهم عبر النافذة، مجموعة منهم..



هتفت تشانج: ما الذي سنفعله؟

- كما نفعل دومًا، سنرحل..

اتجه للباب، فتح القفل وهو يقول: مستعدة؟

- كما لم أكن من قبل في حياتي.

فتح الباب، اندفع أقرب الرجال إليه، وضع ريتشر يده على صدر الرجل، ودفعه للخلف بعنف.. وهو يقول: ماذا؟

هب الرجل معتدلًا وصاح: موعد تسجيل الخروج تم تعديله.

حقًّا؟ متى؟

- الآن.

لم يرَ ريتشر هذا الرجل من قبل، يدان كبيرتان، عريض المنكبين، وجه مصمم، ملابس قذرة، وقد تم اختيار الرجل ليكون المتحدث الرئيسي..

ما اسمك؟

سأله ريتشر، لم يرد الرجل.

- إنه سؤال بسيط.

لا رد.

هل اسمك مالوني؟

- كلا.



قالها الرجل بنبرة مختلفة تلك المرة، كأنه سؤال غبي..

سأله ريتشر: لماذا يسمى هذا المكان بـ«استراحة الأم»؟

- لا أعلم.

- اذهب وانتظر بالأسفل، سنرحل عندما نكون مستعدين.

- سننتظر هنا.

- بالأسفل.

- قالها ريتشر مجددًا.

هناك طريقتان للخروج من هنا، الأولى عبر الباب، والأخرى بجعل رأسك على القضبان الحديدية، هذا اختيارك أنت، كل من الطريقتين مناسبتان بالنسبة لي..

وقف الرجل ذو العين الواحدة بالأسفل يراقب ما يحدث، وقد نقلا حقائبهما للسيارة، أصدر الرجل ذو الملابس القذرة شخرة، وقال: لديك خمس دقائق.

- عشر دقائق، ولا تأتِ عبر السلالم مرة أخرى.

- نظر له الرجل، تلاقت أعينهم في تحدٍّ صامت..

- ما الذي تفعله للمعيشة؟ وظيفتك؟

- مزارع وراعي خنازير.

- دومًا؟



- منذ أن كنت طفلًا.

المكان نفسه؟

- بالتقريب نعم.

- ألم تؤدِّ خدمة عسكرية؟

- كلا.

- لمْ أعتقد أنك أديتها على أية حال.

ثم تابع ريتشر: أنت تركتنا نأخذ الطابق العلوي، خطوة حمقاء منك، ثلاثون رجلًا لن يستطيعوا فعل شيء لأنهم سيندفعون اثنين كل مرة لعبور السلم، وأنت تعلم أننا مسلحان، بإمكاننا رميكم بالرصاص كالسناجب أثناء موسم الصيد، ولن تستطيع إيذاءنا ونحن نحتمي داخل المبني إلا لو كان معك قنابل يدوية، وأنا لا أعتقد أنك تحمل قنابل يدوية؛ لذا لا تأتي عبر السلالم مرة أخرى، ولا نتقدم المسيرة، وإلا لسوف تحظى بالرصاصة الأولى..

لم يرد الرجل.. تراجع ريتشر للخلف، وأغلق الباب مرة أخرى، هتفت تشانج: لو كان هدفنا الخروج من هنا أحياءً، لا أعتقد أنك عليك إذلاله..

لا أتفق معك؛ لأن فور خروجنا من هنا سوف يتساءلون هم، هل سنعود؟ سيكون هذا محل جدال بينهم، جدال كبير، هل كنا نتظاهر أمامهم؟ هل سنهاجم؟.. كل تلك الأسئلة سيتم طرحها.. من الأفضل



جعلهم يعتقدون أن خطتهم نجحت..

- لقد نجحت بالفعل، نحن لا نعلم شيئًا.

- نحن نعلم، أنا قلت: إننا لا نمتلك القدر الكافي من المعلومات.

- ما الذي نعرفه؟

- نحن نعرف أن الموظف أبلغ تقريرًا عنا، قال لرئيسه: إننا سنرحل في الحادية عشرة، وهذا لم يكن مرضيًا لرئيسه، التنازل لم يكن مقبولًا، أراد لنا الرحيل فورًا؛ وبالتالي أتى عشرة الرجال مع زعيمهم بالرسالة الجديدة، وتلك رسالة متغيرة عن الليلة السابقة، لقد كانوا يرحبون بنا بالبارحة، فما الذي تغير؟

أجابت تشانغ: المرأة ذات الفستان الأبيض.

بالضبط، الرجل نفسه الذي يريد لنا الرحيل الآن، لم يرد إحداث مشاكل إبان وجودها، ولكن الآن.. هي قد رحلت.. ولذا حان وقت طردنا.

من هي؟ وأين ذهبت؟

نحن لا نعلم، لا نعلم أيضًا من هو الرجل ذو الحلة، لكننا نعلم أنهم مهمون، بالطريقة التي يتصرف بها الجميع حولهم، هم في غاية الأهمية، لقد رأيت موظف الفندق ينسق المكان قبل قدوم الرجل ذي الحلة، لقد كان يرتب أوضاع المقاعد قبل أن يُلقي الوافد نظرة على المكان.



- هؤلاء لم يكونوا مستثمرين، ليسوا من نوع المستثمر الذي يذهب ويعاين المشروع قبل إتمام الصفقة، لقد تعاملت مع عدد غفير من المستثمرين، والرجل والمرأة لم يتصرفا مثلهم..

- إذن ما هي كينونتهم الحقيقية؟

- لا أمتلك أدنى فكرة، نزلاء مهمون، عملاء مفضلون، شيء من هذا القبيل، كيف يتسنى لنا أن نعرف؟ ربما هم هاربون من العالة، ربما تلك هي شبكة تهريب مجرمين من الطبقة الأعلى فحسب، كما قال نيتشه البقاء للطبقة الأعلى، اهرب وتعالَ هنا، ستحظى بليلة هادئة وقدر وافٍ من النوم، وسيتم إقلالك بسيارة كاديلاك..

ولسوف تتأنق المرأة بفستان أبيض من أجل حدث كهذا؟

- كلا، في الأغلب لا..

قال ريتشر: أنا أتفق معك أن هناك جوًّا عامًّا يوحي بشبكة التهريب، يأتون من القطار، يقضون الليلة في النزل، يتحركون بالسيارة، كأنه قادمون من أجل رحلة ذهاب بلا عودة، كأنها خطوة أولى في رحلة طويلة..

- من أين لأين؟

لم يرد ريتشر، قالت تشانج: ما الذي سنفعله الآن؟

- سنذهب جنوبًا، ونكتشف ما الذي يجب عمله عندما



يعمل هاتفك الخلوي مع شبكة تغطية فعالة.

خرجا من الغرفة بعد مرور عشر دقائق، الثلاثون رجلًا يقفون بالأسفل.. يصطفون سويًّا، في مجموعات صغيرة، اثنان في مجموعة، ثلاثة في أخرى، أربعة وهكذا.. يحيطون بشكل جماعي بالسيارة الفورد، بنصف دائرة مستديرة، أقربهم كان المزارع الذي تحدث مع ريتشر، على بعد عشر خطوات من السيارة، جواره يقف موهينيان، كلاهما يبدو متأهبًا وعجولًا، وضع ريتشر يده في جيبه، أصابعه تتحسس المسدس، وهبط السلالم، تشانج خلفه، وصلا للأسفل، ضغطت تشانج جهاز التحكم في يدها وأصدرت السيارة الطقطقة المعدنية المعلنة لانفتاح القفل، والتي بدت صاخبة وسط كل هذا الصمت..

نظر ريتشر للمزارع وقال: سنرحل فور أن تضع حقائبنا في الصندوق الخلفي للسيارة.

- ضعها بنفسك.

استند ريتشر على الفورد، يده في جيبه، مجرد رجل ينتظر، ويمتلك كل الوقت في العالم، قال: من الواضح أنك شعرت بالارتياح وأنت تحزم أمتعتنا، تغلق الحقائب وتحملها إلى هنا، ولذا أنا أخمن أنك لا تعارض لمس مقتنياتنا الخاصة، أعني أنك لا تخاف العدوى أو الحساسية، أو لديك معوقات جسدية تمنعك من هذا العمل؛ لذا، سوف تنهي المهمة، لتضع حقائبنا في السيارة



ولسوف نرحل، هذا ما تريده أليس كذلك؟

لم يعلق الرجل، ازداد الصمت سوءًا، وسمع ريتشر عيدان القمح تمايل في الحقول، من على بعد أميال، لم يتحرك أحد، ثم نظر أحد الرجال للآخر، الذي بادله النظر، قريبًا سيتبادلون جميعًا النظرات، نظرات سريعة محدقة وغاضبة، عن التنازل والتضحية بالكرامة من أجل الحصول على نتائج..

ضع الحقائب في السيارة وسنرحل، هذا ما تريدونه أليس كذلك؟

- ضعها بنفسك..

في النهاية، تقدم رجل يقف خلف المزارع، رجل مرن وموضوعي بلا شك، ذهب للسيارة، حمل الحقائب، وضعها بالداخل، واحدة تِلْو الأخرى، في البدء حقيبة كييفر، ثم تشانج، أغلق صندوق السيارة وعاد خطوتين للخلف...

قال له ريتشر: شكرًا لك، أتمنى لكم جميعًا يومًا سعيدًا.

فتح ريتشر باب السيارة وجلس بهدوء، بجواره جلست تشانج في مقعد السائق خلف المقود، أغلقا الأبواب، أدارت تشانج المحرك، تراجعت بالسيارة للخلف واستدارت بها ببطء، وهي تدير المقود، ورحلت بالسيارة، مرورًا بالميان، والمطعم، والمتجر، وصولًا لقضبان السكة الحديد، انعطفت يسارًا، واتجهت غربًا، بينما الطريق يتلاحى أمام



عينيها.

سألت ريتشر: هل سنعود؟

أخرج ريتشر يده من جيبه حيثما كان المسدس، لأول مرة منذ رحيلهما تكف أصابعه عن ملامسة السلاح، وقال لها: أتوقع أننا سنكون مضطرين قريبًا للعودة..



الفصل الثاني والعشرون

قادا سيارتهما لثلاث ساعات، ثم توقفا من أجل الوقود والطعام، فلا يوجد تغطية لشبكة الهاتف بعد، ولهذا توقعا أنهما بحاجة لأربع ساعات أخرى من القيادة كي يصلا لمنطقة بها شبكة، وفي تلك الحالة سيكون الأمر سيان لو ذهبوا لمرتفعات كولورادو، لقد أجرت تشانج الفورد من هناك، وهناك مطار به رحلات إلى لوس أنجيليس، وقد اتفق كلاهما أن لوس أنجيليس هي محطة زيارتهما القادمة، الهاتف مفيد ولكن أحيانًا لا يقوم بالمهمة لذا أرادوا مقابلة ويستوود وجهًا لوجه، وبما أنهما ذاهبان للمطار، ولوجود أمن المطار في خارطة مستقبلهم القريب، تخلصا من أسلحتهما، بعد أن فككوها ورموها في عدة مناطق متباينة، ما نأخذه دون جهد يرحل عنها دون جهد..

بعدها قام ريتشر بالقيادة، بلا رخصة وبشكل غير قانوني، وخلال ساعتين كان قد مرت به سيارتان فحسب، إحداهما سيارة شرطة، عادت تشانج للقيادة بعد ذلك، استمرت بالقيادة لحين تحول لون السماء من الذهبي للرمادي، وبينما يقتربان من المدينة، تحدثا عما يجب فعله بشأن حقيبة كييفر، تحدثا بشكل غير عاطفي عن محتويات الحقيبة، رأى ريتشر أن يتخلصا منها، لكن تشانج اقترحت أن هذا ليس من حقهما.. بنوع من الأمل أرادت تشانج الاحتفاظ بحقائب كييفر معها، في النهاية تنازل



الاثنان ووصلا لاتفاق مشترك، توقفا عند مكتب شحن داخل مبنى تجاري، على مشارف مرفعات كولورادو، وشحنا الحقيبة لمنزل كييفر، في شمال أوكلاهما، هذا المنزل الأصفر في الشارع المسدود، كتبت تشانج عنوان كييفر في استثمارة الشحن، ثم بعد لحظة تردد علمت على اختيار: لا حاجة لتوقيع تسلم الطرد..

***

اجتمع ثمانية رجال داخل متجر البضائع في «استراحة الأم» مع حلول المساء، صاحب المتجر كان هناك بالفعل، بقميصيه الاثنين وشعره المنسدل، أول المنضمين كان بائع قطع الغيار، تبعه سائق الكاديلاك، والرجل ذو العين الواحدة من الفندق، بعدها أتى المزارع وراعي الخنازير، وأخيرًا موهينيان الذي تعرض للضرب في موضع حساس، وسلبه ريتشر سلاحه، وصل الرجل الثامن بعد خمس دقائق، بدا نظيفًا، كأنه خارج من الاستحمام للتو، يرتدي سروال جينز تم كيه بعناية، وقميصًا طويلًا، كان أكبر سنًّا من موهينيان وبائع قطع الغيار، وأصغر من موظف الفندق، شعره مجفف ومصفف كإعلامي في التلفاز، تصلب الرجال السبعة واعتدلوا ليسود الصمت بينهم مع وصوله وانتظروا إياه حتى يتحدث.. لم يُضِع الرجل الوقت في مقدمات، قال على الفور: هل سيعودون؟

لم يجبه أحد، نظروا له فحسب..



نقل الرجل عينيه بينهم قبل أن يردف: أعطوني الاحتمالات.

ساد الصمت مرة أخرى، قبل أن يقول بائع قطع الغيار: هما لن يعودا لأننا أدينا وظيفتنا، هم لم يتوصلا لشيء هنا، لا شهود، لا أدلة، لماذا سيعودان؟

هنا قال سائق الكاديلاك: سيعودان لأن هنا هو آخر مكان معلوم لكييفر، سيعودان مرة وثانية، مهما تطلب الأمر، أين سيذهبان وهما لم يصلا لشيء؟ لا يوجد أمامهما سوى هنا..

- هل أنتم واثقون من أنهما لم يتوصلا لشيء؟

سأل الرجل الثامن فأجابه صاحب المتجر: لقد استخدما الهاتف العمومي مرة واحدة، حاولا الاتصال بثلاثة أرقام ولم يحظيا بأي رد، ورحلا بعدها مجددًا، هذا ليس ما يفعله القوم الذين توصلا لمعلومات مهمة.

إذن القرار بالإجماع أنهم لم يصلا لشيء؟ هذا هو فرمانكم؟

فرم.. ماذا؟

- ما الذي تعتقدونه جميعًا؟

أجابه سائق الكاديلاك: ما نعتقده جميعًا أنهم لم يعلما أي شيء على الإطلاق، لقد انتهت بهم الحال في مكتبي يبحثون عن رجل لم يوجد من قبل يدعى مالوني، هم لم يصلا



لشيء، لكنهما سيعودان لأنهما يعلمان أن كييفر كان هنا..

- إذن هما يعلمان شيئًا.

صمتوا جميعًا ثم تنحنح الرجل ذو العين الواحدة وقال: لقد اتفقنا، من المفترض أن يبدو الأمر كأن كييفر قد ارتحل لمكان ما، لم تكن نيتنا أبدًا إنكار وجوده في «استراحة الأم»..

رفع الرجل الثامن رأسه وسأل: كيف كان سلوكهما وهما راحلان؟

أجابه المزارع: الرجل كان يحاول أن يبدو صُلبًا، يعزي نفسه لأنه تم طرده، فيحاول أن يشاكسنا لمصالحة كرامته، والفتاة بدت محرجة من تصرفاته.

- هل سيعودان؟

سأله الرجل الثامن فرد المزارع: كلا.

- من الذي يعتقد أنهما سيعودان؟

لم يرفع أحد يده بخلاف سائق الكاديلاك.

نظر إليهم الرجل الثامن قبل أن يعلق: ستة يعتقدون أنهم لن يعودا، وواحد يعتقد العكس، تقييم عادل، أنا أؤيد قراركم الإجماعي، لقد أتيا، ولم يعلما شيئًا، سواء ما أردنا نحن لهما أن يعلماه، ورحلا، باحتمالية ضئيلة جدًّا لعودتهما، أنا نخور بكم..



بدأ الارتياح يعلو وجوههم، تنفس بعضهم الصعداء، وابتسم آخرون..

تابع الرجل الثامن: ولكن الأمور قد تنقلب رأسًا على عقب بسبب أدنى الاحتمالات، وأكثرها ضآلة.

تحولت ابتساماتهم لإيماءات صامتة برؤسهم، سبعة رجال جادون يتفقون بشدة مع الحكمة التي قالها زعيمهم..

قال الرجل الثامن: أين ذهبا؟

هز السبعة أكتافهم، وأعطوه نظرات فارغة.

- حسنًا، لا يهم أين ذهبا، إلا لو كانا متجهين للوس أنجيليس، نقطة ضعفنا الوحيدة هي الصحفي، هذا المحرر في جريدة أخبار لوس أنجيليس هو السبيل الوحيد بالنسبة لهما للفهم؛ طبقًا لما عرفناه من كييفر..

- احتمال ضئيل للغاية.

قال موهينيان وأردف: كيف سيعرفان عم يبحثون؟ وكيف سيتسنى لويستوود معرفة أنه يمتلكه؟

- الأمور قد تنقلب رأسًا على عقب بسبب أدنى الاحتمالات وأكثرها ضآلة.

قال موظف الفندق: من المفترض أن نكون خفيين تمامًا، أليس كذلك؟ أليس هذا ما ندفع كل تلك الأموال من أجله؟



نظر إليه الرجل الثامن ورد: أنتم لا تدفعون، أنا الذي أدفع.

ساد الصمت التام في المتجر قبل أن يقول بائع قطع الغيار: حسنًا، أليس هذا ما تدفع أنت من أجله؟

- بلى، وأكثر من ذاك، أنا أدفع من أجل المساعدة عندما أحتاجها، كل أنواع الخدمات التي أحتاجها

فكر المزارع بصوت عال: الخروج عن دائرتنا أمر ليس هينًا.

- حقيقة.

وأردف الرجل الثامن: هناك نقاط سلبية وإيجابية للأمر علينا مناقشتها.

سأله موهينيان: أي نوع من المساعدة تتحدث عنها؟

أجابه الثامن: قائمة طويلة من الخدمات المختلفة، كل شيء.

اقترح صاحب المتجر: علينا البدء بالمراقبة، لو اقتربا من ويستوود، علينا معرفة هذا فورًا، لنكون مستعدين لما سيحدث بعد هذا، في حالة انقلاب الاحتمالات ضدنا..

راقب الستة الآخرون وجه الرجل الثامن منتظرين رد فعله، متنظرينه أن يرفض ما قاله صاحب المتجر، عندما لم يفعل هذا، بدؤوا يهزون رؤسهم موافقين على ما اقترحه صاحب المتجر، يوافقون بحماسة وحكمة.. قال الرجل



الثامن: لنصوت، المؤيدون لفكرة المراقبة يرفعون أيديهم.

سأله موهينيان: هل المراقبة من نوع الخدمات الصغيرة في قائمة المساعدة؟

هز الثامن رأسه وقال: مراقبة هواتف، رسائل إلكترونية، ومراقبة جسدية..

- وما نوع الخدمات الكبيرة في القائمة؟

- أنواع عدة، تنتهي بالحلول الجذرية، التخلص التام منهما..

- يمكننا فعل هذا بأنفسنا.

نظر الرجل الثامن لموهينيان وسأله بنبرة ذات مغزى: كيف حال أخيك؟

- أعني، سنكون مستعدين في المرة القادمة.

- هل غيرت من رأيك؟ الآن تعتقد أنهم سيعودان؟

عاد الصمت ليسود في المكان، قال الرجل الثامن: من الذي يؤيد فكرة المراقبة؟

رفع السبعة أيديهم..

- أنا سعيد أنكم متفقون؛ لأني قد أخذت تلك الخطوة بالفعل، واتصلت بالمساعدة الخارجية، لقد بدؤوا في مراقبتهم منذ ساعة، أرسلوا رجلًا يدعى هاكيت، إنه الأفضل لديهم، كما قالوا، مؤهل لأشياء عدة ومختلفة إلى



جانب المراقبة...



الفصل الثالث والعشرون

وفرت لهما شركة تأجير السيارات حافلة تقلهما للمطار بعدما أعادت تشانج الفورد إليهم، كان هذا أمرًا مناسبًا ولكن الحافلة كانت بطيئة، وخسرا نصف ساعة إضافية قبل أن يصلا للمطار، في النهاية وقف ريتشر وتشانج أمام شباك التذاكر في المطار قرابة السابعة مساءً، هناك رحلة واحدة للوس أنجيليس ولكن التذاكر كلها مبيعة، لا مقاعد على الإطلاق، وقائمة انتظار طويلة، الرحلة التالية كانت في الثامنة صباحًا، لم يكن هناك خيار آخر، حجزاها، تشانج كانت تمتلك رصيدًا بالفعل مع شركة الطيران فاستخدمته، بينما ابتاع ريتشر تذكرته، قال لهم الموظف: إن الصعود على متن الطائرة سيبدأ قبل أربعين دقيقة من موعد الإقلاع، حوالي السابعة وعشرين دقيقة، ولحين هذا الموعد هناك فندق خاص بالمطار على بعد خمس دقائق منهم، لو استقلا الحافلة.. اختارا الذهاب سيرًا، حمل ريتشر حقيبة تشانج بدلًا من جرها؛ لأنه توقع أن أرضية المطار من الكونكريت الخام ستكون غير ملائمة لعجلات الحقيبة، الفندق كان مطليًّا بالأبيض من الخارج، وباللون البيج من الداخل، كان دافئًا ومتسعًا، وهناك لافتة حملت اسم الفندق، وكانت تشع بلون أخضر، هناك حشد قليل من القوم في ردهة الفندق، تسعة أشخاص، لم يكونوا يقفون طابورًا أو شيئًا كهذا أمام مكتب الاستقبال، كانوا يتسكعون هنا وهناك فحسب، بعضهم يتحدث في الهاتف،



البعض الآخر يبدو محنقًا لأنه لم يجد تذاكر طائرة، تعطلت طائرتان هذا الصباح مما أدى لإلغاء وتأجيل بعض الرحلات، هذا ما قاله لهم الموظف، لم يكن ريتشر يستخدم المطارات كثيرًا، لكنه تعرف على علامات الحنق والغضب لدى المسافرين بسهولة..

موظفة الاستقبال كانت فتاة شابة ترتدي سترة ضيقة، وتلف عنقها بوشاح، هناك تعجل خفي في ملامح وجهها، قالت لهما: سيدي وسيدتي، لديَّ غرفة واحدة فحسب، لو أردتموها عليكم الحجز الآن قبل شغلها.

قالت تشانج: غرفة واحدة فحسب؟

- نعم يا سيدتي، لأن المطار تعرض لمشكلة اليوم..

هل هناك فندق آخر قريب؟

- ليس في هذا المطار.

قال ريتشر: سنأخذ الغرفة.

نظرت له تشانج فقال لها: سنتصرف.

دفع ريتشر ثمن الغرفة وأخذ المفتاح، الطابق الخامس غرفة ٥٠١، المصاعد على اليسار، خدمة الغرف متاحة حتى الحادية عشرة، هناك إفطار بسعر إضافي، وإنترنت مجانية، وقف خلفهم فتى وفتاة على وشك التعرض لخيبة أمل مع حقيقة نفاد الغرف، استقل ريتشر وتشانج المصعد للطابق الخامس ووجدا غرفتهما، مطلية باللون البيج،



وأخضر خافت، مصممة بشكل أنيق، ظلت تشانج صامتة، نظر لها ريتشر وقال: خذي الغرفة.

- وما الذي ستفعله أنت؟

- سأفكر في شيء ما.

حمل حقيبتها ووضعها بالداخل، أعطاها المفتاح، وقال: علينا الذهاب لتناول العشاء قبل أن تنفد كل المناضد.

دعني أغسل وجهي وأغير ملابسي، سأقابلك في المطعم.

- حسنًا.

- هل تريد فعل المثل؟

نظر ريتشر للمرآة، شعر حليق، وجهه كذلك، ملابس جديدة، أجابها: كلا، أنا مستعد ومنتعش..

كان المطعم بالطابق الأرضي منفصلًا عن ردهة الاستقبال بواسطة المصاعد، مساحته واسعة، مفروش بسجادة كبيرة وستائر طويلة، كان مزدحمًا، انتظر ريتشر بالداخل، حتى أتته المضيفة وقادته لمنضدة بالقرب من النافذة، لم يكن هناك مشهد حقيقي من النافذة، ساحة انتظار سيارات فحسب، وأضواء صفراء ساطعة، وصلت تشانج بعد ثمانية دقائق، وجه نظيف، وشعر مصفف، وقميص جديد، ثم جلست أمام ريتشر، بدت نشطة وفي حالة جيدة مرة أخرى، لقد أنعشتها المياه الجارية في الغرفة، ثم تغير تعبير وجهها وقد أدركت الوجه الآخر



للحقيقة، ريتشر لا يمتلك غرفة ولا وسيلة للانتعاش بدوره.

قال إزاء التعبير على وجهها: لا تقلقي بشأن هذا الصدد.

- أين ستنام؟

- أنا أستطيع النوم هنا في مكاني لو سمحوا لي.

- على مقعد المطعم؟

- لقد كنت في الجيش لثلاثين عامًا يا تشانج، هناك نتعلمين أن تنامي في أي بقعة متاحة.

توقفت تشانج للحظة قبل أن تسأله.

- كيف كانت حياتك في الجيش؟

- جيدة، لديَّ ذكريات سعيدة، لا شكاوى حقيقية، بخلاف الشكاوى الواضحة.

- وهي؟

- الشكاوى نفسها التي ستكون عندك، الهراء القادم من الضباط الأعلى رتبة منك لمجرد أنهم لا يجدون شيئًا آخر لفعله.

ابتسمت تشانج وقالت: نعم، لقد مررت بهذا.

- ألهذا استقلتي؟

تلاشت ابتسامتها.



- كلا، ليس بالضبط.

- سأخبرك سبب رحيلي عن الجيش لو أخبرتيني سبب رحيلك عن مكتب التحقيق الفيدرالي.

- لست متأكدة إن كنت أريد أن أقول لك.

- ما أسوأ شيء يمكن أن يحدث لو أخبرتيني؟

تنهدت تشانج، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت: أخبرني أنت الأول.

لقد كانوا يقلصون أرقام العاملين في المنظمة العسكرية، يسرحون هذا وذاك، ويختارون الآخرون ليبقوا، سجلي العسكري كان خليطًا بين الأشياء الجيدة والسيئة، وكان هناك أحد الضباط الكبار يحمل ضغينة اتجاهي، وطبقًا لتلك الظروف لم تكن مفاجأة كبيرة أنهم سرحوني.

- من كان هذا الرجل؟

عقيد، رجل بدين يجلس على مكتبه في العلاقات العامة، في ميسسيبي، لقد كنت هناك، وقد حدث ذات مرة شيء خاطئ يخصه، وأنا كنت نافد الصبر، بينما هو كان ضيق الخلق لذا نشأت مشاحنة بيننا، وهو قد حصل على انتقامه أخيرًا؛ لأن الظروف كانت في صالحه تلك المرة، لقد فلتُ من قبل بأفعال أكثر فداحة، لكنهم لم يكونوا يسرحون العاملين في تلك المرات السابقة.

- ألم تستطيع مقاومة قرارهم؟



- لقد حاولت واتصلت ببعض المعارف لكن المعادلة كانت واضحة لو كسبت أنا سيخسر العقيد وهذا لن يعجب باقي زملائه، لم يجبني أحدهم ولم يبغوا أن يروني أدس أنفي في أعمالهم بحكم وظيفتي في الشرطة العسكرية، كان سينتهي بي الأمر- لو أبقوني- بالعمل في حراسة ليلية في شمال ألاسكا بالشتاء، هذا كان عرضهم، وكان تلك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لي، لقد أدركت أنهم لا يريدوني ولذا لم أقاوم، وهكذا تم تسريحي برتبة شرفية ورحلت..

- متى كان هذا؟

- منذ زمن سحيق.

- ومنذ ذلك الحين وأنت ترتحل من مكان لآخر.

- هذا تحليل عميق.

- حقًا؟

- أنا لست بإنسان عميق، أنا شديد السطحية.

- لم تعلق تشانج، أتت نادلة، أخذت طلباتهما ورحلت، قال ريتشر: دورك.

- دوري؟

- سبب رحيلك.

نظرت تشانج إليه قبل أن تغمغم: نفس سبب رحيلك،



عرض سيئ من المكتب، لم أقبل به، أنا السبب في الحقيقة، لقد تركتهم يحاصروني في ركن.. لم أتوقع ما حدث.

- ما الذي حدث؟

- أحدهم اقتحم بيتي، لم يسرق شيئًا، لم يبحث عن شيء، لم يخرب شيئًا، ولم يترك شيئًا، لم أفهم سبب هذا الاقتحام، كنت أحقق في قضية غسيل أموال، وكنت أوشك أن أقبض على الوغد، الذي اختفى وراء سلسلة من الشركات الوهمية، وعلى كل حال كانت قضية شبة مستحيلة، بلا براهين تذكر، وكدت أتخلى عن القضية عدة مرات، لم يكن هناك مغزى في محاكمة الرجل دون أدلة، ثم أتى الرجل لرؤيتي، كنت أوشك حرفيًّا أن أخبره أن ملفه موشك على الإغلاق، وإني لن ألاحقه بعد الآن، لكنه تحدث قبلي، هددني، وقال: إني لو لم أتخلَّ عن القضية سيزعم أني كنت أرتشي منه فيما سبق، قبل أن أنقلب ضده، وأحتفظ بالمال لنفسي، كان يريد الشوشرة على عملي، وتهمة الرشوة تلك ستجعله يفلت من قضيتي..

- ولكن بإمكان أي أحد اتهام الآخر كيف سيثبت اتهاماته تلك؟

- لقد أنشأ حسابًا مصرفيًّا باسمي في جزء الكاريبي، وحول أموال الرشوة إلى هذا الحساب، حساب حقيقي وأموال حقيقية، الكثير منها، هذا كان سيدعم كل



اتهاماته..

لكنه هو مَن أنشأ الحساب وليس أنت، السجلات ستقول هذا.

- لقد أخبرني أن من اقتحم بيتي كانت امرأة، هي لم تأخذ شيئًا، لم تخرب ولم تبحث ولم تترك شيئًا، لكنها استخدمت هاتفي الأرضي في فتح الحساب المصرفي، من منزلي، وهذا كان سيظهر في فاتورة الهاتف، وهذا يضعني بين نابي الأسد، كيف سأثبت أني لم أقم بإجراء تلك المكالمة؟ حتى لو كان المصرف الأجنبي قد سجل المكالمة، فربما صوتها يشبه صوتي، قلدتْه في الأغلب؛ لأن هذا الرجل كان محترفًا، لقد كان يعرف رقم بطاقتي الائتمانية، واسم أمي الأوسط، وفي الأغلب اسم الأمي الأوسط هو إجابة سؤال التحقق من الهوية لدى المصرف..

حسنًا، كيف تصرفتِ؟

- امتثلت لتهديده وتخليت عن القضية فورًا، أعتقد أني كنت أنتوي التخلي عنها في كل الأحوال.

- أين هذا الرجل الآن؟

- لا يزال حرًّا يعمل.

ما الذي حدث للأموال في الحساب؟

- لقد اختفت، تلاشت، حاولت تعقب مصدرها كما توقع هو طبعًا، كانت تخص إحدى شركاته الوهمية، وكان



هناك تسجيل تجاري بأني ابتعت أسهمًا مالية كاستثمار طويل الأجل في إحدى شركاته، وهكذا قام بالربط بيني وبينه للأبد.

- وما الذي حدث بعد هذا؟

- لم أستطع التحمل، لقد اعترفت بكل شيء أمام مديري، كان لديَّ شعور بأنه يريد تصديقي، لكن المكتب الفيدرالي لا يعمل وَفْقَ للمشاعر، ومنذ تلك اللحظة أصبحت عديمة الجدوى كعميلة ميدانية، شهادتي جعلتي موضع شبهات، حتى بعد أعوام سيظل الأمر حلم كل مدعٍ عامّ، مقاضاة عميلة فيدرالية بتهمة رشوة، يقف ويقول لي في المحكمة: حدثينا عن الرشوة التي تقاضيتها، لم يكن أمامي خيار، إما القبول بالعرض نفسه الأخرق المشابه لعملك في شمال ألاسكا بقلب الشتاء كحارس ليلي أو الاستقالة؛ لذا استقلت..

- هذا أمر صعب.

- المرء يكسب أحيانًا، ويخسر في أحيان أخرى، لا يوجد خيارات بديلة، أنا لست تعيسة في وظيفتي الحالية.

ولكن؟

- لا أعلم إلى متى سأستمر فيها، هي فقط لا تبدو لي كوظيفة طويلة الأجل.

- لقد بدت كذلك لكييفر.



- هذا وصف قاسٍ.

كيف كانت قصة كييفر؟ أسباب عمله كمحقق خاص؟

- كانت؟

- حسنًا، ما هي قصة كييفر؟

- لقد سمعت أنه كان يواجه توقعًا من الإقصاء الوظيفي، فالمكتب الفيدرالي شديد الحرص والتأني، كييفر كان عكس هذا، يتعجل التصرف دون خطة احتياطية أو التفكير بالعواقب، كان يعرض القضايا للإتلاف بطريقته تلك، ويعرض نفسه للخطر، وزملاءه كذلك، خطأ آخر وكان سينضم إلينا في ألاسكا على ما أعتقد، لقد كان سيزدحم المكان هناك بالتأكيد، ولذا استقال هو الآخر، قبل موعد جلسة استماع وتحقيق بشأنه من المكتب، أعتقد أنه رأى أن تلك هي الخطوة الوحيدة لحفظ كرامته، وقبل أن تقول ما الذي أنت موشك على قوله، نعم، أنا أتفق معك، هذا في الأغلب ما الذي حدث له في «استراحة الأم»، لقد تعجل الأمور، اندفع وتهور، دون خطة أو دعم..

أتت النادلة، حاملة أطباق الطعام، ومزيدًا من القهوة، قال ريتشر بعدما رحلت: لكن كييفر اتصل بك طلبًا للدعم، نحن نعلم هذا، لماذا يتصل بك طلبًا للدعم، ثم يندفع بعدها صوب الأمر دون أن ينتظرك؟

- قلة صبر، أو الأمر كان مهمًّا.



- ربما هم هاجموه وهو لا يزال ينتظر، ربما كييفر لم يكن متعجلًا ومتهورًا تلك المرة.

- ما تقوله يبدو كأنه إعلان دعائي للدفاع عن المتهورين حول العالم.

- نحن لا نعلم ما الذي حدث.

- أتمنى لو أنه ترك تلك البلدة والقضية ورحل.

- تلك دومًا سياسة عقلانية.

- أراهنك أنك لم تتبع تلك السياسة من قبل.

- لقد اتبعتها في عدد لا بأس به من المرات؛ لذلك أنا لا أزال هنا، أتناول العشاء معك، في هذا العالم الفوضوي الخاضع لقوانين البقاء للأقوى الخاصة بداروين..

ترددت تشانج قبل أن تقول: هل لي أن أسألك شيئًا؟

- بالتأكيد؟

- هل نحن نتناول العشاء سويًّا؟

- هذا ما تقوله قائمة الطعام، الغداء فات أوانه، وبالتأكيد هذا ليس بإفطار..

- كلا، أعني، هل نتناول العشاء سويًّا أم أننا نأكل فحسب من أجل الرحلة؟

- كعشاء رومانسي على ضوء الشموع، وأنغام موسيقى



هادئة.

- ليس بالضرورة.

- عازفا فيولين ورجل يبيع الورد؟

- لو كان هذا مناسبًا.

- كموعد غرامي؟

- بشكل أو بآخر.

نظر إليها ريتشر وقال: تريدين إجابة صادقة؟

- طبعًا.

- افترضي أننا كنا قد وجدنا كييفر بالأمس، يترجل من القطار، أو يأتي إلينا متعثرًا من حقول القمح بقدم مكسورة، ظمآن ويتضور جوعًا لكنه بخير، لو كنا قد وجدنا كييفر، نعم، بعدها كنت سأطلب منك اصطحابك للعشاء، وحينئذ كان سيصبح موعدًا غراميًّا بشكل كامل، ليس بشكل جزئي كما هي الحال الآن..

- بشكل جزئي.

- نحن لم نجد كييفر، لذا جزء من هذا العَشاء مجرد وجبة طعام من أجل الرحلة.

- لكنك كنت ستطلب مني اصطحابي للعَشاء؟

- بالتأكيد.



- لماذا؟

- أنت من نوعية الأشخاص الذين أحب اصطحابهم للعَشاء.

صمتت تشانج لخمس ثوانٍ، ربما ستة، تهضم تلك المعلومات قبل أن تقول: كنت سأوافق، للسبب نفسه..

- رائع!

- لذا احتفظ بالفكرة في عقلك، نحن نتناول العشاء سويًّا الآن، وليس قضمة سريعة من أجل الطريق فحسب.. هذا ما يحدث الآن وليس مجرد سؤال افتراضي.

- إذن لماذا سألتيني؟

- لأتأكد من أنك تعرف..

تناولا الحلوى وشربا القهوة ببطء، بارتياح، بلا تعجل على الإطلاق، وكأن كلاهما قد اختار الثقة في أن ما سيحدث سيحدث دون تدخل منهما، دفعت تشانج الفاتورة، وقف الاثنان، التفت ذراع تشانج حول ذراع ريتشر، كأنهما ثنائي في علاقة ذات تاريخ طويل، وسارا سويًّا، بارتياح، وبطء، بلا تعجل على الإطلاق، انتظرا أمام المصعد، وصعدا بعدها للطابق الخامس قبل أن يفتحا باب الغرفة.

ثم ذهب البطء وحل مكانه التعجل، فقد كانت تشانج جميلة رقيقة لها رائحة عطرة، ضئيلة الحجم لكنها لم تكن



واهنة، وإنما قوية بما فيه الكفاية لتتماسك أمام أي شخص، وواثقة من نفسها في الوقت ذاته، اندمج الاثنان سويًّا بشغف متبادل، ثم تحدثا بعدها قليلًا، حتى غفت تشانج بين ذراعي ريتشر، ونام هو الآخر بعدها، وكانت تلك أفضل طريقة يعرفانها للنوم.



الفصل الرابع والعشرون

استيقظ ريتشر في السابعة وعشرين دقيقة صباحًا، بعد ذلك بوهلة كان الاثنان يسيران في الممر الخاص بالمطار، ثم وجدا نفسيهما في مقاعد الطائرة، جلست تشانج في المقعد المجاور للنافذة، وقال لها ريتشر وهو يجلس في مقعد الممر: هل لديك خبرة بلوس أنچيليس؟

- خبرة كافية كي أستطيع إيصالنا لمكان الجريدة.

- ربما أنه يعمل من المنزل.

- لو كان الأمر كهذا فهو لن يقابلنا في منزله بالتأكيد، سيحتفظ بعنوانه لنفسه، وسيختار أن يقابلنا في مقهى في منطقته السكنية..

- أي منطقة سكنية؟ هل تعرفينها جميعًا؟

- كلا، أعتقد أن علينا تأجير سيارة بجهاز خريطة إلكترونية.

- إلا لو كان في مكتبه وسيقابلنا هناك، حينئذ علينا استقلال سيارة أجرة.

- حسنًا سنتصل به عندما نصل ونتركه يحدد مسيرتنا، مكتبه أم المقهى، سيارة أجرة أم خاصة.

- هذا لو وافق أن يقابلنا من الأساس.

- مئتا حالة موت، إنها قصة مغرية لصحفي.



- وهناك احتمال بأن يكون قد سمعها بالفعل وَفْقًا لك، عندما اتصل به عميل كييفر، وطبقًا لنظريتك الأمر لم يثر حماسته ولا فضوله.

- هناك فرق بين الاستماع والإنصات، وتلك هي المشكلة، أنا أشك أن ويستوود يعرف حقًّا قيمة المعلومات التي يمتلكها، هو لم ينصت جيدًا، وملاحظاته لم تكن ذات فائدة لأنه لم يركز.. الأمر سيكون أشبه بمحاولة فتح قفل محكم بورقة معكرون(24).

- ماذا لو فشلنا في فهم المعلومات التي يمتلكها ويستوود؟

- لن يحدث هذا.

- أنت متفائل هذا الصباح.

- هذا رد فعل طبيعي، لقد حصلت على ليلة رائعة بالبارحة.

- وأنا أيضًا.

- من الجيد سماع هذا.

- بم يدعوك أصدقاؤك؟

- ريتشر.

- ليس جاك؟

- هز رأسه وقال: حتى أمي كانت تدعوني بريتشر.

- هل لديك إخوة؟



- كان لدي أخ يدعى جو.

- أين هو الآن؟

- ليس في عالمنا، لقد مات.

- آسفة.

- ليس خطأك.

- بماذا دعته أمك؟

- جو.

- بينما أنت كنت ريتشر بالنسبة لها؟

- إنه اسمي، مثل جاك، أتعنين أن أصدقاءك لا يدعونك بتشانج؟

- في العمل كنت الشرطية تشانج، بعدها العميل الخاص تشانج.

وخارج العمل؟

ميشيل، أحيانًا شيل كنوع من الاختصار، لقد أحببت شيل كنوع من التدليل، شيل تشانج يبدو كأنه اسم يقف في المنتصف بين شركة استكشاف بترول في الصين الجنوبية، واسم نجمة أفلام إباحية من كوريا.

حسنًا، سأدعوك إما بميشيل أو تشانج.

أقلعت بهما الطائرة لتحلق عبر الجبال..



***

على بعد سبع ساعات، في بلدة «استراحة الأم»، حل الغسق، وبعد ساعة وصل قطار الصباح ورحل، ذروة ساعة الإفطار قد انقضت، ذهب الرجل ذو القميصين لفتح متجره، وكذلك فعل بائع قطع الغيار، وجلس بالفعل خلف المكتب، ينظم بعض الأوراق، سائق الكاديلاك كان يطوي فواتير من حسابات تجارية بمكتب تحويل الأموال، والبريد، بينما فضَّل ابن العم موهينيان الذي تلقى الضربة بين ساقية وأخذ ريتشر سلاحه المكوث في بيته ليعتني بأخيه الذي كان لا يزال يعاني الدوار، ومن أمام النزل، خرج الموظف ذو العين الواحدة، يقف في العراء ويتشمم الهواء الطلق متلفتًا حوله، ناظراً لمساحة ركن السيارات، الممر الجانبي، الطابق الأول من الغرف المصطفَّة والمتجاورة، ثم نقل عينيه للطابق الثاني، كل شيء كما يجب أن يكون، الغرفة ٢١٤ شاغرة وكذلك ٢١٥.

هما لن يعودا، فكر الموظف، وهذا أمر جيد، كل شيء على ما يرام..

***

وصلت بهما الطائرة، قاعة الانتظار في المطار كانت مكتظة بالركاب، فقاتل كل منهما الزحام للوصول لبقعة هادئة من أجل إجراء مكالمتهما الهاتفية، اختبأت تشانج



من الضوضاء في ركن وأجرت الاتصال، أتاها صوت ويستوود وهو لا يزال يحاول الاستيقاظ من النوم، هو ليس ممن يستيقظون مبكرًا إذن، شعرت تشانج بالإحراج لأنها أيقظته، وتحدثت معه بلطف كي لا تثير استياءه أو تحصل على إنزعاج من يستيقظون مبكرًا وهم لا يحبون هذا، قبل أن تدخل إلى صُلب الموضوع بعدها، ذكرته بنفسها، وأخبرته أنها بحاجة لمقابلته؛ لأن شيئًا قد بدا صغيرًا إليهما هم الاثنان في بادئ الأمر لكنه لم يعد صغيرًا الآن ثم أخبرته أن مصدرًا موثوقًا به أخبرها بأمر «المئتي حالة موت»، أخبرته مرة أخرى أنها عميلة سابقة بالمكتب الفيدرالي وأنها تأخذ الأمر -٢٠٠ حالة موت- بكل جدية، وأخبرته أن زميلها ضابط جيش سابق، وهو أيضًا يأخذ الأمر بجدية، استمعت لوهلة قبل أن تقول: بالطبع، حقوق النشر والكتاب متوفرة..

استمعت تشانج للعنوان وحفظته، بينما ويستوود يمليها إياه، قالت لريتشر بعدما أنهت المكالمة: سنقابله في مقهى، في منطقة أنجلوود.

- هذا ليس بمكان بعيد، متى؟

- بعد ثلاثين دقيقة.

- علينا أخذ سيارة أجرة، لا يوجد وقت لاستئجار سيارة.

***



في ذلك المكان النائي بـ«استراحة الأم»، على بعد عشرين ميلًا جنوبًا، جلس الرجل الثامن، الزعيم، مرتديًا سرواله الجينز الذي تم كيه بعناية، وشعره المصفف للخلف، كان ينصت عبر الهاتف، المتحدث كان رجلهم هاكيت، المكلف بمراقبة ريتشر وتشانج، وقد نقل له هاكيت تفاصيل مكالمة تشانج مع ويستوود، وموقع الأولى في المطار، وقد استنبط هاكيت هذا من الضوضاء الخلفية للمكالمة التي تنصت عليها، باقي التقرير كان يتضمن زميلها ضابط الجيش السابق وحالات الموت، ومكان اللقاء بين تشانج وويستوود، في أنجلوود، الذي سيذهب إليها هاكيت بعد قليل.

***

الطريق من المطار لأنجلوود كان طويلًا لكنه خالٍ؛ لذا وصل ريتشر وتشانج قبل موعدهما، الشارع كان مكتظًا بالمقاهي، أغلبها مطاعم ومقاهٍ إيطالية لكن مقهى ويستوود لم يكن ينتمي إليها، كان مقهى مصممًا بالطراز الكلاسيكي، عتيق للغاية، ربعه فحسب ممتلئ بالرواد، يجلسون في صمت ويقرؤون الجرائد، أو يحدقون في الفراغ، لم يبدُ أي منهم كمحرر صحفي مختص بالأبحاث العلمية، قالت تشانج: لقد وصلنا مبكرين، هو سيصل متأخرًا..

جلس الاثنان متجاورين على منضدة ربما كانت متميزة وفاخرة منذ زمن لكنها الآن عادية كباقي المناضد، طلبا قهوة، واحدة سوداء وساخنة لريتشر، والأخرى مثلجة



لتشانج، وانتظرا، المكان كان شديد الهدوء، لدرجة أنك تسمع صوت ورق الجريدة بينما يتم قلب صفحاتها، مرت خمس دقائق ثم وصل ويستوود، لم يبدُ كما توقع ريتشر على الإطلاق، لم يكن كما تخيله طبقًا لصوته ووظيفته، لقد كان رجلًا يبدو كأنه يميل للعمل الميداني بدلًا من عمل المكتب، يحب الخروج كثيرًا، بدا عليه النشاط، له شعر قصير يميل للرمادية، ولحية باللون نفسه والحجم ذاته، وجهه يميل للحمرة بفعل أشعة الشمس، قدر ريتشر أنه في الخامسة والأربعين من العمر، يرتدي ملابس ذات خامة أنيقة وأزرار عدة، رجل وقور وأنيق، مرتديًا حذاءً جلديًّا طويلًا، خاصًّا بالتسلق، ويحمل حقيبة بحجم حقيبة رجل البريد، توقف ويتسوود في مدخل المقهى، ناظرًا يمينًا ويسارًا، قبل أن يتعرف على تشانج بسرعة لأنها كانت المرأة الوحيدة في المقهى، جلس قبالتهما حاملًا حقيبته بين يديه، وأراح ساعده على المنضدة، قبل أن يقول: أنا أفهم أن زميلك الآخر لا يزال مفقودًا أليس كذلك؟

- أومأت تشانج برأسها.

- لقد وصلنا لطريق مسدود بشأنه، آخر نقطة تعقب تخصه هي أنت.

- هل اتصلتما بالشرطة؟

- كلا.

- أعتقد أن سؤالي الأول سيكون لماذا؟



- لأن الأمر سيتحول لتقرير في درج عن رجل مفقود، نحن نتحدث عن رجل بالغ اختفى منذ ثلاثة أيام فحسب، الشرطة لن تفعل شيئًا بهذا الصدد.

- مئتا حالة موت قد تثير اهتمامهم.

- نحن لا نستطيع إثبات شيء، نحن لا نعلم إجابة أي من الأسئلة التالية، من وكيف ولماذا ومتى؟

- إذن أنا أبتاع لكم الإفطار من أجل رجل ليس مفقودًا بشكل رسمي ومئتي حالة موت لا تعلمان عنها شيئًا؟

- أنت تقدم لنا الإفطار لأنه يساوي ثمن حقوق نشر كتاب عن الأمر، وبهذا الكتاب ستتمكن من ابتياع كل أنواع الإفطار.

- ما عدا أن ثمن هذا الإفطار في الوضع الحالي يساوي أكثر من ثمن كتابك المزعوم، سأضيف خمسين سنتًا وأبتاع قهوة معه..

قال له ريتشر: أنت رجل علوم، فكر في الأمر بشكل علمي.

- كيف؟

- إحصائيًّا ربما، وتحليليًّا، ربما نفسيًّا واجتماعيًّا كذلك، وأضف للمعادلة منظورًا عميقًا لفهم الطبيعة البشرية، فكر بالرقم مئتين، يبدو كرقم أنيق، لكنه ليس منتشرًا، لا أحد سيقول «مئتين» بشكل عشوائي، الناس قد تقول مئة،



أو ألف، مئات الآلاف، لكنَّ مئتي حالة موت يبدو محدد للغاية بالنسبة لي، كأنه رقم حقيقي، ربما هو تقريبي لمئة وتسعين أو حتى مئة وثمانين، لكنه يبدو كرقم يخفي الكثير من المعلومات خلفه، بما يكفي ليبقيني مهتمًا، على أية حال أنا أتحدث من منظور المحقق..

لم يقل ويستوود شيئًا، أضاف ريتشر: وعلينا افتراض أن الشرطة قد سمعت الحكاية بالفعل ورفضت تصديقها.

هز ويستوود رأسه قائلًا: لأنك تفترض أن عميل السيد كييفر اتصل بالجميع بداية من مسؤولي البيت الأبيض ووصولًا إليَّ..

- وعلينا البدء من تلك النقطة، العميل، علينا إيجاد هذا الرجل، وسماع حكايته بالكامل، من البدء، كما فعل كييفر، وحينئذ نستطيع توقع ما الذي سيحدث..

- أنا أتلقى مئة مكالمة يوميًّا كما قلت لك؟

- كم؟ مئة؟

- فهمت مقصدك، مئة وليس مئتين.. حسنًا.

- أنت أخبرتنا أيضًا أنك تسجل ملاحظات عن كل تلك المكالمات.

- ليس بكل التفاصيل.

- أعتقد أننا قادرون على استخراج المعلومات من سجلاتك.



- أنت بحاجة لاسم على الأقل.

- أعتقد أننا نمتلك الاسم.

نظرت تشانج بطرف عينها لريتشر فقال: محتمل..

ثم التفت لويستوود متابعًا: في الأغلب اسم مستعار لكنه بداية للبحث، أنت قلت لنا: إنك تحظر وتحجب مكالماتهم عندما يتمادون كثيرًا، فلنفترض أن عميل كييفر أحد هؤلاء، وأنه عاد لمحاولة الاتصال بك باسم مستعار.

- هذا محتمل.

التفت ريتشر لتشانج وقال: أريه ورقة حفظ الصفحات الخاصة بكييفر.

أخرجت تشانج الوريقة من جيبها ووضعتها على المنضدة، الرقم الذي يرمز ٣٢٣ وبعده: «استراحة الأم» - مالوني.

قال ويستوود: هذا رقمي، لا حيرة هنا.

- لقد فسرنا الأمر بأن هناك رجلًا يدعى مالوني في بلدة «استراحة الأم»، لكن لا يوجد أحد بهذا الاسم في البلدة، لقد تأكدنا من هذا.. لقد بحثنا وسألنا والإجابات لم تكن مراوغة أو دفاعية بل قاطعة، يشوبها القليل من الحيرة؛ ولذا علينا افتراض أنك سئمت من اتصالات عميل كييفر وحظرته فعاود الاتصال بك باسم آخر، مالوني، وأخبر العميل كييفر بأن يتواصل معك، وأعطاه معلومة أن الأمر لن يكون تابعًا لاسمه الحقيقي، ولكن اسم



مالوني، ربما هذا ما تعنيه تلك الملاحظة.

- ربما.

- هل لديك تفسير آخر؟

- بإمكاني التحقق من نظريتك.

- سنقدر هذا كثيرًا، نحن نحفر في الصخر ها هنا.

- حقيقي للغاية، كما أن ملاحظات كييفر بسوء ملاحظاتي نفسه.

- هذا كل ما نملكه يا سيد ويستوود.

- ولكن رغمًا عن ما قلته، هو رجل مفقود وشائعة عن مئتي حالة موت، ألا تعتقد أن عليك التواصل مع الشرطة؟

- لقد اعتدت أن أكون شرطيًّا، وأنا أعلم أن لا أحد من الشرطة سيبغى عملًا إضافيًا بقضية ليست واضحة؛ ولذا هم لن يهتموا بوضعنا الراهن، أنا أضمن لك هذا، لن يهتموا مثلما لم تهتمَّ أنت..

- سأتحقق، لكني لا أرى كيف سيساعد الاسم المستعار.

- سيقودنا للاسم الحقيقي.

- كيف؟ الغرض من الاسم المستعار هو إخفاء الحقيقي.

- تحقق ممن حظرتهم قبل أن يبدأ مالوني في التواصل



معك، ستجد العميل بتلك الطريقة.

- سنجد الكثير من المرشحين، أنا أحظر الكثيرين.

- سوف نتمكن من التوصل إليه من تلك القائمة، بطريقة جغرافية، نحن نعلم أنه وظف محققًا من مدينة أوكلاهوما، وهو يقرأ أخبار لوس أنچيليس، هذا سيضيق دائرة البحث..

هز ويستوود رأسه وعلق: ليس من السهل التوصل لرقمي، أنا لا أدفع لشركة «جوجل» كي تضعه بشكل ظاهر وواضح، لو كان العميل بارعًا بما فيه الكفاية مع الحواسب الآلية والشبكة الإلكترونية ليتوصل لرقمي فلا بد أنه يقرأ النسخ الإلكترونية من الجريدة، رجل كهذا لم يكن ليبتاع جريدة ورقية منذ عقود؛ وبالتالي بإمكانه أن يكون في ركن من العالم..

صمت ريتشر قليلًا قبل أن يقول: من الجيد معرفة هذا.

قابلوني في مكتبه بعد ساعة، مبنى الجريدة.

أنا أعلم أين تقع الجريدة.

قالتها تشانج، أتت النادلة، وطلب ويستوود الإفطار، تركه ريتشر وتشانج ليأكل طعامه..

قبل اكتمال مرور عشر قائق تلقى الرجل ذو السروال الجينز والشعر المصفف للخلف مكالمة هاتفية وهو جالس في هذا المكان النائي - عشرين ميلًا جنوبًا في «استراحة الأم»



- المتصل كان هاكيت، الذي راقب اللقاء في المقهى، لكنه لم يكن قريبًا بالقدر الكافي لسماع المحادثة، رغمًا عن هذا فلقد سمع اسم كييفر، وتمكن من قراءة شفتي تشانج وهي تقول: إنهما وصلا لطريق مسدود، لكنه كان مهتمًا لأن هناك خطة تم اقتراحها لم يتمكن من سماعها، ومكان لقاء آخر لم يتبينه، لكنه سمع تشانج تقول: إنها تعرف الموقع، وأخبر هاكيت الرجل أنه سيتبع ويستوود للوضع الراهن، والأخير سيقوده لمكان اللقاء..



الفصل الخامس والعشرون

يقع مبنى الجريدة في وسط المدينة غربًا، كان مبنى زجاجيًّا شاهقًا، مصممًا بطراز هندسي رائع، والإجراءات الأمنية بالداخل كأنك تدخل منظمة حكومية، هنالك أشعة سينية، وكاشف للمعادن، لم يفهم ريتشر سبب كل تلك التعقيدات الأمنية، ربما لكي يشعروا بالأهمية، كان يشك أن أخبار لوس أنجيليس تتصدر قائمة تهديد أحدهم، ولن تكون في ذيل القائمة بالتأكيد، لكن لم يكن هناك مناص سوى الانصياع لذا أخرج عملاته المعدنية، وعبر الممر الأمني، استغرقت تشانج وقتًا أطول، مع معطفها وحقيبتها، لكنهما عبرا في النهاية وأخذا تصريحات دخول من مكتب الاستقبال، قبل أن يستقلا المصعد، اتضح لهما أن مكتب ويستوود عبارة عن غرفة مربعة ممتلئة بالكتب، والجرائد، هناك مكتب أسفل النافذة، وحاسب آلي، جلس ويستوود في مقعده خلف المكتب، يقرأ بريدًا إلكترونيًّا، حقيبته تستقر على الأرض بجواره بعد أن فتحها، لتظهر الحقيبة المزيد من الكتب، والمجلات، وحاسوب متنقل، الممر اكتظ ببشر يفعلون أشياء عدة ومختلفة بينما السماء كانت ساطعة ونقية بأشعة الشمس الدافئة المميزة لجنوب كاليفورنيا..

- سأكون معكم حالًا، اجلسا.

قالها ويستوود، هناك شيء ما بنبرة صوته، كأنه بذل



مجهودًا وهو يقول لهم أن يجلسا، أفسح كل من ريتشر وتشانج مكانًا لأنفسهما من وسط الأوراق والمجلات وجلسا، التفت إليهما ويستوود بعدما أغلق بريده الإلكتروني وقال: القسم القانوني الخاص بالجريدة مستاء مني، هناك بنود خاصة بالسرية تم انتهاكها هنا، إن سجل ملاحظات الجريدة لهو أمر شديد الخصوصية.

- ما مدى سوء الوضع؟

- سألته تشانج.

- سيئ بشكل غير محدد، إنهم محامون، لا مزاح في الأمر.

- ولكن هذا تحقيق مهم.

- التحقيقات المهمة -حسب ما قالوه- يصطحبها مذكرات تفتيش، وأوراق استدعاء، أو على الأقل تقرير باختفاء الشخص..

- سأله ريتشر: لماذا تتحدث مع المحامين؟

- أنا ملزم بالتحدث معهم.

- هل تحدثت مع مدير التحرير؟

- إنه لا يرى مقومات قصة في الأمر، لقد أجرينا بحثًا عن كييفر، وحسب ما عرفنا هو مجرد رجل فاشل، محقق خاص عفا عليه الزمن، ستجدوه في حانة ما ثملًا في النهاية.



لم تقل تشانج شيئًا، وعلق ريتشر: أنا لم أرَ الرجل من قبل، لكني قابلت الكثيرين مثله، جميعهم فوق المتوسط على مستوى القدرات، ما عدا أنهم يمتلكون غريزة جامحة بفقد السيطرة على حياتهم، ولكن تلك الغرائز تنتج عن أفضل النوايا، ومهما كانت درجة عفاء الزمن عليه، ستجد أن كييفر أشبه بجيمس بوند مقارنةً مع سكان «استراحة الأم»، ورغمًا عن هذا تمكنوا منه.

- أنت لا تعلم أنهم تمكنوا منه.

- افترض أنهم فعلوا هذا، افترض معي أن هناك شيئًا مريبًا يجري بالبلدة، مع مئتي حالة وفاة لسبب ما، تلك قصة تستحق النشر في جريدة أخبار لوس أنجيليس أليس كذلك؟ قصة ناجحة، ستجد نفسك تتحدث عنها في التلفاز بعد ذلك، وربما تتحول لفيلم..

- لن أستطيع مساعدتك لو لم تمتلك دليلًا حقيقيًا.

- وما هي احتمالات أن نجد دليلًا حقيقيًا في رأيك؟

- واحد بالمئة.

- ليس مئتين؟

- ريتشر، نظرياتك ليست ببراهين ولا أدلة.

- إليك نظرية أخرى، نخرج نحن من هنا، باحتمال الواحد بالمئة، ونكتشف -ضد كل الاحتمالات- القصة الكاملة؛ ولأن القصة لم تعد حصرية لأخبار لوس



أنجيليس، تحدث الضجة بعيدًا عنك، وتتنافس عليها كل الصحف، لو أنك محرر صحفي ذكي فعليك التمسك بالقصة حتى لو كانت الاحتمالات واحدًا بالمئة، أتريد أن تعرف تخميني؟ فور رحيلنا من هنا ستبحث أنت في السجلات عن مكالمة من رجل يدعى مالوني، فقط لتريح عقلك..

لم يقل ويستوود شيئًا.

- ولذا لن يحدث الأمر فارقًا لو بقينا في الغرفة وأنت تفعل هذا..

صمت مطبق، استدار بعده ويستوود بوجه بلا تعبير صوب شاشة الحاسب الآلي، ضغط على الفأرة، وكتب على لوحة المفاتيح، خمن ريتشر أنه يكتب اسم المستخدم وكلمة السر؛ من أجل الولوج لسجل الملاحظات كما يأمل ريتشر، انحنت تشانج للأمام، أرتها الشاشة صفحة بحث، برنامج بحث متطور ملائم للمهمة الحالية، كان ويستوود يعدل في إعدادات البحث وهي تنظر، لتحديد النتائج، ربما هناك مئة مالوني في أخبار لوس أنجيليس، ربما كان هناك مئتان، نجوم رياضة، ورجال أعمال، وممثلون، وموسيقيون، ومسؤولون، ومدنيون..

غمغم ويستوود: كل النظريات لا بد من اختبارها، هذا أساس البحث العلمي..

كتب مالوني في البحث، ضغط على الفأرة، حصل على ثلاث نتائج..



أظهرت قاعدة البابينيات أن هناك شخصًا يدعى مالوني اتصل ثلاث مرات مختلفة، آخر مرة قرابة الشهر، الأخرى منذ ثلاثة أسابيع، والأقدم من أسبوعين قبل الثانية، رقم الهاتف ثابت في المرات الثلاث، برمز منطقة ٥٠١، ولم يتعرف أحدهم أي منطقة يخصها هذا الرمز.

لم يكن هناك ملاحظات سابقة من قبل ويستوود بشأن المكالمات الثلاث في قاعدة البيانات، أو عن محتوى المحادثة، فقط كتب حرف «السين» بجانب المكالمات الثلاث، وعندما سأله ريتشر عن معنى العلامة أجابه ويستوود: يعني أن القائمة التي تنتمي إليها تلك المكالمة هي قائمة «المؤامرات»..

- أي نوع من المؤامرات؟

- إنها قائمة شاملة للعديد من الأنواع.

- أعطني مثالًا.

- إن أجهزة إطفاء الحريق في البيوت الحديثة لهي في الحقيقة أجهزة مراقبة وتنصت تعود للحكومة، موصلة بأنابيب غاز سام في حالة لو لم تحب الحكومة ما تراه وتسمعه عندك..

- لم يكن كيفر ليهدر وقته في ادعاء كهذا.

- وأنا لم أكن لأتجاهل أمرًا أكثر جدية من هذا.

ربما لم يتم شرح الأمر لك جيدًا بواسطة المتحدث..



مالوني..

أعتقد أنك محق.

- هل أنت واثق من أنك لا تتذكر هذا المالوني على الإطلاق؟

بدلًا من الإجابة الشفهوية ضغط ويستوود على زر ليريهم كل المكالمات غير المقسمة للأنواع الواردة إليه، امتلأت الشاشة الكبيرة بقوائم تلك المكالمات، وهذا كان جزءًا فحسب من تقويم هذا العام، وليس العام بأكمله..

- سأله ريتشر: هل نحن هناك في تلك القوائم؟

- أومأ ويستوود برأسه مجيبًا: منذ هذا الصباح.

- أي ملف وضعتنا به؟

- لم أحدد بعد.

أمسكت تشانج بهاتفها واتصلت برقم مالوني الظاهر لهم، والذي يبدأ برقم ٥٠١، وسبعة أرقام أخرى، وضعت المكالمة على مكبر الصوت، انبعثت ضوضاء من الهاتف، قبل الصمت، ثم التقطت الشبكة الرقم، وأوصلته بهم، بدأ الهاتف في الرنين.. استمر الرنين، ليس هناك رد، ولا بريد صوتي..

وضعت تشانج الهاتف في جيبها، ولدقيقة كاملة خيم عليهما الصمت..



قال ريتشر: علينا معرفة أي منطقة يخصها الرمز ٥٠١..

فتح ويستوود صفحة بحث على محرك الشبكة الإلكترونية، قبل أن يتوقف لبرهة ويقول: إذن نحن حقًّا سنفعل هذا.

لن يعلم أحد.

أجابه ريتشر وأردف: حتى يتم عرض الفيلم المأخوذ عن القصة.

أخبرهم الحاسب أن رقم ٥٠١ يخص ثلاث مناطق في اركانساس، تساءلت تشانج: هل كان هناك رقم عائد لاركانساس في قائمة الحظر الخاصة بك؟ ربما حول مالوني رقمه من أرضي لهاتف خلوي فحسب..

عاد ويستوود للبحث في قاعدة البيانات، منذ تسعة أسابيع سابقة، وقال: ما هو متسع الوقت الذي نتوقعه؟ هل سيغير رقمه بسرعة أم أنه سيستغرق فجوة زمنية؟

ستواتيه الفكرة بسرعة؛ لأنها ليست معقدة كعملية جراحية، سيكون هناك متسع زمني ولكن ليس فجوة زمنية، وسبب المتسع الزمني مشاعره الجريحة فحسب، أنت رفضت الاستماع إليه، ربما احتاج لأسبوع ليبتلع مشاعره الجريحة، ويسكت كبريائه، ويعاود الاتصال بك..

هز ويستوود واستمر بالبحث، وفتح قوائم المناطق



والرموز، ليقارن بعدها النتائج قبل أن يقول لهما بعدما انتهى أخيرًا: لقد قمت بحظر أربعة أشخاص هذا الأسبوع، ولكن لا أحد منهم يقطن في اركانساس..

- جرب الأسبوع السابق، ربما هو أكثر حساسية مما توقعت.

عاود ويستوود البحث، ذهابًا وإيابًا، أسبوعًا سابقًا، قبل أن يقول: لقد قمت بحظر رجلين في الأسبوع السابق، هذا يعني ستة أشخاص خلال أربعة عشر يومًا، ولا واحد منهم يحيا في اركانساس..

قال ريتشر: نحن نتحرك في اتجاه ما على الأقل، اتصالات مالوني بدأت منذ تسعة أسابيع، من رجل تم حظره للتو، وفي تلك القائمة هناك ستة مرشحين لشخص مالوني، المنطق يقول هذا، وبإمكاننا أن نجد أنفسنا نتحدث مع مالوني خلال ثلاثين ثانية من الآن، على رقمه الأصلي؛ لأني أعتقد أنه واحد من الستة.



الفصل السادس والعشرون

قام ويستوود بنسخ ستة أسماء بأرقام هواتفهم لقائمة جديدة، أسماؤهم كانت أمريكية بشكل تقليدي جدًّا، وكأنهم في فريق كرة قدم يمثل الولايات المتحدة الأمريكية، أو ستة مرضى بالعناية المركزة في واشنطن، أو ستة عملاء داخل محل، أو ستة مسافرين أمريكيين درجة أولى داخل طائرة، نصف الأرقام كانت هواتف خلوية؛ لأن ريتشر لم يتعرف على أكواد مناطق سكنية في بدايتها، ثلاثة الأرقام الأخرى كانت تخص شيكاغو ونيو مكسيكو وربما ممفيس، فرمز المنطقة الأولى كان ٧٧٣ والثانية ٥٠٥ بينما الثالثة ٩٠١..

وضع ويستوود هاتفه جوار الحاسب وأجرى المكالمة من الأخير، بينما مكبرات الصوت تنقل لهم صوت الاتصال، سمع ريتشر صوت «بيب بيب بووب» من الأسلاك الإلكترونية، قبل أن يأتيهم صوت الرسالة الإلكترونية الجاف والمتعاطف في الوقت نفسه ليخبرهم أن الرقم لم يعد في الخدمة، أنهى ويستوود المكالمة بحب، وتأمل رمز المنطقة الخاص بالرقم الأول قبل أن يقول: هذا الرقم كان يخص هاتفًا خلويًّا، ربما في شمال لويزويانا، أو شريفيبورت، بالقرب منهما على أية حال، لقد تم وقف الخط، هذا يحدث أحيانًا وبعد فترة سيصبح الرقم يخص شخصًا آخر.. اتصل ويستوود بعدها بالرقم الثاني، حدث الشيء نفسه، صوت الاتصال، صمت، صوت الرسالة



المسجلة بنبرة اعتذارية الذي يخبرهم أن الرقم خارج الخدمة، عقب ويستوود: هاتف خلوي في ميسيسبي، بالشمال، بالقرب من أوكسفورد، الكثير من الطلبة هناك، ربما الرقم يخص طالبًا قام والداه بمنع هاتفه عنه..

قال ريتشر: أو ربما كان هاتفًا ثانويًّا، بنظام دفع فوري، وقد توقفت الخدمة آليًّا عندما كفت المكالمات، أو نفاد دقائق الباقة، ربما كلها هواتف ثانوية..

- محتمل، وارد، الأشرار يستخدمون تلك الهواتف دومًا لتجنب القضايا الحكومية وتعقب المكالمات، والمواطنون قد تعلموا تلك الحيلة أيضًا مؤخرًا، وبخاصة المواطنون الذين يؤمنون بنظريات المؤامرة ويتصلون بالجرائد..

اتصل ويستوود بالرقم الثالث، هاتف خلوي أيضًا، يقع في أوهايو، وتلك المرة أجابهم أحدهم..

أتاهم صوت المتحدث عبر مكبرات الصوت.

- مرحبًا؟

اعتدل ويستوود في جلسته وتحدث قائلًا: صباح الخير يا سيدي، اسمي آشلي ويستوود من جريدة أخبار لوس أنجيليس.

- حقًّا؟

- نعم، أعتذر عن التأخير في معاودة الاتصال بك، لقد كان علي البحث فيما قلته لي، لكني الآن أتفق معك، ما



أخبرتني إياه في مكالمتك الأولى، لا بد من الكتابة عنه في العلن؛ ولذا أنا بحاجة لأسألك عن بضع الأشياء أولًا..

- حسنًا، بالطبع، رائع.

صوت المتحدث كان سريعًا وانفعاليًّا يشوبه التوتر، فكر ريتشر أن المتحدث رجل نحيف، يرتجف، يهتز في مكانه الآن، ربما في الخامسة والثلاثين من العمر أو أصغر من هذه السن، ربما ولد وترعرع في أوهايو.. لكن هذا احتمال ضئيل..

تابع ويستوود: في البدء أنا بحاجة لتأكيد اسم المحقق الخاص الذي قمت بتوظيفه.

- ماذا؟ اسم من؟

- المحقق الخاص.

- لا أفهم.

- هل قمت بتوظيف محقق خاص؟

- لماذا أفعل شيئًا كهذا؟

- لأنه لا بد من إيقاف الأمر.

- أي أمر؟

- ما اتصلت بي بشأنه.

- محقق خاص لن يجدي نفعًا، سيفعلون به ما يفعلونه بكل الآخرين، بمجرد رؤيته، حرفيًّا، لقد أخبرتك، لا



يستطيع أحد تجنب الأمر، أنت لا تفهم.

- إذن أنت لم توظف محققًا خاصًّا؟

- كلا لم أفعل شيئًا كهذا.

- هل استخدمت هاتفًا خلويًا آخر للاتصال يبدأ برمز ٥٠١.

- كلا.

أنهى ويستوود المكالمة دون أي كلمة أخرى، وقال: أنا أتذكر هذا الرجل، حسب ما قاله هناك أشعة خارقة تسيطر على عقولنا.

سأله ريتشر: أي نوع من الأشعة؟

- أشعة مسيطرة على العقول يا ريتشر، من قاع الطائرات المدنية أو شيء كهذا، أنت تمر بحقائبك والأشعة تنطلق للتحكم بعقلك، ولها معدات تحتل مساحة في أجهزة المسح في المطارات، كأنها قاذفة قنابل تقليدية، صوبت وأطلقت، الرجل في أوهاويو لم يكن ليخرج إلا لو كانت هناك سحب في السماء، ويقول: إن الطيران يجعلنا في حالة وهن؛ ولذا يسهل التحكم في عقولنا.

- لكن لا يوجد طيران بالقرب من أوهايو.

- أين سيكون؟

- بنسلفانيا.



- ربما.

قالت تشانج: نعم بنسلفانيا لأن هناك الكثير من المعاملات التجارية، ورحلات التوقف بين واشنطن ونيورك، الآن لنمضي قدمًا، لنتصل بالرقم التالي.

اتصل ويستوود بالرقم، الرابع، يبدأ برمز ٩٠١ الخاص بممفيس، أول رقم يخص هاتفًا أرضيًّا، سمعوا صوت الاتصال عبر المبكرات، ثم بدأ الرنين، بشكل عالٍ في الغرفة قبل أن يرد شخص ما..

ساد الصمت لوهلة، صوت سماعة تتحرك، قبل أن يأتيهم صوت ذكوري..

- نعم؟

اعتدل ويستوود مرة أخرى، وفعل الهراء نفسه مثل المرة السابقة، اسمه، الجريدة، معاودة الاتصال، اعتذار عن التأخير..

قال له صاحب الصوت: سيدي، أنا لست واثقًا من أني أفهمك..

بدا المتحدث طاعنًا في السن لريتشر، يتحدث ببطء، ولو لم يكن من ممفيس، فهو من مكان قريب منها.

رد ويستوود على الرجل: أنت اتصلت بي، في جريدة أخبار لوس أنجيليس؛ لتخبرني عن شيء ما يثير اهتمامك.

أجابه العجوز: لو فعلت هذا فأنا لا أتذكر، ولو كنت قد



ضايقتك بشكل ما فأنا أعتذر.

- كلا يا سيدي أنت لم تضايقني، لا حاجة للاعتذار، أنا أريد معرفة ما يثير اهتمامك فحسب، ما الذي يقلقك؟

- أنا في وضع جيد، ولله الحمد، لا يوجد ما يقلقني.

- إذن لماذا اتصلت بي؟

- لا أعتقد أني أستطيع منح إجابة لك، أنا لست متأكدًا من أني اتصلت بك من الأساس.

رفع ويستوود رأسه صوب تشانج قبل أن يعاود النظر للشاشة، أخذ نفسًا عميقًا وهم بالحديث، قبل أن تقاطعه ضوضاء خافتة من الهاتف، السماعة تحرك فيما يبدو، قبل أن يأتيهم صوت أنثوي..

- من المتحدث؟

- آشلي ويستوود، يا سيدتي، من جريدة أخبار لوس أنجيليس، أعاود مكالمة من هذا الرقم.

- مكالمة حديثة؟

- إذن زوجي هو من اتصل بك.

- هل يمكنني أن أتحدث معه؟

- أنت فعلت هذا للتو.

- هو لم يستطع تذكر المكالمة.



- لم يكن ليتذكر، مر شهران أو ثلاثة منذ فترة طويلة..

- هل لديك أي فكرة ما الذي قد تكون المكالمة بشأنه؟

- ألا تعلم أنت؟

لم يرد ويستوود، تابعت المرأة: لا أقصد انتقادك، لو كنت أستطيع المساعدة لفعلت، هل أنت كاتب سياسي أم مختص بالعلوم؟

- العلوم.

- إذن ستكون المحادثة عن كون المناضد الرخامية مشعة، هذا هو موضوع هذا العام، وهي حقًّا مشعة بالمناسبة، لكن المسألة تخص درجة الإشعاع، أنا واثقة من أنه اتصل بك لتكتب عن هذا الأمر، أنت وآخرون.

- هل تعلمين عدد الآخرين الذين اتصل بهم؟

- سيكون عددًا صغيرًا لو قارناه بالتعداد السكني للولايات المتحدة، أعني كم من الساعات يستطيع رجل عجوز قضاءها على الهاتف؟

- سيدتي هل قام زوجك بتوظيف محقق خاص؟

- من أجل ماذا؟

- ليساعده في التحقيق بشأن الرخام المشع.

- كلا، أعني هذا غير محتمل.

- هل أنت واثقة؟



- لا يوجد شيء ليتم التحقيق بشأنه، كما أنه لا يمتلك حسابات بنكية لتوظيف محقق خاص، الحقائق ليست محل جدال يا سيدي..

- ولا حتى يمتلك مالًا نقديًّا؟

- ولا مالًا نقديًا، لا تسأل عن السبب، وحاول ألا نتقدم بالعمر.

- هل يمتلك زوجك هاتفًا خلويًّا؟

- كلا.

- هل بإمكانه الحصول على هاتف ثانوي؟

- كلا هو لا يترك المنزل أبدًا، من أين سيبتاعه؟

- هل مات أناس من قبل بسبب الجرانيت؟

- وفقًا لما يقوله زوجي، نعم.

- كم تعدادهم بالضبط؟

- آه، الآلاف منهم.

- حسنًا، شكرًا لك، وآسف لإزعاجك.

- على الرحب والسعة، من اللطيف التحدث مع شخص بخلاف زوجي على سبيل التجديد.

سادت ثانيتان من الصمت قبل أن تنهي المرأة المكالمة، واضعةً السماعة الكبيرة في مكانها، قال ويستوود: مرحبًا



بكم في عالمي.

- إنه أفضل من عالمها.

اتصل ويستوو بالرقم الخامس، برمز ٧٧٣، شيكاغو، رن الهاتف كثيرًا، مع مدة الرن تلك لم يكن هناك بريد صوتي ليقطع محاولة الاتصال، ثم فجأة أجابتهم امرأة تلهث من أجل التقاط أنفاسها وقالت بتعجل: مكتبة المدينة، لينكولن، غرفة التطوع..

بدت صغيرة في السن، مبتهجة ومشغولة جدًّا..

عرفها ويستوود بنفسه وسألها عن اسمها، أعطته الفتاة اسمها، بلا تردد على الإطلاق، وأخبرته أنها لم تتصل بجريدة أخبار لوس أنجيليس من قبل، ولا تعرف محققين خواصَّ، سألها ويستوودد لو كان هناك آخرون يستخدمون هذا الهاتف، أخبرته الفتاة أن كل المتطوعين يستخدمون هذا الهاتف، وهي أحدهم، قالت له: إن غرفة التطوع هي في الواقع حيث يأخذون استراحتهم ويتركون معاطفهم، وهناك هاتف في تلك الغرفة والكثير من الوقت لاستخدامه، أخبرته أن مكتبة لينكولن العامة تقف بشمال وسط البلد في شيكاغو، وبها دستة من المتطوعين، يتغيرون دومًا، هم صغار وكبار في السن، رجالًا ونساءً، كلهم رائعون وَفْقًا إليها، ولكنها لا تعتقد أن أحدهم مهووس بشيء علمي.. وبالتأكيد ليس لدرجة الاتصال بجرائد في لوس أنجيليس..



نظر ويستوود لقائمته، للاسم المقابل للرقم الذي يبدأ بـ ٧٧٣، وسألها: هل تعرفين متطوعًا يدعى مكاين؟ لا أعلم إن كان السيد أم السيدة مكاين..

- كلا.

أجابته الفتاة وأردفت: لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

سألها ويستوود: لكم من الوقت تطوعتي في المكتبة؟

- أسبوع.

شكرها ويستوود، وتقبلت الفتاة شكره بلطف، ثم أنهى المكالمة، ليتصل بعدها بالرقم الأخير، الذي يبدأ برمز ٥٠٥، منطقة نيو مكسيكو..



الفصل السابع والعشرون

استغرق الأمر أربع محاولات للاتصال قبل أن يرد عليهم رجل بصوت هادئ، صوت مهزوم، فأعطاه ويستوود اسمه، وباقي التفاصيل المعتادة، جريدة لوس أنجيليس، معاودة الاتصال، الاعتذار عن التأخير، والاهتمام المفاجئ بالأمر كائنًا من كان، مرت فترة صمت قبل أن يقول الرجل ذو الصوت الهادئ: هذا كان فيما سبق، لقد تغير الأمر الآن.

- كيف؟

- أنا أعلم ما رأيت، لم يصدقني أحد في البدء، ثم أرسل قسم الشرطة محققًا، رجلًا يافعًا في السن، هادئ، قال لي: إنه من وحدة التحقيقات السرية وأخذ شهادتي، وقال لي ألا أفعل شيئًا، ثم بعد مرور أسبوع رأيته بملابسه الرسمية، شرطي مرور يكتب المخالفات المرورية، لم يكن محققًا على الإطلاق، لقد أراد قسم الشرطة مني أن أكف عن الاتصال بهم فأرسلوا شرطيًّا هاويًا لأخرس فحسب.

- قل لي مرة أخرى ما الذي رأيته؟

- سفينة فضاء في الصحراء، خرج منها ستة ركاب يشبهون البشر، والأمر أكثر أهمية أن الباخرة الفضائية لم تبدُ أنها مهيأة للرحيل مرة أخرى، وهذا يعني أن تلك المخلوقات قد أتت لتبقى، وهذا يقودنا لسؤال آخر، من الذي يتحكم بقسم الشرطة؟ هم؟ هل هم يتحكمون بكل



شيء؟

لم يرد ويستوود، تابع الرجل الهادئ: والآن ستأخذ القصة طابعًا نفسيًّا، بدلًا من العلمي، كيف يتعايش المرء بعد أن عرف شيئًا لا يجب عليه معرفته، وعليه التظاهر بأن كل شيء على ما يرام؟

- هل قمت بتوظيف محقق خاص؟

- لقد حاولت.. أول ثلاث محققين تواصلت معهم لم يكونوا ليأخذوا تحقيقات بشأن مخلوقات فضائية، ثم استوعبت أنه من الأفضل البقاء صامتًا وعدم إحداث المتاعب، والآن عليَّ مواجهة الضغط العصبي، كلنا في القارب نفسه عندما يتعلق الأمر بالضغط العصبي أليس كذلك؟ لكل منا يشعر أنه يواجهه وحده لأننا لا نستطيع التحدث مع بعضنا البعض.. ربما هذا ما عليك الكتابة بشأنه، العزلة..

- ما الذي حدث لسفينة الفضاء؟

- لم أستطع أن أجدها مرة أخرى، نظريتي أن حلفاء الفضائيين خبؤوها بعيدًا..

- هل مات أحد بسببهم؟

- لا أعلم، لكنه أمر وارد.

- كم؟

- واحد أو اثنان، أعني هبوط تلك السفينة يتطلب طاقة



وإشعاعات ولهيباً.. إلخ الخ، لا بد أن أمرًا كهذا يعد خطرًا.. كما أن لا أحد يعلم ما الذي فعله الفضائيون بعد وصولهم.

- هل لديك هاتف خلوي؟

- كلا، الشائعات المنبعثة من الهواتف الخلوية شديدة الخطورة، وتسبب السرطان.

- هل يعني لك اسم كييفر شيئًا؟

- كلا لم أسمع عنه من قبل.

- حسنًا، شكرًا لك.. سوف أعاود الاتصال بك.

أنهى ويستوود المكالمة.. نظرت له تشانج وقالت: أعلم.. مرحبًا بنا في حياتك.

- مرحبًا بكم في نيو مكسيكو..

قام ويستوود بمسح الرقم الثالث والرابع والسادس من قائمته المؤقتة وأردف: العميل ليس رجل الجرانيت، ولا الإشعاعات، ولا المخلوقات الفضائية، متفقون؟ وهذا يترك لنا الهاتف الخارج عن الخدمة في لويزانيا والآخر في ميسسبي، وغرفة التطوع بشيكاغو.. لقد قللنا الاحتمالات للنصف على الأقل..

قام بترتيب أماكن الأرقام الثالثة الباقية على شاشته، يعتليهم رقم لويزيانا، الذي كان يخص شخصًا يدعى هيدلي منذ عشرة أسابيع قبل إيقاف الخط حسب ما قالته لهم



قاعدة البيانات، وأسفله رقم ميسسبي، حيث كان مسجلًا باسم راميريز، وأخيرًا رقم شيكاغو الخاص بالمكتبة، وطبقًا لقاعدة البيانات لا يوجد ذكر لاسم مكاين.. طبع ويستوود القائمة وأعطاها لتشانج التي قالت: جرب رقم مالوني مرة ثانية.

اتصل ويستوود بالرقم، بييب بييب بووب، رنين، لا رد، ولا بريد صوتي..

أنهى المكالمة بعد دقيقة أخرى من الرنين ليقول ريتشر: نحن بحاجة لقائمة بكل شيء قمت بنشره خلال الستة الأشهر السابقة.

- لماذا؟

- لأنه أيًّا ما كان مما نشرتَه فقد قرأه العميل، وقام بالاتصال بك بعدها.

- هذا لن يساعدنا في إيجاده.

- أتفق معك، ولكن لمعرفة أي نوع من الرجال نتعامل معه، نحن بحاجة لمعرفة ماهية المشكلة.

- كل ما نشرتُه موجود على الموقع الإلكتروني.

- حسنًا شكرًا جزيلًا لمساعدتك.

- ما هي الخطة الآن؟

- سنفكر في شيء ما، كما قلت أنت لقد قللنا



الاحتمالات للنصف، لدينا ثلاثة أشخاص لنختار من بينهم، سنتعقبهم جميعًا.

- إليك نظرية أخرى، لقد تصفحت الصفحة الإلكترونية الخاصة بكييفر، كما فعلت الآنسة تشانج، والصفحة تعكس شخصًا مؤهلًا ومقتدرًا، يمتلك مصادر ووسائل عديدة لإنجاز مهامه، وهذا سيشمل قاعدة بيانات خاصة وسجلات هاتفية، وربما أرقام المصادر داخل تلك السجلات الهاتفية؛ لذا نظريتي أنك ستقصيني عن التحقيق الآن لأنك لم تعد بحاجة إليَّ..

- نحن لن نفعل هذا.

ردت تشانج.

- سنبقيك مطلعًا على المستجدات.

- ولماذا ستفعلان شيئًا كهذا؟

- لأننا لا نريدان حقوق القصة.

- ولماذا لا تريدانها؟

- أنا مشغولة للغاية، وريتشر يستطيع بالكاد كتابة اسمه.

لم يعلق ريتشر، وقال ويستوود: إذن أنا لا أزال ضمن الفريق؟

أجابته تشانج: الجميع من أجل الفرد، والفرد من أجل الجميع (23).



- أتعديني بهذا؟

- أعدك.

- ولكن هذا في حالة لو كانت قصة جيدة، لا تأتيا لتخبراني عن أشعة، وجرانيت قاتل، وسفن فضاء..

رحل كل من ريتشر وتشانج تاركين ويستوود في مكتبه، خرجا من المبنى، بعد أن استقلا المصعد، كانت تشانج تمتلك حاسبًا آليًّا متنقلًا في حقيبتها، وبحاجة لمكان هادئ به شبكة «إنترنت» لتبدأ العمل على قاعدة البيانات الخاصة بها، وهذا كان يعني أن عليهما التوجه لفندق؛ لذا بحثا عن سيارة أجرة، رأيا واحدة فصفر لها ريتشر ولوح بيده لكن لسبب ما لم يتوقف السائق وسار في الاتجاه المعاكس لهما، سارا حتى وصلا لمتحف الأطفال ووجدا صفًّا من سيارات الأجرة هناك، وبما أن نوعية الأماكن التي يعرفها ريتشر في لوس أنجيليس لا تحمل ذرة هدوء ولا إنترنت فلقد ترك تشانج تحديد الوجهة، الوجهة كانت غرب هوليوود، وتحرك بهما السائق وسط الزحام..

***

بعد عشر دقائق، في جنوب «استراحة الأم»، على بعد عشرين ميلًا من الميدان، جلس الرجل ذو السروال الجينز والشعر الأنيق، وتلقى مكالمة ثالثة، تحدث المتصل كثيرًا، وقال له: كان الأمر بمثابة الهدية، لقد التقوا في جريدة أخبار لوس أنجيليس، لقرابة الساعة، مبنى عتيق



بجدران سميكة لكن هاكيت حالفه الحظ، جزء كبير من لقائهم تضمن استخدام الهاتف، ومن الواضح أن ويستوود استخدم هاتف مكتبه، ومكتبه يقع أسفل النافذة، وهذا ساعد هاكيت في التقاط موجات الهاتف والاستماع بجهاز التنصت إياه، لقد أجروا سبع مكالمات: منها رقمان خارج الخدمة، وهاتف خلوي لم يرد، ورقم يخص هاتفًا عامًّا في شيكاغو، والثلاثة الآخرون شبه مخابيل، لقد تم ذكر اسم كييفر مرة واحدة، بينما تم ذكر كلمة محقق خاص ثلاث مرات، ومرة أخرى في المكالمة مع رقم شيكاغو، وقد ذكر ويستوود اسم مكاين..

صمت الرجل في «استراحة الأم» لفترة طويلة.. قبل أن يقول: لكنهم لم يحققا تقدمًا حقيقيًّا أليس كذلك؟

- هذا الاستنتاج يعود إليك أنت، لديهم ثلاثة احتمالات الآن، وأنا واثق أن أحدهم عميل كييفر، وأنا أثق بأنك تعلم أيهم، لديهم سجل هاتف، بإمكانهم فحصه، لقد رأيت الأمور تزداد سوءًا من أشياء أقل من تلك..

- أنا بحاجة لمعرفة لو كانوا سيتواصلون مع شركة الهاتف، ولو فعلوا هذا، أنا بحاجة لمعرفة ما الذي ستقوله لهم شركة الهاتف..

- أخشى أن هذا سيكلفك المزيد، شركة الهواتف شديدة السرية كما تعلم.

- افعلها.



- حسنًا.

- ما الذي حدث بعد هذا؟

- لقد أخذت الأمور مسارًا هزليًّا بعد هذا.

- كيف؟

- لقد رحل ريتشر وتشانج تاركين ويستوود في المكتب..

- أين ذهبا؟

- هذا هو الجزء الهزلي، لقد فقدهما هاكيت، الحقيقة أنه كان متخفيًا كسائق أجرة، لا يوجد تخفٍّ أفضل من هذا في المدينة، ولكن ريتشر أشار له؛ لذا رحل هاكيت مسرعًا.

- هذا ليس بأمر جيد.

- هاكيت يمتلك رقم تشانج في النظام الإلكتروني الخاص به، بمجرد أن تجري هي اتصالًا، سيتوصل هاكيت لمكانهما..



الفصل الثامن والعشرون

كان العنوان الذي اختارته تشانج في غرب هوليوود يخص فندقًا، الحقيقة أنه لم يكن مختلفًا كثيرًا عن نزل «استراحة الأم»، إلا أنه في مكان أكثر بهجة وحيوية، وموقعه هذا جعل النزل غير منتمٍ لما حوله فبشكل ما كأنه عجوز وحزين، دفع ريتشر نقدًا من أجل الغرفة، التي احتوت على مقعد ومنضدة وشبكة إنترنت، وأفضل ما امتلكته الغرفة فراش كان بحجم عائلي، عريض واسع وقوي، لكنهما تبادلا النظر معًا كاثنين يعرفان أن عليهما العمل أولًا، جلست تشانج وفتحت حاسبها الآلي بعد أن أوصلته بالشاحن، وأمسكت بالورقة التي طبعها ويستوود، ثلاثة أسماء وثلاثة أرقام، قالت لريتشر: هل أنت رجل يحب المقامرة؟

- لويزانا بجانب اركانساس، وهذا قد يفسر لماذا يمتلك الرجل رمزي منطقة، ولكن لا يوجد ميسسبي في الأمر، وكذلك شيكاغو، ورجل باسم حقيقي كمكاين بإمكانه اختيار اسم مستعار كمالوني، ربما هو اسم يخص عائلة والدته؛ ولذا، في وضعنا الراهن، من وجهة النظر المقامرة، سأقول لك: إن كل النسب متساوية..

- أين تريد البدء؟

- برمز ٥٠١، ربما كان مجرد تعاقد حديث قبل إيقاف الخط، وربما هناك اسم مسجل به.



- لو لم يكن هاتفًا ثانويًّا ولم يحتج لتعاقد.

فتحت تشانج صفحة البحث، وكتبت الرقم، ٥٠١ وسبعة أرقام أخرى، ظهرت كلمة: «رشح» على الشاشة فسألها ريتشر: ما الذي يعنيه هذا؟

- هذا يعني أن البيانات محمية، ولكن هذا يعني أيضًا أن هناك معلومات بإمكاننا الحصول عليها، ولكن بسعر، من مصدر في شركة الهاتف.

- وما هو مقدار الثمن؟

- مئة دولار في الأغلب.

- هل بإمكانك الدفع؟

- لو توصلنا لشيء ضخم سأضعها في فاتورة جريدة لوس أنجيليس.

- تفحصي باقي الأرقام أولًا، في حالة لو احتجتِ خصمًا بالكمية.

وقد اتضح أن تلك احتمالية حقيقية، فرقم شيكاغو كان كما قالت لهم الفتاة، أحد أرقام المكتبة العامة، ولكنَّ رقمي لويزانا وميسسيبي تحولا لكلمة «رشح».. معلومات يمكن الحصول عليها بسعر..

- كيف سنحصل عليها بالضبط؟

- كنا نستخدم البريد الإلكتروني فيما سبق، لكننا عدلنا



عن هذا الأمر، يمثل خطورة على المصدر، أسوأ من تعقب الفواتير، ولذا سنقوم بإجراء مكالمة هاتفية.

أعقبت القول بالفعل، أجابها المصدر بسرعة، لم يكن هناك أحاديث جانبية، دخلت تشانج في صُلب الموضوع، أعطته اسمها وفسرت له ما تحتاجه، وأعطته الأرقام الثلاثة، استمعت إليه وهو يكررهم، ثم قالت: حسنًا، وأنهت المكالمة.

قالت تشانج: مئتا دولار، سيعاود الاتصال بي مجددًا اليوم في وقت لاحق.

- كم من الوقت قد يستغرق؟

- ربما ساعات.

***

بعد عشر دقائق، تلقى الرجل الثامن في «استراحة الأم» -بسرواله الجينز وشعره الأنيق- مكالمة رابعة...

- هاكيت يقول: إن تشانج أجرت مكالمة، وأنهما في فندق بغرب هوليوود.

- بمن اتصلت؟

- شركة الهاتف، لقد أرادت معلومات بشأن الثلاثة أرقام، ودفعت مئتي دولار من أجل المعلومات.

- وأي معلومات تلك التي حصلت عليها؟



- لم تحصل عليها بعد، مصدرها أخبرها أنه سيتصل بها في وقت لاحق.

- وكم قد سيتغرق الأمر؟

- ربما ساعات.

- هل تستطيع الحصول على المعلومات قبلهم؟

- وفر أموالك، هاكيت يستمع لكل ما يدور، سنعلم فور أن تعلم هي..

- هاكيت قريب منهم؟

- هو في طريقه لغرب هوليوود الآن، أنا واثق أنه سيصل قبل أن يتصل بهم الرجل من شركة الهاتف.

***

استلقى ريتشر على ظهره، يتصبب عرقًا، فالمكييف لم يكن باردًا حقًّا، ومروحة السقف لا تعمل، لكنه استلقى على الفراش الواسع تاركًا الارتياح يغمر جسده، بينما اعتدلت تشانج لتنام على جانبها فتنظر إليه، كأنها تدرسه، وتحفظ تفاصيله جسده ثم..

قالت له: ريتشر.

- نعم.

- لا شيء، أجرب الاسم فحسب.

ثم سألته.



- هل تزوجت من قبل؟

- كلا، وأنت؟

- مرة واحدة، لكن الأمر لم ينجح.

- مثل الكثيرين.

- ما هي أطول علاقة خضتها؟

- ستة أشهر تقريبًا، التنقلات جعلت الأمر صعبًا، كنت لا أزال في الجيش حينذاك، وكان الأمر كـ «اليانصيب»، أين سأكون غدًا؟ كل يوم مكان مختلف.. كان الأمر مثل السفن التي تمر ليلًا..

رن هاتف تشانج، فدفعت ريتشر ونهضت معتدلة، ثم سارت صوب الهاتف، ونظرت للرقم الوارد على الشاشة، وأجابت، لا أحاديث جانبية، صُلب الموضوع فورًا، التقطت قلمًا وذهبت للمنضدة بعد أن أخذت بعض الأوراق الخاصة بالفندق، أوراق صفراء قديمة، انحنت تشانج، وبدأت في تدوين ملاحظات عما تسمعه، كتبت في ورقة أولى، ثم ثانية، وثالثة، ثم سمعت شيئًا ما فالتفتت لريتشر وغمزت له.. استند ريتشر على ذراعه ورفع رأسه ناظرًا إليها، قالت تشانج متحدثة عبر الهاتف: شكرًا لك، ثم أنهت المكالمة، سألها ريتشر: ماذا؟

- انتظر.

أخذت حاسبها الآلي وبدات تكتب شيئًا ما، وقد



انعكس على وجهها ضوء الشاشة الرمادي، ثم وضعت أناملها على الشاشة التي تعمل باللمس، وكبرت حجم شيء ما.. ثم ابتسمت

كرر ريتشر: ماذا؟

- الثلاثة أرقام تخص هواتف خلوية ثانوية بلا تعاقد، وتم دفع ثمن الباقة مسبقًا، تم ابتياع تلك الهواتف من الصيدليات، أحدثها هاتف لويزيانا، من شريفبورت، كان لا بد من تسجيل البيانات قبل استخدامه، هذا هو النظام الآن، أنت تبتاعه، تتصل بأحد أرقام ٨٠٠، وتحدد رمز المنطقة التي تتصل منها، وتختار رقمًا متوفرًا، وقد حدث كل هذا بالفعل، بعدها تم استخدام هذا الرقم إحدى عشرة مرة، ثم نفدت دقائق الباقة، ومرت فترة الصلاحية دون شحن، فتم إيقاف الخط، سيعاد إصدار الرقم بعد ستة أشهر من الآن..

- بمن اتصل؟

- ويستوود، لوس أنجيليس، إحدى عشرة مرة.

- من أين؟

- شريفبورت.

لم يقل ريتشر شيئًا.

- وهاتف ميسيسبي الحالة نفسها بشكل أو بآخر، لكنه أقدم، تم ابتياعه منذ عام، من صيدلية في أوكسفورد، تم



تسجيله برمز ميسيسبي، تم تجديد باقته أربع مرات، ثم انتهت الصلاحية دون تجديد وتم إيقاف الخط، عشرات المكالمات لويستوود، من أكسفوورد، ربما من الحرم الجامعي أو سكن الطلبة لو كان المتصل طالبًا..

- من الجيد معرفة كل هذا، ولكنه لا يستحق الغمزة والابتسامة لذا أخبريني عن رقم اركانساس، أعتقد أن المفاجأة تقبع معه..

ابتسمت تشانج مرة أخرى وهي لا تزال سعيدة ومتحمسة وقالت: رقم اركانساس مختلف، هو هاتف ثانوي من صيدلية كالباقي، بيد أنه لا يزال نشطًا، رغم أنه أقدم بكثير من الآخرين، لقد تم طلبه من «والمارت» وحينذاك كان يتم التسجيل من الشركة؛ ولذا كان الرقم تابعًا لرمز اركانساس؛ لأن المقر الرئيسي لـ«والمارت» في «اركانساس»، لكنه عملية بيعه لم تتم هناك، عملية بيعه لم تتم في أي مكان في الحقيقة، لقد تم استبداله بطراز أحدث، وهكذا في وقت سابق من العام تم بيع الطراز القديم بالجملة في مزاد من نوع خصم عشرة سنتات لكل دولار، حوالي مئة وحده تم عرضها للبيع حسب ما يعتقده مصدري..

- ومن الذي ابتاعه؟

- مقاول في نيو جرسي، وسيط، يتخصص في تلك المعاملات التجارية.



- وهذا الوسيط قام ببيعه؟

- هذا ما يفعله الوسطاء.

- متى؟

- منذ اثني عشر أسبوعًا.

- ولمن باعه؟

اتسعت ابتسامة تشانج.. وأجابته: لقد باعه لصيدلية في شيكاغو.

- أين في شيكاغو؟

التفتت تشانج لحاسبها المتنقل، وأدارته ليتمكن ريتشر من الرؤية، مد الأخير عنقه، ضوء رمادي، خطوط ثابتة، خرائط «جوجل»، أو الكرة الأرضية لـ «جوجل» أو أي كأن نوع «جوجل» الذي يظهر صورًا خاصة بالأقمار الصناعية، قالت تشانج: هو شمال وسط البلد، حرفيًّا مجاور لمكتبة لينكولن العامة..

وبينما هي لا تزال الحماسة تغمرها، مبتسمة بشدة، جربت تشانج الرقم مرة أخرى، رمز ٥٠١ والسبعة أرقام، رنين دون إجابة ولا بريد صوتي، انتظرت تشانج دقيقة آملة، ثم أنهت المكالمة، وضعت هاتفها على مكبر الصوت واتصلت بويستوود، كان في مكتبه، قالت له: الرقم الذي يبدأ برمز ٥٠١ تابع لهاتف ثانوي في صيدلية مجاورة لمكتبة لينكولن العامة بيشكاغو؛ ولذا مالوني هو



مكاين، وهو أحد المتطوعين بالمكتبة، وهكذا استخدم أيضًا الرقم الآخر الذي يبدأ بـ ٧٧٣، وبعدما قمت أنت بحظره، ذهب وابتاع الهاتف الثانوي، وجرب الاتصال بك مرة ثانية، نحن بحاجة لمعرفة تاريخ مكاين، ومتى بدأ في الاتصال بك..

- سوف أتحقق.

سمعت تشانج وريتشر معها صوت مفاتيح البحث، وأنفاس ويستوود، تخيل ريتشر شاشة البحث، والهاتف أمام الحاسب، ثم أتاهم صوت ويستوود: أول مكالمة من مكاين أتت منذ حوالى أربعة أشهر، هناك خمس عشرة مكالمة أخرى، قمت بحظره بعدها ليغير اسمه لمالوني ويعاود الاتصال لثلاث مرات، لكنكم تعرفون كل هذا..

- هل لديك ملاحظات مدونة عن المكالمات السابقة؟

- لا شيء، أنا آسف.

- لا تقلق، سنكتشف الحقيقة.

- ابقوا على تواصل.

- سنفعل.

أنهت تشانج المكالمة، قال لها ريتشر: علينا التوصل لرقم المكتبة الرئيسي، سيكون لديهم تفاصيل عن المتطوعين، ربما نحصل على عنوان منزله.

- علينا الاستحمام أولًا، ثم نرتدي ملابسنا، فأنا أشعر



بالغرابة وأنا أفعل هذا دون ملابس.

لم يقل ريتشر شيئًا.

***

تلقى الرجل المكالمة الخامسة على هاتفه الأرضي، قال المتحدث: اتصلت بهم شركة الهاتف، واتصلت تشانج بعدها بويستوود، كانت متحمسة بشأن رجل يدعى مكاين في شيكاغو..

صمت طويل قبل أن يقول الرجل: هل تحدثت معه؟

- مكاين؟ كلا، لكنها تمتلك رقم هاتفه.

ثم تابع: في الحقيقة هي تمتلك رقمين، أحدهم يخص المكتبة العامة، فكاين يتطوع هناك فيما يبدو..

- هي تعلم أين يعمل؟

- التطوع ليس كالعمل.

- لماذا لم تحدث هي معه؟

- لقد حاولت، اتصلت بهاتفه الخلوي ولم يرد.

- ولماذا لم يرد؟

- كيف يتسنى لي أن أعرف الإجابة؟

- أنا أسألك بصفتك محترفًا، أريد تحليلًا، لهذا أدفع إليك أليس كذلك؟ ما هو السبب المحتمل لعدم إجابة



ماكين؟

- ربما أضاع الهاتف، أو تُوفي، أو لم يتعرف على الرقم وهو في مزاج لا يسمح بالتحدث مع الغرباء، ربما هو في بيئة لا تحبذ استقبال المكالمات من الغرباء، هناك مئات الأسباب..

- ما هي خطوة تشانج القادمة؟

- ستظل تحاول الاتصال بالرقم، وستحاول الحصول على معلومات عن المتطوعين من المكتبة العامة.

- كعنوانه؟

- هذا سيكون صعباً، نظراً لخصوصية المتطوعين بطبيعة الحال.

- إذن أي نوع من المعلومات ستلاحق؟

- ستذهب لشيكاغو، لو كان مكاين هو عميل كييفر، سترغب في مقابلته، وهو لن يأتي إليها بالتأكيد.

- وريتشر سيذهب معها لشيكاغو؟

- في الأغلب.

- لن أستطيع السماح لهما بفعل هذا، هم قريبان من الحقيقة بما يكفي.

- كيف تقترح إيقافهما؟

- هاكيت لا يزال هناك.



- مهمة هاكيت الحالية هي المراقبة.

- سيتغير هذا، أنت أخبرتني بشأن قائمة الخدمات التي تقدمها.

- أنت بحاجة للتفكير بعناية فيما تطلبه، إنها خطوة كبيرة ولا أتحدث عن الجزء المالي.

- لا أستطيع السماح لهما بالذهاب لشيكاغو.

- أنت بحاجة لكي تكون متأكدًا، قرار كهذا يجب أن يكون ناجمًا عن يقين..

- كان علينا إيقافهما بأنفسنا عندما أتيحت لنا الفرصة.

- سوف أحتاج لتعليمات رسمية واضحة منك.

قال له الرجل ذو السروال الجينز والشعر المصفف بعناية: قل لهاكيت أن يقتلهما..



الفصل التاسع والعشرون

لم يرد أي منهما الابتعاد قِيدَ أنملة عن الآخر، فقد ظلا ملازمين لبعضهما البعض في كل لحظة وكل خطوة بسيطة.

فتح ريتشر الستائر وتسلل ضوء الشمس لداخل الغرفة، السماء زرقاء، يوم لطيف، رائع، جنوب كالفورنيا في نهاية الصيف، حاولت تشانج الاتصال بالرقم مرة أخرى دون جدوى، كما حدث سابقًا لم يأتهما رد، ظلت تحاول الاتصال، قال لها ريتشر: لم أرَ شيئًا كهذا من قبل، في المعتاد سيجيب أحد أو نتحول للبريد الصوتي.

- ربما الهواتف الثانوية لا تمتلك خاصية البريد الصوتي.

- أو ربما لم يفعل هو واحدًا أو فصله.

- هل بإمكان المرء فعل هذا؟

- لا أعلم.

- لماذا لا يرد؟ هو لا يستطيع الحصول على الأمرين، إما أن يرد على الهاتف اللعين أو يترك البريد الصوتي يرد.

- لقد استسلم، لم يستمع إليه أحد؛ ولذا تخلص من الهاتف، إنه يرن في درج مغلق بمكان ما.

كان ريتشر من نوعية المعرفة قدر الحاجة عندما يتعلق الأمر بالتقنيات الحديثة، كان يفهم الفاكس والبريد



والراديو العسكري، لكنه لم يكن بحاجة لفهم الهواتف الخلوية المدنية، هو لم يمتلك واحدًا من قبل، لماذا يفعل شيئًا كهذا؟ بمن سيتصل؟ من سيتصل به؟ ما كان يعرفه عن الهواتف الخلوية أتى من ملاحظات يومية بسيطة، تخيل الهاتف الخاص بمكاين في عقله، يرن دون مجيب، يهتز وهو يرن، بطاقة قوية، قال لها: البطارية لا بد أنها مشحونة، لو نفدت سينغلق الهاتف، ولن يرن، لا بد أنه موصله بشاحن في مكان ما..

- ربما ذهب للمتجر وتركه هناك.

نظر ريتشر من النافذة دون أن يرد، ظل الهاتف يرن، قالت له تشانج: ماذا؟

- لا شيء.

ولكن في عقله كان يتخيل صورة وحيدة، للهاتف على الأرض، يرن ويهتز، كحيوان أليف يبغي إيقاظ سيده الميت، يحاول أن يسترعي انتباهه، دون أن يفهم لماذا لا يرد، ربما سيده يستلقي جواره أو في غرفة المعيشة، نوبة قلبية، ربما، قال لتشانج: لنجرب الاتصال بالمكتبة.

أنهت تشانج الاتصال، وساد الصمت الغرفة وفتحت حاسبها الآلي لتبحث عن رقم المكتبة العامة، هناك رقم خاص بالاستفسارات يبدأ بـ ٧٧٣ وسبعة أرقام أخرى، مشابهين لرقم غرفة التطوع، اتصلت تشانج بالرقم وحصلت على رد آلي، اختيار من القائمة، اختار لغة إنجليزية أو



إسبانية، اضغط رقم ١ من أجل هذا، ورقم ٢ من أجل ذاك، للتحدث مع موظف الخدمة اضغط ٩، اختارت تشانج الرقم ٩، أتاها رنين، تلاه صوت امرأة..

- كيف يمكنني أن أساعدك؟

عرَّفت تشانج بنفسها، بالطريقة نفسها التي قدمت نفسها لويستوود في المرة الأولى، اسمها ووظيفتها الحالية والسابقة، بدا الانبهار على موظفة المكتبة..

- مما فهمت لديكم متطوعون يساعدونكم أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- هل لديك متطوع باسم مكاين؟

- هذا كان فيما سبق.

- ولكن ليس حاليًّا؟

- لم نره منذ ثلاثة أو أربعة أسابيع.

- هل استقال؟

- لا يوجد استقالة للمتطوعين، هم يأتون ويذهبون.

- ما الذي تستطيعين إخباري عنه؟

- ما هو سبب سؤالك؟ هل هناك مشكلة؟

- هو عميل لدينا لكننا فقدنا الاتصال به، نحن نحاول معاودة الاتصال به، لنعرف إن كان لا يزال يحتاج



مساعدتنا.

- هو متقدم في العمر، أكبر سنًّا من باقي المتطوعين، هادئ، يهتم بأموره فحسب، ويؤدي عملًا جيدًا، نحن نحب أن نراه مرة ثانية كذلك.

- هل كان لديه أي اهتمامات خاصة؟

- أنا غير واثقة، لم يكن من النوع المتحدث.

- هل هو يقطن في المنطقة؟ هل لديك عنوانه؟

صمت من الجهة الثانية، ثم قالت المرأة: أنا آسفة غير مسموح لي بالإدلاء بتلك النوعية من المعلومات علينا احترام خصوصية المتطوعين.

- هل لديك رقم أستطيع التواصل معه من خلاله؟ رقم منزله؟ ربما تتواصلين أنت معه وتطلبين منه التواصل معنا.

صمت مرة أخرى، ربما هي تبحث في قاعدة البيانات، قائمة طويلة، على شاشة حاسب، البحث بحرف «الميم» من أجل مكاين.. ثم قالت المرأة: يبدو أننا لا نمتلك رقمًا للسيد مكاين.

***

بعد هذا قاما بالبحث في قاعدة البيانات السرية التابعة لشركة التحقيق الخاصة عن مكاين في شيكاغو، حصلا على مئات النتائج العشوائية، وهذا كان أمرًا متوقعًا، كانا يأملان أن يجدا نتيجة ما مختلفة، ولكن طبقًا لمدى عمومية



الاسم، وتعداد المهاجرين بأجناسهم وديانتهم، فسيكون الناتج ضخمًا وصعب التمييز، مكاين الآن بالنسبة لهما رمال على الشاطئ، بحثا بعدها في سجلات الطيران، ليحجزا رحلة لشيكاغو، كان أمامهما خيارات عدة، ولكن تشانج اختارت الأمريكية للطيران؛ لأنها تمتلك بطاقة ذهبية معهم، حجزت عن طريق الهاتف، باستخدام البطاقة الذهبية، قالت لريتشر: مقاعد أفضل وأكثر سهولة في المواقف الضرورية..

وضع ريتشر فرشاة أسنانه في جيبه، وحزمت تشانج أمتعتها، وحاسبها الآلي، ثم أخذت شاحن الحاسب والهاتف الخلوي.. أغلقت الحقيبة وقالت: هيا بنا.

أومأ ريتشر برأسه وعلق: لنحصل على سيارة أجرة.



الفصل الثلاثون

خرجا من باب الفندق وأغمضا أعينهما مع انعكاس أشعة الشمس عليها بعدما أعادا مفاتيح الغرفة لمكتب الاستقبال، وقد بدا الموظف متفاجئًا لرحيلهما المتعجل، كان قلقًا في البدء من أن هناك شيئًا ما خاطئ بالغرفة، لكنهما أخبراه أن هذا ليس بالسبب، فافترض الموظف أنهما رأيا فندقًا بنظام تأجير الغرف بالساعة، أخبره ريتشر أن عليهم الرحيل لسبب طارئ، يخص العمل، لا شيء أكثر من هذا، لكنه رأى النظرة ذات المغزى في عين الموظف؛ بسبب شعرهم المبتل من الاستحمام، وطاقة الانجذاب البادية عليهما، طاقة قوية كإشعاع نووي.

كانت هناك سيارة أجرة في الشارع المقابل، لوَّح لها ريتشر مُصفِّرًا، كما فعل سابقًا، وتلك المرة أتته السيارة، بعدما أخذ السائق منعطفًا صوبهما، فتح السائق الصندوق الخلفي للسيارة وخرج ليساعد تشانج في حمل حقيبتها، كان رجلًا ضخمًا، مرتديًا قميصًا صيفيًّا، يمتلك جبينًا عريضًا، وأنفًا منحنيًا بسبب كسر سابق، حاجباه سميكان، وهنالك ندبة بينهما، يبدو أنه كان ملاكمًا في شبابه، كذا فكر ريتشر وهو ينظر للسائق.. أو كان غير محظوظ فحسب، حمل الرجل الحقيبة كأنها بلا وزن ووضعها في الصندوق الخلفي، جلست تشانج في المقعد الخلفي لمقعد السائق، عاد السائق ليجلس خلف المقود، والتقت عينه بعيني ريتشر في المرآة..



- مطار لوس أنجيليس، المنطقة المحلية، طيران الأمريكية..

تحركت سيارة الأجرة ببطء، يمينًا ويسارًا، وقد انعكست عليها أشعة الشمس، متوجهة لشارع سانتا مونيكا، ثم انعطفت جنوبًا، صوب شارع ٤٠٥..

***

تلك المرة لم ينتظر الرجل في «استراحة الأم» المكالمة، لقد قام هو بالاتصال وسأله: هل تم الأمر؟

- لا تقلق، سيتم قريبًا.

- إذن لم يتم بعد؟

- ليس بعد.

- لكن هاكيت كان هناك بالفعل.

- دعنا نفعل ما نجيد فعله حسنًا؟ اثنان قتلى في فندق بغرب هوليوود لهو أمر كارثي، سيكون هناك أخبار واهتمام من الشرطة، هاكيت لن يجازف بإحداث كل تلك الضجة، مخاطرة لا داعي لها، ولن يستطيع العمل بعدها.

- إذن؟

- كن واثقًا من أنهما لن يصلا للطائرة.


***



الطريق كان مزدحمًا كالمعتاد، لكنه يتحرك ببطء، ثلاث حوارٍ، مضاءة بالكامل، شمس ساطعة، تحركت السيارة بسلاسة، أنزلت تشانج زجاج سيارتها، ليرتطم بوجهها نسيم هواء دافئ، تحرك شعرها مع الهواء، قميصها الصيفي كان مبللًا عند الكتفين حيثما استراحت عليهما، السائق كان يقود بإحكام وخبرة، يتحرك بشكل محدد، لا ارتجاجات أو انعطافات مفاجئة، بقي على الجانب الأيمن يتحرك مع قطيع السيارات، سيصلون عندما يصلون مع الزحام المتحرك ببطء، ريتشر كان مستلقيًا في مقعده، نظرت له تشانج وقالت: أعتقد أن المتطوع في المكتبة سيكون من سكان المنطقة، أليس كذلك؟ إنه نشاط مجتمعي خاص بالمنطقة السكنية على كل حال، أعني أننا لن نضطر للبحث في شيكاغو بأكملها أليس كذلك؟

- عليك بتفقد ما نشره ويستوود منذ أربعة أشهر، علينا معرفة ما الذي قرأه ماكين قبل مقابلته، ما الذي يدور بخلده؟ ما الذي جعله يجري تلك المكالمة الأولى؟

أخرجت تشانج هاتفها وبحثت عن موقع الجريدة، شبكة الهاتف الإلكترونية كانت أبطأ من شبكة الفندق، لكنها وصلت لنتائج البحث في النهاية، وتساءلت: منذ أربعة أشهر بالضبط؟ أم نفترض أنه بحث في مقالات قديمة؟

- سؤال جيد، بما أن ماكين يهوى التصفح الإلكتروني فبإمكانه التعثر بأي مقال قديم، ولكن البحث في كل



مقالات ويستوود لن يفيدنا بشيء، جربي ثلاثة أشهر، وأربعة، ثم خمسة، وستة أشهر..

اختارت تشانج مربع البحث وكتبت: ويستوود..

حصلت على نتائج عدة ومختلفة؛ ولذا غيرت البحث إلى آشلي ويستوود، وهذا نقح النتائج بشكل أكثر فاعلية، ظهرت لها صورة ويستوود ونبذة مختصرة عنه، بدت الصوره كأنها مأخوذة منذ أعوام، ويستوود كان يافعًا، شعره ولحيته أكثر تهذيبًا، وأقل رمادية، لم يزره الشيب بعد، قالت النبذة المختصرة إنه دارس وحاصل على شهادة في البيولوجيا الجزيئية والصحافة، على اليسار استقرت قائمة بمقالاته، كل واحدة كانت عبارة عن عنوان وتلخيص أسفله، وهناك إعلان صغير عن مقالته بخصوص تاريخ القمح، والتي ستنشر يوم الأحد القادم، أسفلها مقالة الصدمات الناجمة عن إصابات العقل، والتي تصفحاها بالفعل في غرفة نوم كييفر.

أدارت تشانج الشاشة التي تعمل باللمس وتحركت بين المقالات، ثم توقفت عند القائمة الثامنة، منذ أربعة أشهر، ويستوود كان ينشر مقالة جديدة كل أسبوعين بالتقريب، كل واحدة منها طويلة، ومن المفترض أنه أعد بحثًا مطولًا لها، وطبقًا لمعايير التوظيف المدني فتلك الوظيفة بلا شك أسهل من العمل كعامل منجم، أو طبيب عناية مركزة، ولكنها لم تكن حقًّا سهلة، فكر ريتشر، هو لم يكتب شيئًا من قبل أطول من تقرير بعد قضية إبان



وظيفته السابقة، وهذا في المعتاد تقرير واضح ومختصر، ولا يجب القيام بأي بحث قبله، أول مقالة منذ أربعة أشهر كانت عن الزراعة والفواكة المخصبة، عنوان المقالة كان استفزازيًّا، والتلخيص أسفل العنوان مُوحٍ بأن الشركات الزراعية الكبرى تلجأ لتلك الحيل الكيميائية لتجنب أي عمل حقيقي، المقال السابق لهذا بأسبوعين كان عن الجربوع (22).

كان المقال يتحدث عن الجرابيع القديمة للدقة، طبقًا للعنوان، فهناك بحث جديد أثبت أن الوباء إبان عصور الظلام والقرون الوسطى في أوروبا لم يتم نقله بسبب الجرذان، ولكن نقلته الجرابيع القادمة من آسيا.

تباطأت السيارة وسط الزحام، على الجانب الأيمن بالأخص، الحارة الوسطى واليسرى بهما مسار سريع إلى حد ما ولكن السائق لم ينتقل إليهما...

واصلت تشانج تصفح أعمدة القوائم، بعد مقالة الجربوع وجدت مقالة عمرها خمسة أشهر عن تغير الطقس، وقال عنوان المقال: إن مستوى المحيطات يرتفع، وتحدث التلخيص عن أن الهندسة الكسورية تشير أن الجدار البحري في الساحل الشمالي بحاجة لرخام قوي يدعم السد أكثر مما بناه البشر هناك عبر التاريخ..

قالت تشانج: الكل يتحدث عن تغير الطقس، لا حاجة لمكاين أن يختار ويستوود بالأخص بناءً على هذا، صحيح؟



- أتفق معك.

المقالة التالية كانت عن الإنترنت الأسود، أو الشبكة الإلكترونية الخفية كما هو متداول عنها أو كما قال المقال: الشبكة الإلكترونية العميقة، وهو -المصطلح- شيء متعلق بمحركات البحث الإلكترونية، وكيف أن الإنترنت العميق من الصعب الولوج إليه عكس الإنترنت على السطح الذي يستخدمه الجميع (21).

بعد ذلك أتى مقال عن النحل، وحسب ما قاله المقال فإن انعدام التخاصب واختفاء المحاصيل سيتسبب بمجاعة عالمية يموت بسببها الكثيرون، فكر ريتشر: أكثر من مئتين شخص بالتأكيد، ثم نظر من النافذة، ورأى قرابة المئتين شخص الآن بسبب الزحام، لا تزال الحارة الوسطى واليسرى بهما مسار أسرع من حارتهم اليمنى، تجاورت معهم لثوان سيارة سوداء، من ناحية تشانج، انفتحت نافذة السيارة السوداء الخلفية مع اتساع الفجوة بين السيارتين ولمح ريتشر الرجل الجالس داخل السيارة، ولجزء من ثانية بدا لريتشر أن الرجل يريد أن يقول لهم شيئًا، ثم حدث الأمر المحتوم وتحركت السيارة السوداء ببطء رغم عن وجودها في الحارة الوسطى المسرعة عن حارتهم، وقبلتها سيارة حمراء من الخلف لأنها لم تبطئ من سرعتها، رغمًا عن تقارب السرعة، لكن الارتطام الخفيف دفع براكب السيارة السوداء للأمام ثم للخلف ورأسه يهتز بقوة، كل قوانين نيوتن الخاصة بالحركة يتم تطبيقها الآن،



اندهش ريتشر من قوة الارتطام رغم أنه ظاهريًّا خافت، تحركت السيارة السوداء للأمام وتبعتها الحمراء دون أن يبطئ أحدهما، لم يتضرر أحدهما كما يبدو، لم يكن هناك ضوضاء أو نفير سيارة عالٍ، لا قبضات مهددة أو أصابع وسطى، حادث عادي في يوم تقليدي، فكر ريتشر، وسط زحام لوس أنچيليس.

الحارة اليمنى ازدادت بطئًا، وبعد ثوانٍ كانت كل من السيارة السوداء والحمراء قد اختفتا عن الأنظار، الحارة اليسرى تتحرك بشكل أفضل، انحنى ريتشر للأمام وسأل السائق: لماذا لا تأخذ الحارة الأخرى؟

نظر له السائق في المرآة وقال: كل الحارات ستزدحم بالشكل نفسه بعد وهلة.

- إذن لماذا لا تأخذ الحارة السريعة قبل أن تزدحم؟

- إنها نفس فكرة الأرنب والسلحفاة يا صديقي.

وضعت تشانج يدها على ذراع ريتشر وقالت: دعه يفعل ما يجيده، أنت لم تجتز اختبارات القيادة

ثم عادت لهاتفها، آخر مقال في البحث المحدد في آخر ثلاثة أشهر كانت عن ممر من المحيط للساحل الغربي تعبر منه أسماك القرش من النوع الأبيض العظيم في موسم الهجرة، غمغم ريتشر: هذا ليس بمقال موجه للجميع، ربما يثير اهتمام شخص فرنسي ينتوي السباحة عبر المحيط الهادي وصولًا لليابان، سينام في قاربه الصغير كل ليلة،



ويواصل رحلته كل صباح، ثمانية ساعات من التجديف أو السباحة، ستكون أسماك القرش مشكلته الثانوية دون شك، فمشكلته الأساسية هي كيفية اجتياز الدوامة الكبرى التي تهيمن على المحيط الهادي بسرعة تقل عن ألف ميل، ممتلئة بكل أنواع النفايات..

- الفرنسيون مجانين..

- أمي كانت فرنسية.

سألته تشانج: هل كانت مجنونة؟

- بالطبع.

ازداد البطء بين السيارات، توقفت الحارة اليمنى بعد أن أصابها الشلل المروري، وبدلت الحارة الوسطى دورها مع اليسرى، رغمًا عن هذا لم ينعطف السائق باتجاهها، ظل في الحارة اليمنى، يتحرك لثوانٍ وسط الزحام ثم يوقف السيارة، يتوقف ويتحرك، يتوقف ويتحرك، ولم ينعطف لأى حارة أخرى، ثم فهموا السبب، بعد عبورهم لمنطقة كالفير، وقبل وصولهم إلى أنجلوود، مع كون مطار لوس أنجيليس أقرب إليهم، أخذ السائق مخرج مفاجئ على اليمين وبسرعة، لتأخذهم السيارة لمدخل ضيق بدا كأنه يقود لمستودع صيانة مهجور، تأرجحت السيارة فوق حطام أسود متناثر، ما بين حديد معدني صدئ، ثم استدارت السيارة المسرعة ومرت عبر حاجز رخامي مهشم وصولًا لمفترق طرق مسدود، لا شيء أمامهم سوى المخزن المهجور، الذي



بدا بابه مهشمًا يتأرجح يمينًا ويسارًا..

قاد السائق السيارة إلى داخل المستودع، واختفت الأخيرة وسط الظلام..



الفصل الحادي والثلاثون

المستودع كان كبيرًا وشديد الاتساع يحتوي على أعمدة حديدية تحمل السقف، وهناك أضواء خافتة منبعثة وسط الظلام من مصابيح قديمة، كان فارغًا تمامًا اللهم إلا من صفائح حديدية صدئة، الأرضية من الرخام، ملطخة بزيت مسكوب، وريش طيور هنا وهناك، اعتلى صوت المحرك الهادر الصمت المخيم على المستودع، لم يكن هناك بشر داخل المستودع، حسبما استطاع ريتشر تبين المكان وسط الظلام.

تكورت يد ريتشر في شكل قبضة، مستعدًا، لكمة واحدة في رأس السائق من الخلف ستنهي المشكلة، بلا تحذير ولا مقدمات، ثم استرخت يده، لقد واصل السائق القيادة ببطء، وبثقة، وبدا أنه يعرف جيدًا طريقه، كأنه قد عبر هذا الطريق المختصر عدة مرات.

قال السائق محدثًا ريتشر: الأرنب والسلحفاة يا صديقي، سيوفر علينا هذا الطريق المختصر حوالي عشرين دقيقة..

في النهاية استقر باب مهشم مطابق للآخر في المدخل، عبره السائق بسلاسة ولاح أمامهم ضوء ساطع، المزيد من الرخام، وبقاع أخرى مهجورة، واصلت السيارة طريقها عبر بوابة مهترئة للطريق الشمالي المؤدي لمطار لوس أنجيليس، بجوار سياج ضخم، رآه ريتشر من على مبنى المراقبة الخاص بالمطار، سيارات مركونة في الساحة



الخلفية، وسيارات أجرة، وشاحنة صغيرة تتأرجح في الطريق بشكل بريء أسفل أشعة الشمس..

قال السائق: نحن نتسلل بشكل غير شرعي هنا تقنيًّا، هذا الطريق المختصر ليس بطريق خدمي، لكني اعتدت العمل هنا عندما كان المستودع لا يزال نشطًا، وهذا يجعلني أشعر أني أمتلك الحق في العبور من هنا، سيوفر علينا استخدام الطريق التقليدي الممل، والذي سيكون في حالة مزرية الآن، وعندما أخسر دولارًا أو اثنين على العداد سأعوضهما الضعف بأجرة جديدة سريعة، تلك هي خطتي السرية، معرفة محلية بالطرق المختصرة المهجورة لن تضر أحدًا.

انعطف السائق يمينًا متبعًا سياجًا شاهقًا من الأسلاك، وبعد عشر ثوانٍ كانوا قد عادوا مجددًا في النهر المكون من السيارات والأصدقاء والأقارب المتجهين للمطار، بعد دقيقة وصلوا للركن الخاص بطيران شركة الأمريكية.. أبطأ السائق من سرعته، وهو يركن جانبًا، يتوقف، بعد دقيقة كانت حقيبة تشانج على الممر، مستعدة للرحيل، ورحل السائق بعدما حصل على أجرته وإكرامية إضافية.

أخرجت تشانج تصاريح العبور من آلة خدمة إلكترونية خاصة بالمطار، واتجها لبوابة الأمن، لكنهما لم يصلا إليها، لقد اعترض رجل طريقهما، في العقد الرابع من العمر، لون بشرته مائل للحمرة، شعر قصير، يرتدي قميص «بولو»، وسترة زرقاء، وسروال غامق اللون، نوع ما من الملابس



الرسمية الخاصة بوظيفة ما، وهناك بطاقة هوية معلقة على صدره، تتدلى من قلادة على عنقه، لكن اسمه ووظيفته لم يكونا واضحين لأن بطاقة الهوية كانت تواجه صدره، قال لهم: سيدي، سيدتي، لقد رأيتكما تأتيان من داخل ممر السيارات.

نظر له ريتشر ورد: حقًّا؟

- أنتما عبرتما الممر والمنطقة الخاصة بالحقائب دون أي حقائب سفر خاصة بكم.

- حقًّا؟

- أنتما لا تمتلكان حقائب سفر، لم تودعا شيئًا في الأمانات، ولا حتى متعلقات شخصية.

- وهل تلك مشكلة؟

- في الحقيقة نعم هي مشكلة، إنه سلوك غير مألوف، وهو أحد مؤشرات الخطر التي على قائمتنا.

- قائمة من؟

حدق بهما الرجل للحظة، ثم فهم المعضلة فنظر لبطاقة هويته المعلقة بالعكس، أصدر صوت ينم عن انزعاج، وقلب البطاقة، نظر ريتشر إليها ورأى صورة لوجه الرجل المحمر، وعبارة «شرطة لوس أنجيليس» بجوارها عبارات أخرى صغيرة من الصعب قراءتها..

أجاب الرجل سؤال ريتشر: قائمة مكافحة الإرهاب.



- أنا أتفق معك أنه أمر نادر ألا نمتلك حقائب سفر في المطار، ملاحظة بسيطة، لكني لا أرى داعيًا لهذا التدخل من طرفك.

- أنا لا أصوغ القواعد، يبدو أن عليكم الذهاب معي، كلاكما..

سألته تشانج: أين؟

- لنتحدث مع رئيسي.

- وأين هو؟

- في الشاحنة الخاصة بالمراقبة في الممر.

نظر ريتشر حيثما أشار الرجل، ورأى شاحنة كحلية اللون وصغيرة الحجم، منزوية في حارة «عدم انتظار» لم تكن بشاحنة نظيفة أو لامعة.

أردف الرجل: رئيسي، حسنًا هو ليس حقًّا رئيسي، مشرف المراقبة لليوم، هو المسؤول عن القرار بخصوصكما؛ الأمر بتلك البساطة، لا تقلقا، مجرد أسئلة روتينية، لا يوجد مشكلة.

- كلا.

قالها ريتشر.

- سيدي؛ الأمر ليس محل نقاش، تلك مسألة أمن قومي..



- كلا، هذا مطار، حيث يستقل القوم الطائرات، وهذا حيثما سنذهب، بحقيبة واحدة صغيرة؛ ولذا إما أن تقبض علينا أو تتنحى جانبًا..

- هذا النوع من السلوك موجود في قائمتنا كذلك.

- أهو أعلى أم أسفل مسألة اللاحقائب؟

- أسلوبك هذا لن يساعد يا سيدي.

- لن يساعد من في تحقيق أي هدف؟

تأهب جسد الرجل واعتلى الحزم وجهه، ومر اثنان من رجال شرطة لوس أنجيليس، وهم يحملان الأجهزة اللاسلكية والأسلحة على أحزمة خواصرهما، رحلا، وأطلق الرجل نفسًا، بنفس نوعية صوت الانزعاج السابق، وقال: حسنًا، رحلة سعيدة.

ورحل مبتعدًا، متلفتًا برأسه عن أي نوع من الإنذارات الجديدة..

***

رفع ريتشر يديه وهو يعبر بوابة الأمن بعدما أودت بهما بطاقة تشانج الذهبية للممر خاص بالعملاء، عبرا من خلاله وهما يحتفظان بأحذيتهما ومعادنهما، لكن ريتشر تخلص من عملاته المعدنية وهو يعبر بوابة الأمن وجهاز الكشف عن المعادن يتفحصه، فعلت تشانج مثله، واستعادت هاتفها بعدها، سارا سويًّا صوب البوابة الخاصة بالطائرة،



انتظرا لبرهة طويلة، جالسين فوق مقاعد مثبتة بالأرض واتفق كلاهما أن تلك المقاعد هي النسخة المحدثة من ساحات انتظار بلدة «استراحة الأم»، من حيث المنظر والملمس، بالشكل الذي يفترض أن تكون عليه البدائل المتطورة، استقلا الطائرة بعد ذلك، أجلستهما بطاقة تشانج الذهبية في مقاعد بالقرب من ممر الخروج الداخلي للطائرة، وقد قدر ريتشر المساحة التي وفرتها لهما تلك المقاعد وإن بغض الأمر أيضًا، لأنه فهم الجانب النظري من الأمر، في حالة الطوارئ سيخرج القوم من هذا الممر أو النوافذ أو من فوق جناح الطائرة، وبالتالي كل اللوائح شرعت المساحات حتى يستطيع القوم التحرك بارتياح في مثل تلك الحالات، ولكن لماذا لا يمتلك كل صف من المقاعد تلك المساحة الواسعة التي حصلا عليها بسبب البطاقة الذهبية؟

قالت تشانج: هذا لطيف.

- بالتأكيد.

- لماذا كنت متشككًا بشأن الشرطي في المطار؟ لم تحبه؟

- لقد أحببته، أنا أحب الجميع، أنا شخص مبتهج وسعيد ومحب للجميع.

- كلا، أنت لست هذا الشخص.

- لقد أحببته.

- أنت تفاعلت معه بشكل سلبي.



- حقًّا؟

- لقد رفضت الانصياع لمطالبه، ثم بدأت تستفزه، أنت كنت تتحداه ليقبض علينا.

- لديَّ سؤال.

- وما هو؟

- أعني، لقد كان لديه سبب وجيه لإيقافنا، سبب وجيه جدًّا، كلانا يعلم كيفية حدوث مثل تلك الأمور، شخص ما من الإدارة يكتب قائمة مستندًا على أي سبب كان مصدره، وربما حقًّا تسعون بالمئة من حالات ركاب بلا مسافرين يتضح أنهم خطر، إلا أني أعتقد أنه احتمال واحد بالمئة، ربما كان هذا رأي الشرطي أيضًا لكنه مضطر للالتزام بالقائمة.

- إذن ما هو سؤالك؟

- هل رأيتِ صورة حديثة في بطاقة شرطي من لوس أنجيليس؟ للمقارنة؟

- لا أتذكر.

- ولا أنا أيضًا.

- أتعتقد أنه كان مزيفًا؟

قال ريتشر ساخرًا:

- ليتني أعرف، تخميني أنه لو لم يكن مزيفًا فعلى الأقل



هذا ينفي نظرية التحكم بالعقول الخاصة بمتصل ويستوودد إياه، وإلا كان الشرطي سيكون سعيدًا من عدم امتلاكنا لحقائب، نحن نترك مساحة لأجهزة التحكم لتقوم بعملها.

- لو كان مزيفًا فمن هو حقًّا؟

- ربما ابن عم آخر تابع لعائلة موهينيان.

- في لوس أنجيليس؟ كم عددهم بالضبط؟ كلا.

- لماذا رحل فجأة؟

- لأنك أقنعته، هو لم يمتلك سببًا محتملًا للقبض علينا، وبالتأكيد سيحتاج لدليل يسوغه النظام القضائي كما تعلم.

- كلا لقد رحل عندما جاء رجال الشرطة.

- زملاؤه؟

- افترضي أنهم ليسوا زملاءه، افترضي أنه مخادع، ومهمته كانت استدراجنا للشاحنة، ولكنها مجرد مهمة بالنسبة له، هو محترف ويريد العمل مرة أخرى، ولم يكن متأكدًا مما سأفعله، ربما تصرفت بتهور واسترعيت انتباههم؛ ولذا تخلى هو عن المهمة؛ لأن أفراد الشرطة كانوا يقتربون، يبحثون عن سلوك غير معتاد، بمعنى آخر لقد فر هذا الرجل هاربًا..

- أو هو رجل عاقل تحكم في غضبه وأخذ نفسًا عميقًا وعدَّ لعشرة في عقله لينفث عما يعتمل في صدره قبل أن يوفر عليك ساعة في الزنزانة، وطنًا من العمل الورقي لنفسه.



تحركت الطائرة في الممر، وبدأت في الإقلاع ببطء، كأنها تدرك تمامًا كل غموض الطيران وفكت طلاسمه، ثم أقلعت الطائرة، كأنها تتجه للشمس، واتجهت بصورة قوية للشمال.

***

تلقى الرجل الثامن مكالمته الواردة في «استراحة الأم» بعد عشر دقائق.

- سنصحح ما حدث.

- ما الذي حدث؟

- لقد واجهنا سوء حظ.

- ما الذي تتحدث عنه؟

- لقد حدثت مشكلة.

- صعدا إلى الطائرة؟

انحلت عقدة لسان المتحدث، ليس بسبب الحماس، بل بسبب المقت وقال: لقد أعد هاكيت خطة كاملة، تشانج حجزت الطائرة عبر الهاتف؛ ولذا كان لديها كل التفاصيل، التوقيت كان ممتازًا، راقبهما وهم يرحلان من الفندق، مستقلين سيارة أجرة، كان يركب في سيارة مدنية سوداء، بينما أحد زملائه يقودها، وتعقَّبا سيارة الأجرة لفترة قبل أن يجاورها في شارع ٤٠٥، الخطة كانت ممتازة، والحارة



السريعة تتحرك صوب المخرج، وسيارة سوداء خاصة بالنقل المدني كانت شبه خفية في طريق كهذا؛ لأن هناك الملايين منهم؛ ولذا فهو كان مجاورًا لهم حرفيًّا، النافذة مفتوحة، والبندقية في يده، من على مسافة قريبة للغاية، ثم ارتطم بهم أحد من الخلف، وبعد تلك الحادثة فقد هاكيت أثرهما، لم يرهما مرة أخرى.

- إذن هما صعدا على متن الطائرة؟

- لم يأخذا رحلة مبكرة، لقد اختارا رحلة أخرى بسبب البطاقة الذهبية الخاصة بتشانج، وهاكيت قد سبقهم بثلاث وأربعين دقيقة، لقد قلت لك، سنصحح الأمر..

- في شيكاغو؟

- لا تكلفة إضافية، لم تكن سيارتنا المسؤولة عن الحادثة لكنها سمعتنا.

- لا تدعهما يتحدثان لماكين.

- مفهوم، تلك هي نيتنا..

***

لم تستغرق الرحلة طويلًا، ليس كأنها من الجنوب للشمال، مجرد انتقال سريع من لوس أنجيليس لشيكاغو، أراحت تشانج قدميها أسفل المقعد، وضمت ركبتيها، كانت محمومة بالتفكير، وكان ريتشر ينظر إليها وهي شاردة، أحيانًا تعطيه نصف ابتسامة، عقلها لا يتوقف عن التفكير



في كل الاحتمالات الإيجابية والسلبية، النتائج المرغوبة والعكس، تتسع عيناها وهي تفكر، تحلل بعد فكر وتأمل، تغمض عينيها قليلًا وتفتحهما مرة أخرى، حاول ريتشر ألا يفكر، كان يطارد ذكرى مراوغة في منتصف الغسق بين وعيه وعقله الباطن، ويحاول في الآونة نفسها ألا يفكر بتلك الذكرى، يتركها بمفردها، قال لتشانج: المكتبة ستكون مغلقة عندما نصل إلى هناك.

- سنذهب إليها أول شيء في الصباح الباكر عندما نصل، ونقضي ليلتنا في فندق.

- لنختر أفضل فندق وأفضل غرفة في المدينة بأسرها، ونرسل الفاتورة للصحيفة، لنأخذ جناحًا، ونطلب خدمة الغرف، ستدفع الجريدة بحماس لأن هناك قصة مثيرة قادمة، يتملكني شعور بهذا.

- ماذا بالضبط؟

- لا أعلم بعد، هناك شيء ما، لا أستطيع تذكره، لكني أعلم أنه مهم.

- كيف تعلم أنه مهم طالما أنت لا تستطيع التذكر؟

- مجرد شعور.

- سأدفع ببطاقتي الائتمانية قبل إرسال الفاتورة للجريدة، تلك مخاطرة مالية لو لم تدفع الجريدة من أجل أفضل فندق في المدينة.



- سوف يدفعون.

- حسنًا، فندق «فور سيزونس» أم بينينسولا؟

- كلاهما جيد، أي واحد منهما.

- سأتصل من المطار وأحجز أيهما أقل سعرًا.

لم يقل ريتشر شيئًا، وتابعت تشانج: كيف تعلم أن هناك شيئًا مهمًّا قادمًا وأنت لا تستطيع تذكر كنهه؟

- أعتقد أن هذا الشيء سيجعلنا نحدد ملامح ما نواجهه..

- وهو؟

- لا أعلم، كأني أحاول مطابقة شيئين، متطابقين بالفعل، لكني لا أعلم ماذا، كلمات أو حقائق أو أماكن.

- ليست أماكن، لوس أنجيليس ليست كاستراحة الأم، لا تشابه هنا على الإطلاق.

- حسنًا.

- ولا شيكاغو، إلا أن بعض المزارعين يذهبون إليها، ليفعلوا شيئًا.. أيًّا ما كان الذي يفعله المزارعون في شيكاغو، أهذا هو الأمر؟

- كلا.

- من الأفضل أن تتذكر أسرع، نحن نوشك على الوصول.

أومأ ريتشر برأسه، سنصل قريبًا، كان يحب تخيل



الأشياء مسبقًا، حتى لو كان الأمر ببساطة الخروج من الطائرة؛ ولذا رسم صورة في عقله لهما وهما يتحركان صوب المخرج، يستقلان سيارة أجرة، تختفي إشارة «ضع حزام الأمان» عندما يمتثلان للأمر، تمر السيارة جوار جسر ما، يتخيلهما وهما يحملان حقيبة تشانج في الممر قبل هذا، نعم هو يحب تخيل الأمور مسبقًا، شيء له علاقة بعقل السحلية (20)، تخيل الشوارع المجاورة لسيارة الأجرة التي سيأخذانها، أناس وحيدون يجلسون بمفردهم في بعض المقاهي، هنا تذكر ريتشر وقال لتشانج: ليس بكلمات أو حقائق أو أماكن.

- ماذا إذن؟

- وجوه، هل تتذكرين السيارة السوداء الخاصة بالنقل المدني في شارع ٤٠٥.

- لقد كان هناك مليون سيارة في شارع ٤٠٥.

- إحداها توقفت بجانبنا وتعرضت لحادثة طفيفة، ارتطام خلفي من سيارة حمراء.

- آه تلك السيارة، نعم تذكرتها.

- لقد كانت النافذة تنفتح حينذاك، ولقد لمحت وجه الراكب.

- ما مقدار اللمحة؟

- جزئية، مختصرة.



- ولكن؟

- لقد رأيناه من قبل.

- أين؟

- في المطعم، بأنجلوود، هذا الصباح، عندما قابلنا ويستوود للمرة الأولى، الرجل كان يجلس هناك مستندًا بذراعيه على منضدة ويقرأ الجريدة.

صمتت تشانج، أردف ريتشر: الرجل نفسه.

- لقد تم تدريبي لأفكر كمحامي دفاع، أحاول هدم النظريات دون دعمها.

- وأيًّا ما كان الذي ستقولينه، فالجزء الأمامي من عقلي يتفق معك كليًّا، لقد كانت لمحة استغرقت جزءًا من الثانية، بين سيارتين بسرعة أربعين ميلًا في الساعة، لو كانت تلك شهادة في محكمة لتم رفضها بالتأكيد.

- ولكن؟

- الجزء الخلفي من عقلي يعلم جيدًا أنه الرجل نفسه.

- كيف؟

- هناك أصوات تحذرني من جهاز الراديو في عقلي.

- لديك جهاز راديو في عقلك؟

- واستمع إليه بحرص، لقد كنا حيوانات برية لملايين السنين قبل أن نتحضر، وتعلمنا دروسًا مهمة في النجاة،



يجب علينا الحرص حتى لا نفقد هذا الجزء بداخلنا.

- وما الذي يقول لك جهاز الراديو؟

- جزء منه يتحدث عن قتال قادم.

- والجزء الآخر؟

- يتقدم خطوة ليعود للخلف بعدها فورًا، يحاول فهم الملابسات، هو يعمل بأسلوب كل شيء أو لا شيء، إما أن يكون هو مخطئًا تمامًا، أو أن هذا الرجل يقتفي أثرنا منذ البداية، وهذا سيعني أنه يتبعنا عن طريق هاتفك الخلوي، وهذا أيضًا سيعني أنه يعلم كل شيء، وفي تلك الحالة علينا الاتصال بالفندق من هاتف عمومي، وهكذا نسبقه بخطوة، ونحن بحاجة كي نسبقه بخطوة؛ لأن هذا الرجل يصعد الأمور، في الصباح كان يراقبنا فحسب، ربما يتنصت قليلًا، يقرأ الشفاه، والآن، هو يحاول قتلنا..

- لأنه فتح نافذته؟

- لقد نظر إليَّ لثوانٍ، وأنا اعتقدت أنه يريد أن يقول لي شيئًا، لقد كان يشملني بنظرته، بطريقة تحضيرية، لقد كان يحدد هدفه، هذا ما الذي كان يفعله، المنطق سيقول: إنه سيحمل بندقية معه، البندقية ستعمل جيدًا بين سيارة وأخرى، نفس فعالية الصاروخ من طائرة لأخرى، ثم أُصيب الجميع بالذعر مع الارتطام، ويرحل هو عن الحارة، ليختفي وسط ملايين السيارات المشابهة..



- هذا سيناريو خطير.

- كما قلت لك، كل شيء أو لا شيء، ما دافعه ليتوقف بجانبنا ويفتح نافذته؟ لقد تم إخباره بقتلنا، وهذا يعني أنه محترف للإيجار، باهظ الثمن، وهذا سيعطينا ملامح عما نواجهه في «استراحة الأم»، إنهم يوفرون شيئًا ما مقابل أطنان من الأموال التي تكفيهم ليقوموا بتأجير محترف في لوس أنجيليس.

- أو كما قلت أنت في البداية مجرد لمحة لم تستغرق ثواني بين سيارتين مسرعتين؛ وعليه فإن شهادة المحكمة سيتم رفضها.

- تمني الأفضل واستعدي للأسوأ.

- هذا لن يعطينا مذكرة تفتيش.

- مذكرات التفتيش تحتاج لأدلة، أنا أتحدث عن المعرفة.

- وأنت تعرف؟

- إنه أمر متعلق بالغريزة، لهذا أنا لا أزال هنا، بعد سبعة ملايين سنة، قوانين داروين.

- ما الذي فعلناه بعد الإفطار حتى الآن لنسبب تصعيد الأمور؟

- بالضبط، الإجابة هي مكاين.



- إذن هو يمثل خطر بالنسبة لهم.

- وبالتالي هو مهم بالنسبة لنا، والمكتبة ستكون مغلقة عندما نصل.

- لو كان هو الرجل نفسه، لا يزال هناك احتمالية بكونك مخطئًا.

- ولكن الرهان الصحيح أن نتصرف على أساس أنه الرجل نفسه، تحسبًا.

- كرهان باسكال(19).

- لن نخسر شيئًا لو كنّا مخطئين، لكن سوف نكسب كثيرًا لو كنّا محقين.

- إلا أنه في لوس أنجيليس الآن، لقد تركناه خلفنا.

- ليس بالضرورة.. لقد كانت رحلة سابقة لرحلتنا تلك.

صمتت تشانج وأخرجت هاتفها، أطفأته بعدما كان في وضع «الطيران»، هبطت الطائرة بعد ذلك، بعد دورة كسولة فوق بحيرة شيكاغو، وغسق الصيف موشك على الانتهاء، وأضواء ممر الهبوط ساطعة، خرجا من المطار واستقلا سيارة أجرة، اختفت علامة «ضع حزام الأمان» بعدما امتثلا للأمر، وتحركت السيارة وسط الشوارع الهادئة والمقاهي الوحيدة..



الفصل الثاني والثلاثون

عندما خرجا من بوابة المطار تفحص ريتشر وجوه من حولهم بحثًا عن الرجل، كل وجه على حدة، كأن وجه هذا الرجل المجهول على قائمة المطلوبين للعدالة المعلقة في مكاتب البريد، بحث ريتشر في كل صوب، بطرف عينه، في كل الأنحاء، وهو يعتمد على غرائزه لتميز وجه الرجل، لو كان هناك، لكنه لم يكن موجودًا، لم يكن وسط الجالسين، ظل يبحث وهما ينتقلان من الممر الخاص بالخروج للبوابة، واتجها بعدها لهواتف عمومية متراصة ومتجاورة، هواتف مهجورة ووحيدة، ثم وجدا ما هو أفضل، مكتب خدمات خاص بالمطار به امرأة مبتهجة ومتأنقة بالزي الرسمي، اتصلت لهما بفندق بينينسولا، وحجزت لهم جناحًا، وأخبرتهما بمكان سيارات الأجرة.

كان مساءً دافئًا، الهواء سميك برائحة التبغ ووقود الطيارات، انتظرا خمس دقائق ثم استقلا السيارة التي انطلقت مسرعة، والآن هما في سيارة الأجرة التي تقلهما وسط المدينة، نظر ريتشر من النافذة، يراقب الزحام في المطار، لكنه لم يرَ وجه الرجل، وبينما هما في الطريق السريع كان يراقب السيارات من حولهما، لم تقترب أي واحدة منها، واصلت السيارات طريقها فحسب، لكل سيارة عالمها الخاص، قالت تشانج: علينا ابتياع هاتف ثانوي، أجابها: وعلينا إخبار ويستوود بابتياع واحد كذلك؛ لأن الرجل استطاع التوصل إلينا عن طريق مراقبة هاتف



ويستوود.

- وهذا يعني أنهم قلقون بشأن ويستوود كذلك، وهذا يؤكد أنه قد كتب شيئًا ذا أهمية.

- في الأغلب لن تكون المقالة عن أسماك القرش.

- ولا الجرابيع، أو تغير الطقس.

- أرأيتِ؟ نحن نضيق دائرة البحث بالفعل..

***

فندق بينينسولا كان مستعدًا وجاهزًا لهما، بينما المدينة كانت كبيرة وواسعة، ساطعة الأضواء، بملايين النوافذ المطلة على السماء الشرقية، الجناح في الفندق كان أكبر من أي شيء رأياه من قبل، مشابه لحجم شقق المنشآت العسكرية التي ترعرع بها ريتشر، قائمة خدمة الغرف كانت بحجم كتاب دليل هاتف، طلبا ما يشتهيانه، مفترضين أن الجريدة ستدفع في نهاية الأمر، تناولا الطعام ببطء، مفترضين أنهما يمتلكان وقت الليل بأكمله، دون مقاطعة، وبلا حاجة للتعجل، من الأفضل الشعور بالراحة، باليقين، وانتظار الوعد القادم من الحلوى والقهوة بعد الطعام..

استيقظا في وقت مبكر، ليس بسبب فرق التوقيت بين شيكاغو ولوس أنجيليس أو لأن عقلهما مشغول بالتفكير، بل لأنهما نسيا إغلاق الستائر التي تسللت منها أشعة شمس



ساطعة، استيقظ ريتشر وهو يفكر في علاقته بتشانج، وكيف أن كل شيء جيد لهذه الدرجة لا بد أن ينتهي في مكان ما.. عاجلًا أم آجلًا، لن يظل الأمر يحسن في كل مرة بهذا الشكل؟ أم أنه سيظل كذلك؟

أما ما كانت تفكر به تشانج هو حديقة لينكولن والمكتبة.

- أنا أتساءل كيف سنصل هناك؟ أعتقد أن المكتبة قريبة والأمر لا يستحق تأجير سيارة، سيكون من الصعب ركنها، وسيارات الأجرة سيكون من الصعب إيجادها، أعتقد أنه علينا استقلال سيارة نقل مدني خاصة..

- عن طريق استخدام هاتف الفندق، لنبقى متقدمين عنه.

- لنطلب أن تأتي السيارة في التاسعة، وبهذا سنصل بعد افتتاح المكتبة بعشر دقائق.

- رائع !

وكان هذا حقًّا رائعًا لأنه أعطاهم وقتًا إضافيًّا، لإفطار في الغرفة، واستحمام طويل، وأشياء أخرى تم فعلها ببطء في الصباح لاختبار نظريات ريتشر.

كانت السيارة سوداء ولامعة، وصلت في الموعد، السائق رجل صغير الحجم مرتديًا حلة رمادية اللون، كان مبتهجًا، وتركهما يختاران أيقودُ وسط الزحام أم الطريق الجانبي، لم يبالِ أو يحتج، سيحصل على أجرته كاملة في الحالتين،



استغرقت الرحلة عشر دقائق لمكتبة لينكولن.

كان هناك شعور بداية اليوم في المكتبة، أناس يعملون ويهمسون ليحضروا الأشياء، دخلوا المكتبة وسألوا عن السيدة التي تحدثوا معها عبر الهاتف، بعد اختيار رقم ٩ في خط الاستفسارات، حصلوا على إرشادات من موظف متعاون، حتى وصلوا لمكتب الاستفسارات الذي قبع وحيدًا في ركن جانبي، المكتب كان خاليًا، المقعد جاهز لتأدية عمله وشاشة الحاسب سوداء، سيدة الاستفسارات متأخرة عن عملها..

لكن لم يضع الأمر هباءً؛ لأنه في نهاية الردهة استقر باب تأتي من خلفه أصوات عدة، وعلى الباب استقرت لافتة: غرفة المتطوعين، تلك الغرفة التي أجرى منها مكاين ست عشرة مكالمة حتى نفد صبر ويستوود أخيرًا.

طرق ريتشر باب الغرفة فكفت الأصوات عن الحديث، فتح الباب وأطلت عليه غرفة واسعة مزدحمة بالألوان، مقاعد من «الفابريك»، وفي تلك المقاعد جلس خمسة أشخاص، ثلاث نساء ورجلين، أعمار مختلفة، أنواع مختلفة.. الهاتف يستقر في منضدة بين المقاعد..

- آسف للمقاطعة، أنا أبحث عن السيد مكاين.

أجابه رجل عجوز: هو ليس هنا.

قالها بطريقة جعلت ريتشر يفترض أنه يعرف مكاين، لا بد أنه يعرفه ليجاوب بتلك الطريقة الحازمة، وليعين نفسه



المتحدث باسم المجموعة، كان نحيفًا، متقدمًا في العمر، له شعر أبيض كثيف، يرتدي قميصًا وسروالًا كزي رسمي لرجل متقاعد، متقاعد من وظيفة تنفيذية، ممتلئة بالأوراق والأرقام والمعلومات، ولا يزال بحاجة لكي يشعر أنه مرغوب به ومهم..

سأله ريتشر: متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد مكاين؟

- ثلاثة أو أربعة أسابيع.

- وهل هذا أمر عادي؟

- هو يأتي ويذهب كيفما شاء، هو متطوع، ولا بد أن لديه اهتمامات أخرى..

- هل تعلم أين يقطن؟

- آسف ولكن تلك أسئلة شخصية، وأنا لا أعلم من أنت.

- منذ فترة وجيزة قام السيد مكاين بتوظيف شركة تحقيقات خاصة؛ ليساعدوه في مشكلة ما، نحن المحققون في الشركة، وقد أتينا لمساعدته..

- إذن لا بد أن لديك عنوانه.

قال ريتشر بهدوء: سيدي، هل لنا أن نتحدث بمفردنا؟

وقد أرضى الطلب غرور الرجل العجوز والأنا الخاصة به، لقد تم التعرف عليه كشخص مهم، من نوعية الرجال



الذين تنتحي بهم جانبًا، لتأخذهم حيث الأمور المهمة، قال الرجل لباقي المتطوعين: هلا تركتم الغرفة لنا؟ إنه وقت العمل على أية حال جميعكم لديه أشياء لفعلها..

خرج الشاب والفتيات الثلاث، أغلقت تشانغ الباب بعد خروجهم، وجلس ريتشر قبالة الرجل الذي لم يحرك ساكنًا..

قالت له تشانغ: يبدو أن المحقق الذي تعامل مع السيد مكاين مفقودًا، وأول شيء علينا فعله في قضية كهذه هو التأكد من أن العميل بخير، تلك هي أولويتنا، وما تنص عليه الإجراءات، ولكننا بحاجة للمساعدة كي نجده..

- ما هي المشكلة التي يواجهها مكاين؟

- لا نعلم بعد، ربما تستطيع مساعدتنا في هذا الشأن، لقد كان مكاين قلقًا بشأن ما، ربما ذكره لك.

- أنا أعلم أنه ليس رجلًا سعيدًا في حياته.

- هل تعلم السبب؟

- نحن لسنا مقربين، لا نتبادل الأسرار، علاقتنا مهنية فحسب، نتحدث عن أمور المكتبة فقط، نختلف قليلًا، ونتفق في أغلب الأمور، لكني لا أتذكر أي محادثات شخصية بيننا، أعتقد أن زوجته مُتوفاة منذ زمن، ولديه ابن بالغ، وهو سبب متاعب كثيرة في حياة مكاين، أو تحديات، كما هي حال كل الأبناء الآن.



- هل تعلم أين يقطن؟

- كلا، لم يخبرني من قبل.

- أليس هذا أمرًا غريبًا؟ ألا يتحدث القوم عن منطقة سكنهم على الأقل؟ المحلات المجاورة لهم؟ أو الإمكان التي يذهبون إليها لشرب القهوة؟

- لديَّ انطباع قوي أنه كان يشعر بالخزي من منطقة معيشته..

تركا الرجل في الغرفة، ووجدا سيدة الاستفسارات في مكتبها، عرفتها تشانج بنفسها من جديد مذكرة إياها بمحادثتهما الهاتفية، وأرتها إحدى بطاقات التحقيق الفيدرالي الخاصة بها، حاولت تشانج التحدث بلطف زائد لكن السيدة رفضت البوح بعنوان مكاين، كانت ثابتة، شغوفة بشأن الخصوصية، وقالت: إن بإمكانهما تقديم طلب للمدير، لكن ريتشر خمن أن المدير سيكون على نفس درجة الشغف بالخصوصية، وحتى لو لم يكن، القوانين ستمنعه من الموافقة، قال ريتشر للسيدة في النهاية: حسنًا، لا تخبريني بالعنوان، فقط أخبريني إن كان مكاين يمتلك عنوانًا؟

- بالطبع لديه عنوان.

- وأنت تعلمين أين؟

- أعلم لكني لا أستطيع إخبارك.



- هل هو عنوان محلي؟

- لن أستطيع إعطاءك العنوان.

- لا أريده، أنا غير مهتم بالعنوان، فقدت كل رغبتي في معرفته، لن أسمع لو ستعطيني إياه الآن، أنا فقط أريد معرفة هل هو عنوان محلي، هنا في المنطقة، أم لا؟ هذا كل ما أريد معرفته، وهذا لا يعد انتهاكًا للخصوصية، كل منطقة بها آلاف من القاطنين.

- نعم، عنوان محلي.

- وما هي درجة تلك المحلية؟ هل يسير من منزله للمكتبة؟

- أنت تسألني عن عنوانه مرة أخرى.

- كلا، أنا لا أسألك عن العنوان، أنا لا أريد العنوان، لو ستخبريني إياه سأضع أصابعي في أذني وأغني بصوت عالٍ «لالالا» كي لا أسمع، أنا فقط أريد معرفة هل هو على مسافة سير من هنا أم لا؟ إنه سؤال متعلق بالجغرافيا، وما هو تقديرك لمدى تقدم السيد مكاين في العمر؟

- ماذا؟

- عمره، هذا سؤال مختلف عن عنوانه، لك الحرية في الحديث عن عمره، شاركينا انطباعاتك عنه.

- في الستين من العمر، لقد بلغ الستين العام السابق.

- هل هو في حالة بدنية جيدة؟



- بالكاد، الحقيقة أنه في حالة مزرية، هو لا يعتني بنفسه، لا يعتني بنفسه على الإطلاق.

- هذا أمر سيئ للغاية، كيف؟

- هو نحيف للغاية، ولا يهتم بصحته.

- هل هو شخص مرهق؟ يبدو كأنه بلا طاقة؟

- نعم، هو مرهق طيلة الوقت.

- إذن هو لم يكن ليستطيع أن يسير مسافة طويلة، لنقل مسافة ثلاثة ميادين من هنا، أهذا تقدير جيد؟

- لا أستطيع إخبارك.

- مسافة ثلاث بنايات تعني ستة وثلاثين شارعًا على الأقل، هذا أكبر من ميلوا كي، إجابتك لن تفشي سرًّا.

- حسنًا، هو يأتي سيرًا على الأقدام، مسافة قصيرة جدًّا، لن أستطيع إخبارك بأي شيء آخر.

- ما هو اسمه الأول؟ هل تستطيعين إعطائي تلك المعلومة؟

- بيتر، بيتر مكاين.

- وماذا عن زوجته؟ متى تُوفيت؟

- منذ وقت طويل على ما أعتقد.

- وما هو اسم ابنه؟



- مايكل مكاين.

- هل هناك خَطْبٌ ما بمايكل؟

- لم نتحدث عنه.

- لكن لا بد من أنك خمنتي شيئًا ما.

- لو أخبرتك سأخون ثقة مكاين.

- لو لم يخبرك بنفسه، وخمنتِ أنت فحسب، فأنتِ ستشاركين استنتاجاتك فحسب، هذا فارق كبير بين الاستنتاج وخيانة الثقة.

- أعتقد أن ابن السيد مكاين لديه مشكلة خاصة بالسلوك، لا أعلم ماذا بالضبط، لكنه لم يكن فخورًا به، هذا استنتاجي.

أعطاها ريتشر تعبير وجه متعاطفًا، وحاول مرة أخرى، لكنها لم تعطه عنوان مكاين؛ ولذا رحل ومعه تشانج، بحثا في دليل الهاتف بالمكتبة، هناك العديد من «ب مكاين»، و «م مكاين»، خرجا للشارع، وهما مسلحان بالتخمينات والانطباعات فحسب.



الفصل الثالث والثلاثون

استدارا يسارًا من على الممر المقابل للمكتبة ووجدا الصيدلية التي ابتاع منها مكان هاتفه الثانوي، ضيقة وصغيرة الحجم، بنافذة عرض واحدة وباب متوسط الحجم، المعروضات لم تكن مغرية، ضمادات، مضاد جروح، مقعد دورة مياه لمن لا يحبون المراحض العمومية، نوافذ الصيدليات هي تحدٍّ حقيقي في التسويق حسب رأي ريتشر، من الصعب تخيل نافذة صيدلية ستدفع بالمشتري أن يدلف في حماس للحصول على المنتج، لكنه رأى منتجًا أثار اهتمامه، إنه هاتف ثانوي، في علبة بلاستيكية، هاتف عتيق، والغبار يكسو العلبة، سعره كان رخيصًا للغاية، دخل كلاهما الصيدلية، ووجدا ستة هواتف أخرى مطابقة، بشواحن، وأسلاك توصيل بالسيارات، سعر الهواتف كان ثلاثة عشر دولارًا، وبكل واحدة باقة مئة دقيقة، قال ريتشر: علينا ابتياع واحد.

- لقد كنت أفكر في ابتياع نوع أكثر حداثة.

- من الذي يحتاج النوع الحديث؟ نحن بحاجة لهاتف يعمل فحسب..

- لن يتوصل بالإنترنت.

- أنت تحدثين مع الشخص الخطأ هنا، موضوع الإنترنت هذا مجرد خيار إضافي، وليس حيويًّا بالنسبة لي، كما أن هناك فألًا طيبًا في الأمر، سنحظى بنوعية هاتف مكاين



نفسها، ربما يجلب ذلك لنا حسن الحظ.

- لا يبدو أنه جلب الحظ السعيد لمكاين.

قالتها وهي تتناول الهاتف من طاولة العرض، وحملته متجهة لمكتب الشراء، حيثما جلست سيدة عجوز، تنتظر خلف آلة الحسابات، عقصت شعرها الرمادي على شكل كعكة، بطريقة تقليدية تعود للقرن السابق، وفي الركن الخلفي من الصيدلية جلس رجل عجوز يحمل وصفات طبية بين يديه، من عمر السيدة نفسه، الشخصية والكاريزما نفسها، مرتديًا معطفًا أبيضَ وربطة عنق، من نوعية الشعر نفسه بخلاف الكعكة، اسم الصيدلية كان «ماما وبابا»، وهما يطابقان الاسم، لا موظفين آخرين ها هنا، سأل ريتشر السيدة العجوز: هل تمتلك تلك الهواتف خاصية البريد الصوتي؟

كررت المرأة السؤال، بصوت أعلى، لم تكن تخاطب ريتشر - كما استوعب الأخير- بل الرجل العجوز في الخلف الذي صاح مجيبًا: كلا.

رددت المرأة: كلا.

سألها ريتشر: صديق لنا ابتاع هاتفًا كهذا من هنا، يدعى بيتر مكاين، هل تعرفينه؟

صاحت المرأة: هل نعرف أحدًا يدعى بيتر مكاين؟

صاح العجوز مجيبًا: كلا.



نظرت المرأة لريتشر وقالت: كلا.

- هل تعرفين ابنه مايكل؟

- «هل نعرف ابنه مايكل»؟

- « كلا».

- كلا.

- حسنًا.

دفع ريتشر ثمن الهاتف، وأخذ الباقي على شاكلة عملات معدنية، توقف كل من ريتشر وتشانج على الرصيف بالخارج، وفتحا العلبة البلاستيكية، لم تكن عملية فتحها سهلة، في النهاية مزقها ريتشر، من المنتصف، وضع الشاحن في جيبه، وأعطى الهاتف لتشانج، نظرت الأخيرة للهاتف، صغير، أبيض وأسود، بشاشة ترحيب، وأظهر الهاتف رقمه الخاص، برمز منطقة ٥٠١، وسبعة أرقام إضافيين، أظهرت علامة البطارية أن الشحن في نسبة الخمسين بالمئة، قال ريتشر: جربي الاتصال بمكاين مرة أخرة، ربما تلك المرة سيرد، ربما يشعر من الرقم أننا أرواح صديقة.

لم يكن هناك خيار لوضع المكالمة في حالة تكبير الصوت، ليس من أجل ثلاثة عشر دولارًا، اتصلت تشانج برقم مكاين، وقف كلاهما متلاصقي الوجوه يستمعون، أذنها اليمنى تلامس أذنه اليسرى، سمعا الهاتف يرن، بلا رد، يرن



للأبد، لا بريد صوتي كذلك، يرن فحسب كحيوان أليف يحاول إيقاظ سيده.

أنهت تشانج المكالمة..

- والآن ماذا سنفعل؟ نبحث في مربع سكني بحجم ميلواكي؟

- لقد كنت أبالغ مع المرأة من أجل التأثير الدرامي، ميلواكي أكبر حجمًا، منطقة لطيفة في الواقع..

ثم توقف ريتشر بغتة، نظرت إليه تشانج وقالت: ماذا؟

- لا شيء.

لقد أوشك أن يقول: «علينا الذهاب سويًا لاحقًا».

- حسنًا، سنبحث في مربع سكني أقل حجمًا بنسبة صغيرة عن ميلواكي..

- بضعة شوارع قد تفي بالغرض، لو وجهنا أنفسنا في الطريق الصحيح، رجل في حالة بدنية مزرية، ولا يعتني بنفسه، في الأغلب لا يأكل جيدًا، وربما يعاني الأرق، ولن يذهب للطبيب إبان تعبه، لا وصفات طبية ولا شيء، الصيدليات لن تهمه في شيء، هو غير مبالٍ بها ولن يمتلك واحدة مفضلة؛ ولذا لن يكون لديه سبب محدد لابتياع الهاتف من تلك الصيدلية بالذات، إذن لماذا سيبتاعه منها؟ لأن هناك هاتفًا مغطى بالغبار في نافذة العرض، وهو قد رآه أثناء مروره بجوارها؛ ولذا من السهل



استنتاج أنه يسير لبيته بهذا الاتجاه، يخرج من المكتبة، ينعطف يسارًا، يمر بالصيدلية، ويواصل السير..

- إلى أين؟

- انظري حولك، تبدو كمنطقة سكنية لطيفة، لكن من الواضح أن مكاين يخجل من مكان معيشته، هل ترين شيئًا مثيرًا للخزي حولك؟ سيجعلك تحرجين من مكان سكنك؟

- أنا لست مكاين.

- بالضبط، كل شيء مترابط، الرجل في غرفة المتطوعين يبدو كمدير تنفيذي متقاعد، هو قاطن محلي بالتأكيد، يحيا في منزل من طابقين، من المستحيل أن ترتدي قميصًا كالذي يرتديه دون أن تحيا في منزل من طابقين، القميص والمنزل متطابقان، ولكن مكاين لا يحيا في منزل من طابقين، وليس في شقة كذلك، الشقق بديل شرعي جيد للبيوت، أحيانًا تكون أفضل، لا داعي للشعور بالخزي من شقة، كلا، إذن هو يحيا في شيء أقل من المنزل ذي الطابقين ولكن ليس شقة.

- منزل بالٍ؟ شارع مهجور، حي جانبي فقير، منزل مقسم لغرف مستقلة، ربما لا كهرباء، ومن الصعب على رجل الاعتراف بشيء كهذا لرجل آخر، خصيصًا عندما يكون الرجل الآخر مديرًا تنفيذيًا متقاعدًا، ويمتلك منزلًا خاصًا، ربما منزل من النوع نفسه لكنه مجدد، ولم يتعرض شارعه للصعوبات..



- هكذا أرى الأمر، بالتقريب، ليس حرفيًا، ولكن على بعد شارعين أو ثلاثة سنجد شارعين يعانيان الأمرين، ببيوت قديمة غير مجددة، سنجد أسماء السكان على الأجراس العديدة المعلقة أمام تلك البيوت، وبقليل من الحظ سنجد اسم مكاين.

كان هناك العديد من الأسماء؛ لأن هناك الكثير من اللافتات البلاستيكية التي حملت أسماء السكان، والسبب وراء هذا وجود الكثير من الأجراس..

في البدء وجدا أربعة شوارع من النوعية التي يبحثان عنها، شوارع طويلة، أول اثنان تفرعا يمينًا ويسارًا، من بين البنايتين المقابلتين للمكتبة، الثالث والرابع أتيا بعد مربع سكني آخر، وقد وقعا بين بنايات أقل ارتفاعًا، لم يكن هناك شيء مقبض أو سيئ بخصوص تلك الشوارع، لا قمامة ملقاة بإهمال، ولا نوافذ مهشمة، لا رسومات ألوان فوق الجدران، لا شيء، ولكن لسبب غامض تجاهلهم التطوير العقاري، ربما بسبب أشجار مفقودة، أو عطل في البنية التحتية تؤثر على القبو، أو وجود العديد من النوافذ مما يفسد المنظر الجمالي العام..

تحركت سيارة النقل المدني بهم ببطء، وهما يبحثان، ثم ركن السائق السيارة وخرجا سيرًا، الجو حار وأشعة الشمس تنعكس فوق سطح البحيرة، سارت تشانج في الجزء المشمس من الشارع، وبقي ريتشر وسط الظلال، ظلا يسيران يتفحصان الأبواب والأجراس وحاملات



الأسماء كنادل في مطعم يوزع قوائم الطعام، أغلب الأجراس امتلكت حاملات أسماء، الأسماء إما مطبوعة أو مكتوبة بخط اليد، كان هناك أسماء بولندية، إفريقية، وإيرلندية، أمريكية، الأمم المتحدة كلها تقطن هنا بمختلف جنسياتها، ولم يجدا اسم مكاين في الشارع الأول.

***

تلقى الرجل الثامن في «استراحة الأم» المكالمة، وأتاه صوت المتحدث قائلًا: لقد كفت هي عن استخدام هاتفها.

- لماذا؟

- من الصعب تحديد السبب، نوع من الحرص والوقاية في الأغلب، هي عميلة فيدرالية سابقة، وهو ضابط جيش سابق، هم ليسا مراهقين في الغابة.

- إذن أنت تقول لي بطريقة أخرى: إن هاكيت لا يستطيع إيجادهما.

- كلا، لقد وجدهما، وبكل سهولة، لقد راقب المكتبة، وهما ظهرا قرابة موعد فتحها، ظلا بالداخل لنصف ساعة، ثم خرجا وابتاعا هاتفًا ثانويًا من الصيدلية المجاورة.

- وما الذي ينتظر إياه هاكيت؟

- فرصة.

- لا تدعهما يتحدثان لمكاين.



- لا تقلق، هذا لن يحدث، أستطيع بكل ثقة أن أعدك أنهما لن يتحدثا مع مكاين.

***

عبر ريتشر وتشانج الممر للشارع الثاني، وبحثا منزلًا تلو الآخر، ظلت الأسماء تتوالى أمام أعينهما، وقد بدا أن أغلب الأماكن هنا مكونة من ثلاثة طوابق، بعض البنايات امتلك طابقًا رابعًا، واصلا البحث، اسم يلي الآخر، جافير، هيرتو، جيفواني، باكير، فريدريك، اشيجارو، اكوايم، انجيلمان، كروبك، ديسلير، ليوناديس، وكالاهان.. سيكون هذا ترتيبًا أبجديًّا رائعًا لو غيروا ترتيب الأسماء.. بدا اسم كالاهان كأنه يخص رجل ايرلني، ولا يزال مكاين غير موجود.

المنازل نفسها احتوت على مسحة مجد سابقة كانت ولم تعد، هناك بقايا زجاج اعتاد أن يكون محكمًا ولامعًا، الأبواب الأمامية بها طبقة من الطلاء، وأغلبها بها طبقة ثانية من الزجاج، هناك مساحات بدت كأنها كانت معدة لركن العجلات الهوائية، أو عربات الأطفال، تحرك ريتشر، من باب لآخر، يقترب البحث من منتصف النهاية دون إيجاد مكاين..

ثم وجدته تشانج..

لوَّحت بيدها لريتشر من الجهة الأخرى، وهي تقف أمام منزل مطابق لما حوله، رفع ريتشر يده بصيغة متسائلة،



فلوحت هي بقبضتها منتصرة، بسرية وحماسة مكبوتة، كلاعب جولف بعد تسديدة ناجحة، عبر ريتشر الشارع وانضم إليها، أشارت هي لجرس أمامها، يحمل حاملة أسماء بها وريقة بيضاء مطبوع عليها اسم: بيترج مكاين.



الفصل الرابع والثلاثون

جهاز الاتصال الخاص بالبناية وضع شقة مكاين بجانب رقم اثنين وثلاثين، خمن ريتشر أن هذا الرقم سيقبع بالطابق الثاني، الجهة الخلفية، لو كان يعد بشكل صحيح، بلا إطلالة، في مبنى كئيب، بشارع مقفر، لقد كان عدو الرجل الأول مكان معيشته..

الباب الخاص بالبناية كان موصدًا، ضغطت تشانج زر الاستدعاء الخاص بمكاين في جهاز الاتصال، لا صوت، لا رد، لا شيء، صباح مشمس وحار فحسب..

- جربي الاتصال به مرة أخرى.

كان هناك زر معاودة اتصال سريع في الهاتف الثانوي، أمر لا بأس به بالنسبة لهاتف بثلاثة عشر دولارًا، اتصلت تشانج والتصقت أذناهما في محاولة آملة للاستماع، رنين دون رد، أنهت تشانج الاتصال وقالت: والآن ماذا نفعل؟

- الوقت مبكر للتظاهر بأننا خدمة توصيل البيتزا.. لنتصرف بعشوائية، لكن خدمة توصيل طرود.

ضغط بعدها تسع أزرار مختلفة، وعندما رد أولها قال ريتشر: خدمة توصيل الطرود يا سيدتي.

صمت من السيدة.. ثم أتاه صوت القفل يفتح بشكل آلي، وانفتح الباب، دخل كلاهما البناية، أسفل السلم كانت هناك مساحة ممتلئة بالعجل الهوائي وعربات



الأطفال، دخلا الممر المؤدي للسلم، والذي حمل آثار عائلات تحيا هنا منذ مئة عام، الجدران الورقية بالية، الأبواب مهترئة بأعين زجاجية صدئة، نظروا لأرقام الشقق، ١١، ١٢.. السلم كان مغطى بسجادة، وهناك أضواء نيون من السقف، ذهبا للطابق العلوي، وأنفاسهما تتلاحق مع الحر المتزايد، وصلا للشقة ٣٢، بالجهة الخلفية على اليسار.. طرق ريتشر الباب، لا مجيب، جرب إدارة المقبض، القفل لم يكن موصدًا، انفتح الباب ليكشف عن غرفة المعيشة، وبشكل أو بآخر كانت تلك الغرفة هي الشقة، تخللت لأنفاسهما رائحة عطبة، تجولا في الشقة، هناك فراش ضخم غير مرتب، مطبخ وحمام دون نوافذ، الضوء الوحيد في الشقة أتى من نافذة المنور، الجدران كانت عارية، ربما كانت بيضاء يومًا ما، لكنها اصطبغت بالرمادي مع مرور الزمن، هناك مقعد بذراع طويلة، بخلاف هذا، كمحتوى الأثاث، وباقي الأثاث مثل عدة مناضد فحسب.

خمس مناضد، كل واحدة بحجم باب منفرد، مصنعة من خشب أسود، وكونوا معًا عصبة مسيطرة على الشقة بأكملها.. كانت المناضد موضوعة بنمط ترتيبي، الأولى في طرف الصالة والثانية مواجهة للردهة بينما الثالثة على شكل فأس، الرابعة مواجهة للثالثة، والخامسة في الطرف الآخر للصالة، بدت المناضد كأنها العمود الفقري للشقة، عليها استقر عدد من الحواسب الآلية العادية والمتنقلة،



ثمانية حواسب عادية وسبعة متنقلة.. بجانبهم صناديق سوداء ومساحات خارجية موصلة بالحواسب، والعديد من الأسلاك، والكابلات، وقد بدت كذيول عائلة من الفئران، تفقدت تشانج الردهة ثم أغلقت باب الشقة من خلفهما..

- جربي الاتصال به.

ضغطت تشانج زر معاودة الاتصال، بدأ الهاتف يرن من الغرفة بشكل عالٍ ومُصر، يرن ويهتز، بنغمة سخيفة، واهتزاز متواصل، هاتف مكاين هنا في الشقة، على المنضدة، يهتز يمينًا ويسارًا، أسفل الأسلاك، كان موصلًا بكابل ويستمد شحنه من الحاسب الآلي، أنهت تشانج المكالمة وتساءلت: لماذا لا يحمل هاتفه معه؟ مكان الهاتف الخلوي هو جيب صاحبه.

- بالنسبة لمكاين هذا ليس بهاتف خلوي، ليس بالطريقة التقليدية، إنه مجرد رقم بديل للتواصل مع ويستوود، تلك هي الغاية منه، ليس ذنب الهاتف أن ويستوود لم يستجب لمكاين؛ ولذا كما قلتِ أنتِ سابقًا، لقد استسلم مكاين وترك الهاتف في الدرج، إلا أن الدرج في الواقع هو تلك المنضدة..

- موصل بالشاحن؟

- بحكم العادة ليس أكثر.

- إذن أين مكاين؟



- لا أعلم أين هو، باب شقة كييفر لم يكن موصدًا أيضًا.

- أتذكر هذا نعم.

- أعتقد أنه علينا إلقاء نظرة سريعة في الأرجاء ونرحل بعدها.

- ما مدى السرعة؟

- دقيقتان.

لم تكن بمدة طويلة لكنها كانت كافية لأنه لم يكن هناك الكثير مما يجب تفحصه، المطبخ متوسط الحجم ومرتب بعناية، به ثلاجة متوسطة الحجم أيضًا، بها زجاجة لبن ولوحا شيكولاتة، الحمام كان تقليديًّا ومعتادًا، خزانة ثياب بجوار الفراش، كل ملابسه لونها أسود، لا شيء غير معتاد بخصوص الفراش، ولا بأجهزة الحواسب الآلية، وكلها بحاجة لكلمة سر من أجل الولوج..

لا صور، لا مقتنيات شخصية، لا كتب، ولا خطابات بريدية..

فتحت تشانج باب الشقة، وأطلت برأسها للخارج قبل أن تقول:

هيا بنا..

فتحت الباب على اتساعه، لتجد رجلًا يقف أمامها..

هناك دومًا دوافع وظروف خفية تهدد أقوال الشهود



العيان، تحيز مسبق، فكرة مسبقة، تدخل من العقل الباطن، الإيحاء؛ لأن الناس يرون ما يتوقعون بداخلهم أن يروه، وريتشر لم يكن مختلفًا؛ لأنه بشر، الجزء الأمامي من عقله توقع رؤية مكاين؛ ولذا استغل تلك الثواني وهو يتعرف على وجه الرجل محاولًا مطابقة الوجه لما تخيله عن شكل مكاين، من المفترض أن الأخير نحيف وفي الستين من العمر، هذا هو التخيل النظري لهيئة مكاين، لم تكن مهمة عقلية سهلة؛ لأن الرجل الواقف على الباب لم يشبه مكاين على الإطلاق، هو أصغر بعشرين عامًا، صُلب الجسد، لكن ريتشر حاول مطابقة ملامحه لهيئة مكاين؛ لأن من سيقف أمام الشقة بخلاف قاطنها؟ من سيكون غير مكاين؟ في شقة وبناية ومدينة مكاين..

ولكن الجزء الخلفي من العقل، قضى الثواني نفسها في نوعية مختلفة من التعرف، بشكل واضح، دون خلط أو شبهة، هذا لم يكن مكاين، ولا حتى شبيهًا له، هذا هو الوجه المألوف الذي لمحه ريتشر مرتين من قبل، الأولى كانت في المطعم، الثانية في السيارة السوداء، وتلك هي المرة الثالثة، هنا في تلك الشقة الخاصة بمكاين في الطابق الثاني، الجهة الخلفية على اليسار، وقف الرجل قبالة ريتشر وتشانج.



الفصل الخامس والثلاثون

عمر الرجل كان يقارب الأربعين، بدا كرجل يعرف جيدًا ما يفعله، في تلك المرحلة العمرية من منتصف حياته، لا غباء في عينيه، فقط كفاءة وثقة بالذات، وخبرة، فارع القامة، صُلب البنية، عريض المنكبين، يرتدي سروالًا جينز، وحزامًا عريضًا، وقميصًا أبيضَ مفتوحَ العنق، عيناه زرقاوان ضيقتان، وتعبير وجهه فضولي، بهيئة تشبه مختصي الإلكترونيات، يظهر في منزل أحدهم ليصلح عطل ما، رجل مهام صعبة، ولكن المسدس الذي في يده نفى احتمالية تلك الوظيفة، مسدس من طراز روجر تسعة ملم، مزود بكاتم للصوت، كان يصوب السلاح صوب الأرض، تحدث الجزء الخلفي من رأس ريتشر ليقول: لقد سافر مسرعًا من لوس أنجيليس إلى هنا، ومن المستحيل أن يكون قد سافر بهذا السلاح، لديه حلفاء هنا في شيكاغو، عملية منظمة للغاية، مستوى رفيع من الكفاءة، أضف لهذا أن كاتم الصوت غير قانوني في اليونويز.. أضاف الجزء الأمامي من عقله: تقدم للأمام، فتقدم ريتشر للأمام..

ارتفعت فوهة المسدس وقال الرجل: لا تتحرك.

تقدم ريتشر خطوة أخرى صوب الباب.

- سأطلق النار.

قال ريتشر داخل عقله: لن تطلق النار، أنت تريد رميي



بالرصاص داخل الغرفة، وليس في الممر؛ لأني ضخم الجثة، وسيكون من الصعب تحريكي بعد هذا، كما أن كاتم الصوت يعمل في الواقع بشكل مختلف عن الأفلام، وصوته سيكون أعلى من صوت بصقة سريعة، والجيران سيسمعونها لو أطلقت من مكانك خارج الشقة؛ ولذا أنت لن تطلق النار، ليس بعد.

قال الرجل: ابقَ مكانك.

قال الجزء الخلفي من عقل ريتشر: لو لديه حلفاء في شيكاغو، فعليك البحث عن دعم، استئجار البلطجية أرخص بكثير من كواتم الصوت.

ولذا جازف ريتشر وواصل التقدم للباب، ليرى بشكل أوضح، لم يكن هناك ظلال أخرى، لا أنفاس، لا حركة، الرجل وحده، توقف ريتشر عن الحركة.

- عد إلى الداخل، الآن.

صاحت تشانج مِن داخل الغرفة: ما الذي تريده؟

أضاف ريتشر في عقله: أنت لن تقول: إنك تريد قتلنا، لا شيء شخصيًّا، مجرد عمل؛ لأن هذا سيجعلنا نتصرف بغريزة النجاة.

أجابها الرجل: أريد التحدث.

- بأي شأن؟

- بشأن ما الذي يحدث في «استراحة الأم»، أعتقد أني



أستطيع مساعدتكم.

ريتشر من داخل عقله: ولديك جسر تريد بيعه في بروكلين، أنا لست أحمق لأصدق ما تقوله.

بقي ريتشر مكانه، جسده يملأ المدخل، قدمه تقف بين أرضية الغرفة والممر الخارجي، الرجل على بعد خطوات منه، بالقرب من السلم، تشانج خلفه، على بعد عدة خطوات، تقف في منتصف الغرفة.. سألت تشانج الرجل: لو أنك هنا لمساعدتنا فلماذا تحمل سلاحًا؟

لا رد..

هناك شيء يجب معرفته بشأن ريتشر، لقد فشل في القيادة لكنه اجتاز كل شيء آخر، ومن ضمنها الاشتباك بالأيدي، وربما يبدو هذا كمؤهل مفيد، لكنه ليس كذلك في الواقع، فكرة الجيش بأكمله تكمن في الاشتباك بالأسلحة، بأقل نسبة خطر للجانب المدافع، بمعنى آخر، صوب بندقية القناصة من على بعد مسافة طويلة، أو بمسدس من على مسافة قريبة، تدريبات الاشتباك بالأذرع تأتي كمرحلة أخيرة، كل الاشتباكات غير المسلحة بأنواعها، تدريبات يشوبها الإحراج؛ لأن الاشتباك غير المسلح يعني الفشل في مرحلة الاشتباك المسلح، وأسوأ شيء أن الرؤوس الإدارية لم تجد ما تكتبه في كتاب التعليمات بخصوص هذا الشأن، الفنون القتالية كانت عديمة الفائدة في العالم الحقيقي، الجودو والكاراتيه لم يكونا



ليعملا دون ساحة تدريب ومشرف، والرداء الحريري الخاص بالقتال؛ ولذا الاشتبالك غير المسلح كان ببساطة بدائي، مثل مشاجرات الحاوني، استخدم أي شيء يصلح للقتال.. قالت تشانج: ضع المسدس جانبًا ولنتكلم..

فكر ريتشر «لن يفعل هذا، لن يضع نقطة تفوقه علينا جانبًا، حينئذ سيكون عليه مواجهتي دون سلاح، وتلك ليست بفكرة جذابة له، خصوصًا أني أحدق به استعدادًا للهجوم».

استخدم أي شيء يصلح للقتال..

ظل الرجل مصوبًا مسدسه إليهما، انحنى ريتشر للأمام «هو يريد إطلاق النار عليَّ في الغرفة وليس في الممر؛ لأنه سيجد مشقة في نقلي للداخل بسبب حجمي».

هتف الرجل: تراجع للخلف.

لا تعليق من ريتشر.

«سوف أسبب له مشقة وهو ينقلني».

ثم فجأة تغير الأمر، لم يصبح الرجل ذو السلاح هو المسيطر على زمام الأمور، لم يعد هو المتحكم، لقد تراجع عدة خطوات للخلف بدوره؛ بسبب الضغط اللامتناهي، لم يتراجع خطوات للخلف بجسده، كلا، ولكن داخل عقله، شعر الرجل ذو السلاح أنه يهاجم من قبل مؤشرات انقلاب الوضع ضده، وداهمته نظرات قاتلة من



عيني هذا الرجل العملاق الواقف أمامه.

قال له ريتشر: لا تقلق.

استخدم أي شيء يصلح، أثر على عقله، انتصر بالقتال من قبل حتى أن تشتبك به..

تابع ريتشر: لنرَ إن كان بإمكاننا مساعدتك في الخروج من هذا المأزق.

الإجراء المعتاد الخاص بريتشر، طبقًا للظروف المغايرة، بالنسبة لرجل أيمن يقف أمامه ويصوب سلاحه إليه، فعلى ريتشر الانحراف للأمام قليلًا ليدور تمامًا حول الرجل، كأنه سيرقص بخاصرتيه بقوة ليدور، ليحيط عنق الرجل بذراعه الأيمن، وتنطلق قبضته اليسرى لتلكم الرجل، تتبعها اليمنى، ليلوي معصم يده اليمنى القابضة على السلاح، ويدفع، يدفع بقوة، ثم ضربة أخرى في الفك، وهنا ينكسر معصم الرجل ويسقط المسدس..

هذا هو الإجراء التقليدي المعتاد بريتشر في موقف كهذا، لكن -ريتشر فكر - أن بإمكانه توفير الكثير من الوقت على نفسه، لدى الرجل كاتم للصوت، وهذا يجعل السلاح أطول من المسدس العادي، هذا يسهل الأمور، خذ الطريق المختصر..

وقد اتخذ ريتشر هذا الطريق، اعتصار قوي من الخاصر، بسرعة، يداه مكورتان كقبتضين بالقرب من جسده، يندفع نحوه، لم يلكم جسد الرجل، بل كاتم الصوت نفسه



لأنه الأقرب، قبل أن يقبض عليه ليتمسك به بقوة..

موقف تقليدي أو إجراء متبع، سبب تلك التسمية أنه يستخدم في العادة لمواجهة مثل تلك المواقف؛ لأن تسع وتسعين من مئة حالة، يعمل هذا الإجراء جيدًا، ولكن ليس مع الرجل، لقد كان هو الحالة المئة، لقد كان يعرف كيف يتصرف، لم يسمح نفسه بفقد توازنه بالتمسك بالسلاح الذي قبض عليه ريتشر من المقدمة، لقد ترك السلاح فورًا، في ثوانٍ، لقد أفلته وهاجم ريتشر فورًا، لقد كانت تلك هي الخطوة الذكية..

لقد كانت تلك هي الخطوة الذكية لأن ريتشر قبض على السلاح من الناحية الخاطئة، وكان لا يزال يدور من استدارته المفاجئة؛ لذا لم يكن هناك فرصة في إطلاق الرصاص على الرجل، كل شيء كان بالاتجاه المعاكس، لا فرصة في الاستدارة، التصويب، وضغط الزناد، كم يستغرق الأمر؟ ثانية ونصف؟ ثانيتين؟

خلال تلك الثواني سيقوم رجل ذكي بضربك على جانب رأسك، وينهال عليك باللكمات، ربما لأربع ثوانٍ متتالية، هذا لو كان رجلًا سريعًا، المسدس لا يزال في الاتجاه الخاطئ، لا وقت ولا فرصة لإدارته..

فتح ريتشر يديه ليسقط المسدس منها، وانبطح برأسه، وهو يحمي وجهه بيديه، هزت اللكمة رأسه بالكامل، ثم خطافية يسرى في صدغه، كانت ضربة وحشية أشبه



بمطرقة معدنية، هنا حرك ريتشر كوعه في وضع دفاعي، كإشارة لا طيران في الحي، ووجه لكمة يسرى بدوره كأنه يخرج محتويات حقيبته القتالية، ولكن الضربة التي تلقاها فوق أذنه أبطأت من حركته وجعلته يخطئ بمقدار إنش أو إنشين، ولم تكن لكمته قوية، بمعنى أنها لم تطح بالرجل عبر السقف ليسقط فوق السلالم، لكنها جعلته يجفل للخلف، هنا أظهر الرجل لريتشر موهبة قتالية جديدة، بالطبع كان يخني ريتشر للأمام أثناء القتال منتظرًا ارتداد الرجل بلا دفاع بعد اللكمة لينهي القتال بلكمة قاضية، ولكن الرجل انحرف للجانب بزاوية تسعين درجة، مرونة وقوة جسدية ناجمة عن صالة ألعاب رياضية بالتأكيد، شيء مذهل بالنسبة لرجل بهذا الحجم، وكمكافأة، إضافية للرجل، مع انحرافه المفاجئ أصبح ريتشر يستند على القدم الخطأ بكل ثقله، وقد استغل الرجل هذا فورًا، فتقدم مسرعًا ليركل ريتشر في كليته، تراجع الرجل للخلف بمرونة كملاكم يتراجع للركن الخاص به، ووقف هناك، متأهبًا دون حراك، وهو يبدو واثقًا من نفسه، المسدس مُلقى مكانه في سجاد الممر، في المنتصف بين ريتشر والرجل، لم يكن موجهًا ناحية أيٍّ منهما، كان مصوبًا للجانب، كإبهام إمبراطور لم يقرر بعد أيوجه لأسفل أم إلى أعلى قبل إنهاء القتال، حاول ريتشر تقدير المسافة سريعًا، ربما السلاح أقرب إليه وليس في المنتصف بالضبط، كم سيستغرق الأمر ليصل إليه؟ طويلًا ليتلقى ضربة أخرى على رأسه، أو طلقة في قلبه، نظرة سريعة منه لملابس الرجل، السترة



نحيفة وخالية من أي محتويات ثقيلة، كذلك جيوب السروال؛ وعليه فإن سلاحه الاحتياطي سيكون في غمد معلق بحزامه، ويخفيه خلف ظهره، سلاح إضافي وفرته له قوات الدعم المحلي هنا، حسنًا، لن يكون أسرع شخص يشهر سلاحه لكنه سيكون أسرع من الرجل الطويل المنحني الذي يحاول أن يصل لمسدس في منتصف الطريق..

دعك من الثقة البادية على وجهه التي تعني أنه يمتلك السلاح ولن يواصل الاشتباك بالأيدي، بدا لريتشر أن الرجل في وضع متفوق، لكن لديه قلق وحيد، افترض ريتشر، وهو أن الأخير لن يحاول التقاط السلاح بل سيركله لتشانج.. وبهذا تتغير قواعد اللعبة الحالية.

لكن هذا الأمر كان صعبًا، السرعة لم تكن في صالحهما، الركلة ستكون سريعة وغير دقيقة وربما يستقر المسدس بعيدًا كما أن التقاط تشانج للسلاح وتصويبه وإطلاق الرصاص لن يستغرق ثانية واحدة فحسب.

أخذ ريتشر خطوتين للخلف مسرعًا، خطوة طويلة، نعم لن يكون أسرع إشهار سلاح في العالم، لكن ريتشر سيعبث بعقل الرجل، واصل التحرك، الآن أصبح السلاح أقرب للرجل، الذي تقدم للأمام بدوره، صوب السلاح، إنها الطبيعة البشرية، لقد تقدم خطوة للأمام وهذا كان خطؤه، لقد افترض تلقائيًا أنه سيكون في وضع أفضل بالقرب من السلاح، يأخذه حيثما يشاء



وبهذا يصبح مع مسدسان وريتشر مجرد اليدين.. سيكون هذا أفضل، ولكن ليس في الحقيقة؛ بسبب الحتمية في حركته، والإغراء الماثل أمامه، الرجل امتلك سلاحين في متناوله لكن ليس في يديه، والاحتمالات كلها تدور في عقله، المعدن في يده وهو يضغط الزناد والرصاص ينطلق، النصر، انتهت المهمة، لقد اقترب الآن، كان الرجل يفكر بكل هذا، سواء التقط المسدس من غمده أو انحنى وأخذ الآخر، هو قريب الآن من الانتهاء، ولكن أي من الحركتين سوف تستغرق ثانية أو اثنتين، والأهداف متحركة وليست ثابتة، ريتشر كان يعرف جيدًا ما الذي سيحدث الآن، لو حاول التقاط السلاح سيتلقى ركلة في وجهه، ولو ذهب للسلاح في غمده سيركله ركلةً أقوى، تعقبها لكمة في وجهه، سيكون الأمر مثل لعب كرة القدم، والهدف سيكون في المكان والتوقيت والارتفاع المناسب..

سلاحان في متناوله ولكن ليس بين يديه..

الحتمية.. الإغراء.. التشتيت..

نظر الرجلان لبعضهما، تحرك ريتشر نصف خطوة للأمام، الرجل يبدو واثقًا، لكن ما يعتمل بنفسه بدا واضحًا لريتشر، أينحني ويأخذ السلاح؟ هل سيهاجم ريتشر أولًا، حدق كل منهما بالآخر، عينا الرجل تتحرك للأعلى والأسفل.. قال له ريتشر فجأة: ما اسمك؟



- لماذا؟

- لقد تعارفنا على بعضنا البعض بشكل ما، وفكرت أنه سيكون من اللطيف أن نتعارف بشكل رسمي.

- لماذا؟

- ستكون خطوة ذكية منك، ستجعلني أفكر بك كإنسان، وليس مجرد عدو، وحينئذ ربما لن أضربك بالقوة نفسها، تلك حكمة منتشرة تلك الأيام، الضحايا يحاولون أن يكونوا بشرًا في عين المهاجم..

تأهب..

أجساد متحفزة..

أعين متلاقية..

لقد اقتربت النهاية، لكنها بعيدة في الوقت ذاته..

- أنا لست بضحية.

- ليس بعيدًا.

صاحت تشانج: لا يجب أن ينتهي الأمر بنهاية عنيفة، فقط تراجع للخلف وارفع يديك وسنتحدث، يمكننا إصلاح الأمر أنت لم تفعل شيئًا بعد.

لم يرد الرجل، عيناه تنزلقان للأسفل قبل أن تعود بسرعة صوب ريتشر، واستطاع الأخير تبين أن الرجل يريد التقاط الروجر -المسدس- من على الأرض؛ بسبب كاتم



الصوت، فلقد هذا كان سلاحه المختار منذ البدء، سلاحه المفضل، والأكثر فاعلية، ربما لم يعلم الرجل هذا بعدُ، لكن الجزء الأمامي من عقله كان يعمل على إخباره، بإمكانه التقاط المسدس، وسيعود لنقطة البدء، كأن شيئًا لم يحدث، يلتقط السلاح ويصبح رجلًا مسيطرًا مرة أخرى..

سأله ريتشر مرة أخرى: ما اسمك؟

- كييث هاكيت.

- أنا جاك ريتشر، من اللطيف مقابلتك.

لم يرد الرجل، وأردف ريتشر: لكنك تعلم أسماءنا بالفعل.

لا تعليق من الرجل..

- كما قالت زميلتي؛ الأمر لم ينتهِ بشكل سيئ، ليس بالنسبة لك على الأقل، كل ما عليك فعله هو إخبارنا من أعطاك أسماءنا، من الذي وظفك، من الذي يتصل بك كل ليلة ليطلب تقريرًا عن تحركاتنا، أخبرنا ولسوف أتركك ترحل..

لا تعليق

- إنها معادلة بسيطة يا أستاذ هاكيت، أخبرنا وسترحل، لا تخبرنا ولن ترحل، وربما لن تستطيع الرحيل، تلك الإصابات غير المتوقعة ستكون خطيرة..



لا تعليق

- فكر بإشارات المرور الخاصة بعبور الطريق، عبور، لا عبور، تلك هي المعضلة هنا..

ظل الرجل ثابتًا مكانه للحظة، ثم تحرك صوب المسدس، بسرعة، عيناه ترتكزان على الجائزة، يداه تمتدان صوبه، وجهه متأهب؛ لأنه يعرف أن ريتشر سيهجم، لكنه يأمل أن يصل للسلاح أولًا، لكنه لم يصل إليه، لقد ارتد رأسه للأعلى بعدما ركله ريتشر أسفل ذقنه، كرفصة قوية من حصان ثقيل الجم، تراجع الرجل للخلف، وسقط، لكنه كان يعرف جيدًا أنه سيلقى حتفه لو ظل مكانه أرضًا؛ لذا فلقد هب واقفًا، وهو يلهث ويتحرك، لم يبدُ منظره جيدًا، لقد انخلع فكه، وهناك عدد من الأسنان الناقصة، تلك إصابات خطيرة، راقب ريتشر يدي الرجل، بإمكانها التحرك في ثلاثة اتجاهات، الاتجاه الأذكى هو للأعلى كإشارة استسلام، الأغبى للأمام في شكل قبضة هجومية، والأغبى على الإطلاق أن يحاول سحب المسدس الآخر من غمده.

مد الرجل يده صوب غمده، لم تصل يده هناك، لقد تحركت ذراعه ليظهر كوعه، وفتح يديه، اهتز كتفيه، بدا كهدف ورقي مرسوم في ساحة تدريب، تقدم ريتشر للأمام وهو يفكر: استخدم أي شيء في القتال، وضرب الرجل برأسه في وجهه، بعدها لم يكن الرجل هناك، لقد سقط أرضًا، وأوقف ريتشر نفسه عما أرادت غرائزه



فعله وهو مواصلة ضرب الرجل..

هنا أطلت امرأة ذات شعر أشيب برأسها من إحدى الشقق وهتفت: من أنتم أيها القوم؟



الفصل السادس والثلاثون

الجارة العجوز كانت وقورة كطائر جميل موشك على الانقراض، نحيفة، تتحرك ببطء، كانت تبدو كأغلب الجيران لا تبالي بشيء، ولكن كأغلب جيلها بها جانب فضولي، وتمتلك نظرة متشككة لكل شيء، لكنها كانت تخفي هذا التشكك وراء قناع من اللطف، والدافع لهذا هو اللباقة كما افترض ريتشر، قال لها: نحن نقوم بصيانة حاسب آلي خاص بالسيد مكاين، لكنه ليس هنا، وزميلنا هنا فقد الوعي.

- هل تريدني أن أتصل بالإسعاف؟

- كلا، لا داعي، سندخله الشقة ونعطيه كوبًا من الماء..

- لا مشقة بالنسبة لي لو طلبت لكم الإسعاف.

- سيدتي؛ الأمر يتعلق بالتأمين الصحي، هو مقاول حر، وتلك مهنة صعبة تلك الأيام، وفاتورة المستشفى ستزيد من حساب المديونات في التأمين الخاص به..

- هل هناك شيء آخر يمكنني فعله للمساعدة؟

- لا شيء يا سيدتي.

جذب ريتشر هاكيت وحمله بين ذراعيه وبدأ يجره باتجاه غرفة مكاين، ودفعت تشانج الروجر بيدها، بحرص، وببطء، بدأت الجارة العجوز في إغلاق بابها قبل أن تغير



رأيها وتفتحه مرة أخرى.. واربته فحسب بطريقة تخفي شقتها وقالت: لكني أعتقد أن بيتر يقوم بصيانة حواسبه بنفسه.

ثم أغلقت باب شقتها وحل الصمت بالممر..

التقطت تشانج الروجر، وحملته في طريقها للشقة، أدخل ريتشر هاكيت المكان وأغلقت تشانج الباب، هاكيت كان مصابًا بشدة، كل عظام وجهه، هناك طبيب ما سيحظى بساعة حافلة مع هاكيت، لكنه كان يتنفس بشكل منتظم رغم هذا، لتلك اللحظة على الأقل، حتى تبدأ أعضاؤه الداخلية في الإعلان عن نفسها وتلك مقامرة أخذها ريتشر.

سألت تشانج: متى سيفيق؟

- لا أمتلك أدنى فكرة، ربما خلال ساعتين أو للأبد.

- لقد ضربته بقوة عاتية.

- هو ضربني أولًا، مرتين في رأسي وأخرى في ظهري.

- هل أنت بخير؟

أومأ ريتشر بأنه بخير ولكن ليس في حالة رائعة، كليته تؤلمه بشدة، وحركته لم تكن خالية من الألم، رأسه يؤلمه كذلك، وهناك ألم حاد خلف أذنه، لقد كان ضربة قوية - تلك التي استقرت خلف أذنه - ربما أسوأ الضربات على الإطلاق.



واستخدامه لرأسه لضرب هاكيت لم يكن بقرار ذكي في مثل تلك الظروف الحالية..

- لا يمكننا الانتظار لساعتين كي يُفيق بإمكان أي شيء أن يحدث خلال تلك المدة.

- علينا إيجاد مكاين، والانتظار هنا لن يجدينا نفعًا.

- أنت لا تفكر بشكل صحيح، هل انتابك الصداع بعد؟

- ليس بعد لكنه قادم لا محالة، كيف وصل إلينا هنا؟

- أعتقد أنه تتبعنا، لقد كان من البديهي لهم أن نبدأ نحن بزيارة المكتبة.

- لكننا استقللنا سيارة النقل المدني في طريق متعرج، خلف كل الأحياء، ونحن نبحث عن شقة مكاين، ولم يكن هناك أحد يتتبعنا حينذاك.

- كيف توصل لمكاننا إذن؟

- هم يمتلكون معلومات أكثر منا عن مكاين، بشكل ما هو تعامل معهم، لديهم عنوانه على الأقل، ولهذا الباب كان غير موصد، مثل باب بيت كييفر، ربما هاكيت كان هنا سابقًا هذا الصباح.

كان هناك قلق في صوت تشانج، أخذ منها ريتشر الروجر، وتفحص عدد الرصاصات، تسعة في الخزنة، إحداها بلا غطاء، هناك رصاصة ناقصة، تشمم الماسورة، لقد تم إطلاق الرصاص مؤخرًا، قالت تشانج: هم لم



يريدوا لنا أن نتحدث مع مكاين، وهكذا أصبحت أمامهم طريقتان لفعل هذا، قتلنا أو قتل مكاين، وقد اختاروا فعل الاثنتين..

تفقد ريتشر نبض هاكيت في عنقه، وشعر بالنبض، بطيء، الرجل لا يزال فاقدًا للوعي.. هل يهم هذا؟ لم يكن ريتشر متأكدًا من الإجابة..

تنهدت تشانج: علينا طلب المساعدة عاجلًا أم لاحقًا.

- هذا الرجل بإمكانه أن يخبرنا بأشياء عدة.

- نحن لا نمتلك الوقت لهذا.

- إذن دعينا نحصل على ما يمكن الحصول عليه.

فتشو جيوب هاكيت وأخذوا بطاقة معدنية خاصة بمفتاح غرفة فندق، وهاتفًا خلويًّا أنيقًا، وثمانية وخمسين سنتًا، ومسدسًا صغير الحجم من طراز هيكلر وكوخ، استلوه من غمده الخلفي، وحافظته التي احتوت على أكثر من مئة دولار، ورخصة قيادة خاصة بكاليفورنيا، وعدد من البطاقات الائتمانية، احتفت تشانج بالهاتف الخلوي، وأخذ ريتشر النقود، من أجل أي مصاريف مستقبلية، والمسدس، لأسباب عدة، مسحا بصماتهما من على كل شيء لمسوه بالشقة، ووضعا الغنائم في جيوبهما.

قالت تشانج: هل نحتاج لأي شيء آخر؟

تلفت ريتشر حوله..



- شيء آخر ربما.

- وهو؟

- بإمكاننا إزالة نظرية الطعام المهجن ونحل والعسر من قائمة نظريات المؤامرة في مقالات ويستوود، انظري حولك، الشقة تعج بمختلف أنواع الإفطار، لبن مصانع، حبوب، ولوائح شيكولاتة، هذا ما يأكله مكاين، هو لا يهتم بما يحدث في جسده، ولذا يتبقى أمامنا مقالة أخرى من القائمة، ما كتبه ويستوود وأثار اهتمام مكاين كانت المقالة عن «الإنترنت» والشبكة الخفية، وهذا أمر منطقي مع وجود كل تلك الحواسب الآلية في الشقة.

- هل تريد أخذ واحد منهم؟

- هل سمعتي ما قالته جارته وهي تغلق بابها؟

- قالت إنها اعتقدت أن بيتر يتولى شؤون حواسبه الآلية بنفسه، هي لم تقتنع بما قلته لها، وتلك كانت طريقتها المؤدبة في إلقاء الوداع.

- لقد اختارت كلماتها بعناية، ودعته ببيتر، لقد كنت أتوقع من سيدة وقور مثلها بأن تدعوه بالسيد مكاين، لا بد أنهم أصدقاء إذن، كما يحدث أحيانًا بين الجيران في مثل عمرهما، وفي تلك الحالة سيتحدثان عن أمور شخصية، لدرجة أن تعلم هي بشأن الحواسب الآلية، ربما أخبرها هو بشأن ما يقلقه لأنه افترض أنها ستتفهم.



- لا يوجد لدينا الوقت لنسألها يا ريتشر من الممكن أن نجد آخرين مثل هاكيت في البناية في أي لحظة.

- أتفق معك، لا يوجد لدينا الوقت لسؤالها، ليس هنا على أية حال؛ ولذا هي شيء إضافي أريد أن آخذه معنا، نصطحبها لتناول القهوة بعيدًا عن هنا، ونسألها هناك..

لم تكن عملية سهلة ولا سريعة -إقناع الجارة- وكان هناك الكثير من التشكك من ناحيتها والمقاومة، قدر هائل من التردد والحيرة، واضطرت تشانج أن تستخدم بطاقة المكتب الفيدرالي، هنا جعلتهما السيدة العجوز ينتظرانها لتجد معطفها رغم أنهما أخبراها أن الجو دافئ بالخارج، أجابتهما بأنها مسألة أصول، وأضافت أنها ليست تقليدية بالمعنى الحرفي، فهي لم تكن لتصر على ارتداء قبعة وقفازات، لكن ليس درجة التخلي عن المعطف.

أتت بعد ذلك مسيرتها الطويلة والبطيئة عبر الأدراج نزولًا لمخرج البناية ووصولًا لسيارة النقل المدني الخاصة بهما، بينما السائق يجلس مرتديًا حلته الرمادية الأنيقة، والسيارة تشع باللون الأسود مع ضوء الشمس، كانت سيارة حكومية، والعجوز قد رأت سيارات كتلك من قبل في النشرات الإخبارية، بعد ذلك أتى بحث ريتشر عن مكان ملائم لاصطحاب العجوز إليه، أماكن عدة من الخيارات رفضها، ثم اختار واحدًا، كان مقهى تقليديًّا من مقاهي شيكاغو، ربما تم تطويره سريًّا وباحترام من قبل حفيد ورث المقهى عن جَده، الجو العام في المقهى كان



مبهجًا، هناك شاشة على الحائط، مقاعد داخلية وخارجية قبعت الأخيرة بالقرب من سيارتهما، بدت جارة مكاين كأنها مطربة من المكان، وتركت تشانج تجذب لها مقعد لتجلس عليه، وجلست الفتاة جوارها، بينما جلس ريتشر قبالتهما، بشكل جانبي وهو يحاول أن يبدو ودودًا للسيدة العجوز قدر الإمكان.

قالت لهما السيدة: إن اسمها اليانور هوبكينز، أرملة، واعتادت العمل كباحثة في الجامعة، مختصة بالأدب، والأدب الإلكتروني(18). وأخبرتهما أن مهنتها علمتها الكثير بشأن التكنولوجيا والتقنيات الحديثة، ثم قالت لهما: إن مكاين قطن في بنايتها لسنوات عديدة، وأصبحا أصدقاء مقربين، وأن آخر مرة رأته فيها كانت من ثلاثة أو أربعة أسابيع، وهذا لا يحدث كثيرًا مع مكاين، فهي لا تخرج كثيرًا، ولقاءاتهما في المعتاد تكون مصادفات عابرة في الردهة، كما أنه يسافر كثيرًا، لأيام عدة، ولم تكن تمتلك أدنى فكرة أين يذهب، ولم تتساءل قط، كانت جارته وليست أخته وعلى أية حال هو رجل غير سعيد في حياته.

كان تلفاز المقهى يعرض أنباءً محلية، كان ريتشر ينظر للأنباء بطرف عينه، طلبت مسز هوبكينز القهوة وكعكة جانبية، وأخبرتها تشانج أنه من الوارد أن يكون مكاين قد أوقع نفسه في مشكلة ما، وسألتها إن كانت تعلم أي شيء عن الموضوع، أجابتها هوبكينز بالنفي.

سألها ريتشر: هل بدا لك كأنه مهووس بأمر ما؟



- متى؟

- مؤخرًا.

- نعم، أستطيع قول هذا.

- لأي مدى من الوقت؟

- آخر ستة أشهر.

بالخارج كانت هناك أصوات سرينة شرطة، ومروحية، ربما على بعد ميل، سأل ريتشر: هل تعلمين حقيقة مشكلة مكاين؟

- كلا، لقد تحدثنا بشكل طفيف عن الأمور الشخصية.

- هل كانت المشكلة متعلقة بابنه؟

- ربما، لم تكن مشكلة واضحة التفاصيل بالنسبة لي.

شاشة التلفاز عرضت حديقة وأشجارًا ومروحية في الأنباء.

فكر ريتشر ثم سألها: هل تعلمين جوهر المشكلة بينه وبين ابنه التي جعلتهما غير مقربين؟

- ليس بالتفصيل.

- هل تعلمين إن كان قد قام بتوظيف محقق خاص؟

- أعلم أنه كان ينتوي اتخاذ خطوات جادة.

- بأي شأن؟



- لا أعلم.

- هل تحدث معك عن أمور تقنية؟ نظرًا لخلفيتك واهتمام بمثل تلك الأمور؟

- نعم، لقد تحدثنا عدة مرات عن التكنولوجيا، ونحن نحتسي القهوة ونتناول الكعك، وفي إحدى تلك المرات، مثل جلستنا تلك، خضنا في مثل تلك الأمور، لقد استمتعنا بالحديث معًا، وأنا ساعدته ليفهم طبيعة تلك الأمور، وهو ساعدني لفهم استخداماتها.

- هل كان هوسه متعلقًا بالتكنولوجيا؟

- كلا، ليس بشكل مباشر، ولكن ببعض الجوانب.

- هل كان متعلقًا بالإنترنت؟

على شاشة التلفاز تم عرض جملة: ضحية إطلاق نار في الحديقة، نظرت مسز هوبكنز للشاشة وقالت: والقاتل شخص كان ينزه كلبه، أعتقد أن هذا ما يحدث في المعتاد في الحدائق..

سألها ريتشر: عن ماذا كان اهتمام مكاين بالإنترنت؟ بأي شأن؟

- كانت هناك جوانب معينة يريد أن يفهمها، كأغلب العامة، كما لو أن الإنترنت مسبح، أو ملعب تنس، كرات التنس مثلت المواقع الإلكترونية الخاصة بأفراد، هذا تشبيه خاطئ بالطبع لأن كرات التنس أشياء ملموسة والمواقع



ليست كذلك، لا يوجد واقع مادي للإنترنت، لا أبعاد، ولا حدود، رغم أننا قد نتجادل في أنه يمتلك محتوى، معلومات رقمية من واحد وصفر وهذا يعني وجود خلايا ذاكرة، مشحونة أو غير مشحونة، والشحن يعني وجود طاقة؛ ولذا لو أحد سيصدق نظرية أينشتاين أن الطاقة والكتلة متكافئتان (17)، وسرعة الضوء، فهذا سيعني أن الطاقة لديها حجم، وكلما حملت أنت أغاني وصورًا أكثر على الإنترنت تزايد هذا الحجم، بنسبة متزايدة قد تكون جزءًا من التريلون، ولكن سيزيد رغمًا عن هذا.

على التلفاز تم عرض أفراد شرطة يقفون في الحديقة وجسد مخفي خلفهم، شريط «لا عبور» الخاص بمسرح الجريمة، وشريط الأخبار لا يزال يقول: ضحية إطلاق النار في الحديقة.

واصل ريتشر أسئلته

- ما الذي أراد مكاين فهمه بالضبط؟

- أراد أن يفهم لماذا لا يمكننا إيجاد بعض المواقع الإلكترونية، وهذا سؤال يخص محركات البحث، تخيل المسبح وهو ممتلئ بمئات كرات التنس؛ ولذا طلبت منه أن يتخيل محرك بحث، وسط كل تلك الكور، في الماء، والآن تخيل أن تلك الكور امتلكت خواطف خاصة بصيد الأسماك، بعضها فحسب، والأخرى أصبحت مثل كرات «البلياردو»، ما الذي سيفعله محرك البحث؟ كان



سينحي كرات «البلياردو» تمامًا، هذا ما احتاج بيتر فهمه بخصوص محركات البحث، هو شارع من اتجاهين ذو منفعة متبادلة، الموقع بحاجة أن يتم إيجاده؛ ولذا عليه تطوير خطافات الصيد، التي سيتعلق بها محرك البحث، الناس يدعون هذا بخصائص البحث، إنه نظام مهم الآن، من الصعب أن تكون كرة بلياردو، تبقى وسط كرات التنس دون أن يكتشف أحد الفارق، تبقى خفيًّا، تلك هي المواقع التي لا يجدها أحد.

قالت تشانج: المواقع الخفية غير قانونية.

- بالفعل، وغير أخلاقية كذلك على ما افترض، أنا ساذجة بشأن تلك الأمور، ولكن المرء يتخيل أمورًا فظيعة في مثل تلك المواقع، يدعونها بالشبكة العميقة، كناية عن الشبكة الخفية، كرات البلياردو المختفية، الملايين منهم، لا خواطف، ولا شيء يمكن لمحرك البحث أن يكتشفه، وتستمر تلك المواقع دون أن يكتشفها أحد، الشبكة الخفية قد تكون أكبر عشر مرات من الشبكة الظاهرة أو الشبكة التي على السطح كما يدعونها، ربما أكبر بمئات المرات كذلك، لا أحد يعلم، وكيف يتسنى لهم أن يعلموا؟ لا تخلطوا الأمر بالشبكة السوداء، الشبكة السوداء ليست إلا مواقع منتهية الصلاحية بروابط لا تعمل، وهذا يجعل الشبكة السوداء أشبه بشيء أثري قديم، والشبكة الخفية أشبه بالجانب الخاطئ الذي لا يجب لأحد الذهاب إليه، في النهاية ولا واحدة مهمة سوداء أو عميقة حقًّا؛ لأن



- كما قلت سابقًا- الإنترنت ليس بكيان مادي وبالتالي فالصفات المادية لا تنطبق عليها.

عرضت شاشة التلفاز سيارة إسعاف تسير ببطء فوق الحقل الأخضر بأضواء ساطعة، يتبعها ما بدا أنها سيارة مشرحة، تجمع القوم حول مسرح الجريمة ووقفت الشرطة بالداخل.

سألت تشانج: كيف يمكن لشخص اكتشاف أسرار الشبكة الخفية؟

- لا يستطيع أحد فعل هذا، ليس من جانبنا، على أية حال، لن تستطيعي استخدام محرك بحث، أنت بحاجة لعنوان رابط محدد لموقع يخص الشبكة الخفية، وليس شيء مثل «مقهى قهوة.كوم»، ولكن سيكون مثل «مقهى قهوة ١٢٣ءابت.كوم» أو شيئًا أسوأ بكثير، طبعًا في الواقع سيكون هناك مصدر فريد من نوعه بكلمة سر شديدة التعقيد، وهكذا، الأمر ليس بسيطًا على الإطلاق، عنوان موقع كهذا سيضم الألف المتابعين ليكونوا مجتمعًا كاملًا.

على شاشة التلفاز ظهرت سيارة من طراز «كراون فيك» وخرج منها رجلان يرتديان قميصًا وسترة وربطة عنق، محققان في الأغلب، وتغير شريط الأخبار لـ «جريمة قتل في منتزه لينكولن»، وسمع ريتشر صوت مروحيات شرطة تحلق بالقرب منهم متأخرين على الحفلة في المنتزه.



سألها: هل أخبرك مكاين أي نوع من مواقع الشبكة الخفية كان يبحث عنه؟

- كلا.

على الشاشة، كان القوم منكبين فوق شيء، محققون ورجال الرعاية الصحية، افترض ريتشر، فهو يعرف تلك الإجراءات جيدًا، لقد مر بهذا الموقف في التلفاز كثيرًا، لا يوجد مسعفون، وإجراءات إسعافات أولية، ومحاولات إنعاش، وقوم يصيحون، ولهفة، وكل هذا، لا شيء، الضحية قد ماتت.

جريمة قتل في منتزة لينكولن

قالت السيدة العجوز: هذا بيتر أليس كذلك؟ في نشرة الأخبار؟ لأي سبب آخر ستسألوني عنه؟ لماذا سيهتم مكتب التحقيقات الفيدرالي بي فجأة لو لم يكن لهذا السبب؟

لم تجبها تشانج والتزم ريتشر الصمت؛ لأن أثناء حديث السيدة العجوز تغيرت شاشة التلفاز لتعرض بيتًا، في شارع غير مميز، بناية بيتر مكاين والسيدة العجوز، حيثما كانوا منذ وهلة، المنطقة كانت مألوفة، تعرفوا عليها بسهولة، وسطعت الأضواء بينما رجال الشرطة يدخلون البناية، بشكل سريع للغاية لكي يجدوا الرابط بين في الجثة في حديقة المنتزه وعنوانها، رجال الشرطة في المنتزه لم يتفحصوا جيوب الضحية بعد، لم يجدوا حافظة، ولم يتفحصوا رخصة



القيادة، لم يعلموا هوية الضحية، ومكان معيشته، هم لا يزالوان ينتظرون جملة: ميت من رجال الإسعاف، ريتشر يعرف تلك الإجراءات جيدًا، لا بد أن يتم إعلان الموت بشكل طبي أولًا، قبل أن تتحول الجثة لدليل، لم يجدوا الرابط، هذا تحقيق مستقل، رجال الشرطة في البناية لسبب آخر، وبالفعل تغير شريط الأخبار لـ: «شرطة مكافحة الإرهاب تقتحم بناية سكنية في شيكاغو».

نظر ريتشر للسيدة العجوز وسألها: هل اتصلت بالشرطة؟

أجابته: نعم.

- متى؟

- فور إغلاقي لباب شقتي.

- لماذا؟

- لم أرتح لمنظركما، مثيران للشبهات.

- كلانا؟

- كلا، أنت بالأخص، لم تبدُ لي كما تقول، لست كمحقق فيدرالي كما يعرضونهم في المسلسلات.

- لقد كنت متخفيًا، أتظاهر بأني شرير.

- لقد كنت مقنعًا.

- إذن أنت اتصلتِ بالشرطة، بم أخبرتيهم؟

- إن هناك إرهابيين مسلحين في بنايتي.



- لماذا فعلتِ هذا؟

- تلك هي شيكاغو، تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على رد فعل في مدة أقل من أربع ساعات.

قالت تشانج: علينا الرحيل..

- كلا لننتظر خمس دقائق لن يُحدث هذا ضررًا.

قالها ريتشر وطلب مزيدًا من القهوة، وطلبت السيدة كعكة أخرى، فطلب ريتشر وتشانج أيضًا، وانقسمت شاشة التلفاز لقسمين، المنتزه على اليسار، والمنزل على اليمين، وشريط الأخبار يقول: «جريمة قتل في حديقة لينكولن، وتحذير من هجوم إرهابي»،

قدح القهوة الثاني كان بنفس جودة الأول، وكذلك الكعكة، في الحديقة وضعوا الجثة في حقيبة الجثث السوداء، بينما وصلت سيارة إسعاف للبناية، تم نقل الجثة لسيارة المشرحة، بينما خرج المسعفون من السيارة ودلفوا لبناية مكاين، بعد وهلة خرجوا برجل جريح فوق محفة، هاكيت، بالرغم من أن ريتشر لم يتبين ملامحه في التلفاز، كما أنهم لفوا وجهه بالشاش والضمادات، كمومياء مصرية وهناك ملاءة تخفي ملابسه.

وبحركة بطيئة كما يحدث في الأفلام تحركت سيارات الشرطة من المنتزه، وبعد أربع دقائق وصلوا للبناية، بالسيارات نفسها، وعادت الشاشة لوضعها الطبيعي، لتظهر



ما يحدث، خرج المحققون أنفسهم من السيارة بربطة العنق والسترة، ودخلوا البناية، خرجوا بعد دقيقة وهم يتحدثون بسرعة عبر هواتفهم الخلوية.

وتغير شريط الأخبار لـ: «المصادر تقول: إن القضيتين مرتبطان ببعضهما البعض»».

قال ريتشر: سيدتي، أنا آسف لخسارتك، آسف جدًّا، لمعاناتك، شرطة شيكاغو سترغب في طرح بعض الأسئلة عليك، ولن يكون الأمر كالمسلسلات التلفزيونية، المباحث الفيدرالية لن تأتي وتحقق في القضية؛ لذا سنقدر لو لم تخبيرهم -الشرطة- بحديثنا، هناك حساسية بين الشرطة والمكتب الفيدرالي، وسنقدر أيضًا لو لم تخبريهم بشأن وجودنا في البيت، هم ليسوا بحاجة لمعرفة تلك المعلومات.

- هل تطلب مني أن أكذب على الشرطة؟

- سأكذب أنا عليهم لو سألوني من الذي قدم البلاغ الكاذب بشأن الإرهاب.

- حسنًا، صفقة عادلة.

قالت العجوز وصمتت فسألها ريتشر: أحقًا ليس لديك فكرة عن كنه مشكلة مكاين؟

- لقد قلت لك: إني جارته ولست أخته، ربما عليكم سؤالها هي.



- من؟ أخته؟

وأضافت تشانج بتعجب: لديه أخت؟

- نعم، لقد أخبرتكم من قبل.

- اعتقدت أنك تستخدمين تشبيهًا ليس أكثر.

- كلا، هي حقيقية، هم مقربون للغاية، وهي التي تعلم أسرار مكاين.



الفصل السابع والثلاثون

أرسلوا مسز هوبكنز في السيارة الخاصة وأخبروا السائق أن تلك آخر رحلة له في اليوم، وأن بإمكانه العودة للمنزل، أو للمرآب، أو أينما أراد، فبدا الابتهاج على السائق، رغم أن ريتشر توقع أن آخر مهمة له مع السيدة العجوز لن تكون الأفضل؛ لأن بعد عدد من الأزقة سيظل عرضة لنقاط التفتيش وحواجز الشرطة التي ستغلق الشارع، ولو وفرت لهم مسز هوبكنز دليلًا على أنها قاطنة في البناية سيسمحون لها بعبور الحاجز الأمني، سيرًا على الأقدام أو في سيارة تخص الشرطة؛ وَفْقًا لمقدار رغبتهم في الحديث مع الجارة، في كل الأحوال سينتهي بها المطاف آمنة، وتشرب القهوة وتتحدث بلطف مع الشرطة.

أخرجت تشانج هاتفها الخلوي وأعادته للعمل، لن يتعقبهما هاكيت الآن، بشكل مؤقت على الأقل، وهم بحاجة لاستخدام الخرائط الإلكترونية، وصور القمر الصناعي، واستطلاع قوائم الرحلات، ومحركات البحث، مسز هوبكنز أخبرتهما أن اسم أخت مكاين هو «ليديا لاير»، هي تصغره بعدة أعوام، متزوجة من طبيب، ونزحت مؤخرًا لمنطقة سكنية فاخرة بالقرب من «فينكس» في «أريزونا»، زوجها كان ثريًا، لكن مكاين لم يرد من أخته سوى وقتها واستماعها له، وجدت تشانج بطاقة معايدة كانت مسز هوبكنز تنوي إرسالها لليديا وعلى تلك البطاقة استقر عنوان الأخيرة، لكن لم يكن هناك



رقم هاتف، بحثت تشانج عبر الشبكة الإلكترونية ووجدت عيادة الزوج بتفاصيلها، واتصلت بها لكن موظف الاستقبال الطبي رفض إعطاءها رقم الزوج، وقاعدة بيانات سجلات الهاتف لم تحمل رقمًا مدونًا له كذلك، ولا الزوجة أيضًا، استخدمت تشانج «جوجل» في البحث بعد ذلك، ولم يأتها بشيء مفيد، ما عدا صورة واحدة لثنائي متزوج في حفلة خيرية، وقد كتب أسفل الصورة: الطبيب إيفان لاير وحرمه، المؤسسة الخيرية كانت ترعى أمراض الكلى، الزوج كان يرتدي ربطة عنق سوداء، وارتدت الزوجة فستان سهرة، بدت لهم كامرأة في صحة جيدة، ترتدي اللآلئ، أسنانها بيضاء للغاية، فكرا بعدها وحسبا مسافة وصولهما ليفنكس، وحصولهما على تذاكر طيران ببطاقة تشانج الذهبية، هل سيحدث هذا ويصلان إليها قبل أن تخبرها الشرطة بمقتل أخيها أم لا، هذا لو أخبرتها الشرطة، هي ليست الشخص ذا الصلة الخاصة بمكاين على كل حال، هناك ابنه، وسيكون هو محض تركيزهم الأساسي، وبعدما يخبرونه سيتصل هو بعمته لنقل الأخبار السيئة، سترى الشرطة أن مسؤوليته هي إبلاغ الأقارب، وربما يتصل هو حسبما تشاء الظروف.

ومع تلك الفرضية فربما تتأخر أخبار وفاة أخيها في الوصول إليها، ويصلان هم «فينكس» قبلها.

وهذا كان أمرًا لا بأس به، في كلتا الحالتين، الأخبار السيئة ستظل سيئة، طالما لن يسعفها الوقت لتأخذ هي



طائرة بدورها وتسافر لشيكاغو، لتتولى مسؤولية دفن مكاين، عليها تخطي الأخبار قبل فعل هذا، وتتلقى المواساة من المقربين إليها.

أفضل خيار للطيران لم يكن تابعًا لاشتراك تشانج، بشركة طيران لا تحمل هي بطاقة ذهبية لها، لكنه كان خيارًا سريعًا ومرضيًا، وأعطاهما الوقت الكافي ليتخلصا من السلاح المعدني ويحضرا حقيبة تشانج، كما أنهما تفحصا هاتف هاكيت، كل المكالمات الواردة في سجل الهاتف كانت تعود لرقم واحد برمز منطقة ٤٨٠، تفقدت تشانج الرقم على حاسبها المتنقل، قالت: هذا هاتف خلوي في فينكس، أريزونا، حيثما نحن ذاهبان..

أجرت مكالمة سريعة ومكلفة مع رجلها في شركة الهاتف الذي أخبرها أن رقمًا يخص هاتفًا ثانويًّا غير مسجل تم ابتياعه من متجر بالقرب من «وولمارت» المحلي في أريزونا منذ أسبوع، تم الدفع نقدًا، وهذا يدعم نظرية ريتشر في استخدام تلك الهواتف لتجنب تقفي الأثر.

قال لها ريتشر: سيتخلص من هذا الهاتف قريبًا ويبتاع آخر.

- بمجرد ألا يتصل به هاكيت في الموعد المحدد، أو عندما يطالع الأنباء ويعرف ما الذي حدث.

- إذن علينا الاتصال به أولًا.

- وماذا نقول؟



- أي شيء يربكه.

- أنت تريد استفزازه.

- هذا لن يضرنا في شيء، البشر يرتكبون الأخطاء وهم غاضبون.

- حسنًا، لنجرب.

أمسك ريتشر بهاتف هاكيت واتصل بالرقم عبر الزر الأخضر الخاص بالاتصال، أتاه رد بعد وهلة.

- نعم؟

كان صوت يخص رجلًا، صوت قادم من عنق غليظ وصدر عريض، أنفاس متسارعة ونبرة حماس بالصوت، وتوقع، الرجل يمتلك خاصية التعرف على المتصل، وأراد معرفة أخبار هاكيت، أراد سماع نبأ مقتلهما باستماتة، هذا كان واضحًا للغاية لريتشر، وبعد ذلك تبدأ الاحتفالات.

- هذا ليس هاكيت.

توقف صاحب الصوت للحظة قبل أن يقول: فهمت.

- هذا هو جاك ريتشر.

لا رد

- لقد تمكن هاكيت من مكاين، لكنه لم يتمكن منا، في الحقيقة نحن الذين تمكنا منه، لقد كان جيدًا، ولكن ليس بما فيه الكفاية.



سأل صاحب الصوت: أين هاكيت الآن؟

لكنته كانت من شرق أوروبا، رجل كبير، إنه يبدو شاحبًا..

أجاب ريتشر بهدوء: هاكيت في المستشفى، وأعتقد أن الشرطة وضعت الأصفاد في يديه؛ لأن الشرطة هي التي وجدته ونقلته للأطباء، وجدته في شقة مكاين بشيكاغو كما تعلم، لقد أخذنا هاتفه ولكننا تركنا معه المسدس الذي استخدمه لقتل مكاين، وهكذا وجدت الشرطة رجلًا مسلحًا فاقد الوعي في شقة تحوم حولها شبهات إرهابية، أعلم أن لديهم معلومات خاطئة بشأن الجزء الإرهابي، ولكن هل يهم هذا حقًّا؟ سوف يستجوبونه بصلابة، سيخبرونه أنهم سينقلونه لمعتقل جوانتانامو، حيث التعذيب وخلافه، سيكون يائسًا ومستعدًا لعقد أي صفقة معهم، لن يخاف منك ومن عواقب الوشاية بك؛ لأن الحكومة ستفعل به ما هو أسوأ؛ ولذا عليك القلق بهذا الصدد، كما أن عليك القلق بشأننا أيضًا، أنت قد بدأت حرب، وتلك كانت خطوة خرقاء؛ لأنك ستخسر، ولن تخسر بشكل متحضر، سننهال عليك كالإعصار الجامح لدرجة أن أطفالك سيأتون لهذا العالم مصابين بالدوار!

- أتعتقد هذا حقًّا؟

- لقد هزمنا هاكيت بالفعل وبسهولة، هل كان هو أفضل من تمتلك؟ أتمنى ألا يكون هذا الأمر من أجلك؛



لأنك التالي على قائمتنا، نحن نعرف اسمك، ونعرف أين تقطن، ونحن في طريقنا إليك، لقد حان وقت الخوف.

سمع ريتشر صوت نفس عميق من الجهة الأخرى، كما لو أنه يهم بالرد، بكلمات عدة، ولكنه لم يقل شيئًا، أنهى المكالمة فحسب، ولم يسمع ريتشر سوى الصمت، تخيل الرجل وهو يتخلص من شريحة الهاتف ويهشمها، قبل أن يرميها في سلة المهملات.

سألته تشانج: من هو؟

- هو لم يتحدث كثيرًا، تسع كلمات فحسب، بدا لي أنه رجل ضخم وثقيل، روسي، ذكي ومن النوع المتحدث.

- روسي؟

- أو من تلك الأنحاء، جورجيا، أو أوكرانيا.

- وكيف يكون من النوع المتحدث رغم أنه تفوه بتسع كلمات فحسب؟

- لقد أخبرته أني لست بهاكيت فقال «فهمت»، بطريقة هادئة، أو قالها ليبدو أنه هادئ، هذا رجل يفهم جيدًا تأثير الكلمات، ومعانيها المختلفة.

- هل نعرف حقًّا اسمه ومكان معيشته؟

- ربما كنت أبالغ قليلًا من أجل إحداث تأثير، أصطنع الأمر حتى تحققه حقًّا، لأننا سنعرف اسمه ومكان معيشته عاجلًا أم آجلًا، ربما رجلك في شركة الهاتف سيحدد



موقعه من أجلنا.

- وهل حصولنا على تلك المعلومات سوف يتسبب بأذى جسدي أو إعاقة له؟

- هذا هو الهدف مما نفعله.

- إذن رجل شركة الهاتف لن يخبرنا بشيء، ذلك اتفاقي معه، لا أذى ينجم عما يخبرني به.

- وهل علينا إخباره بدوافعنا؟

- لو لم نفعل سوف يستنتج هو بنفسه بعدما نصل للرجل، وعندئذ سيعمل من أجل شخص آخر ويلغي صفقته معي، لا أستطيع المخاطرة بحدوث أمر كهذا.

- حتى لو كانت المخاطرة من أجل كييفر؟

- كييفر كان سيتفهم، وكذلك أنت، الاتفاق هو الاتفاق.

- حسنًا، علينا استنباط مكان معيشته وهويته بطريقة أخرى إذن، بعدما نتحدث مع أخت مكاين، ربما معلوماتها تساعدنا بهذا الشأن، يتوقف على قدر ما تعرفه هي، وقيمة تلك المعلومات..

- الأمر لم يعد شأنًا تافهًا يخص حقول قمح، هاكيت من كاليفرونيا، ولديه حلفاء في اليناوز، ورئيسه من أريزونا، تلك منظمة متشعبة، سيراقبون المطار، أنت أخبرتهم أننا قادمان.



- لقد أخبرتهم لهذا الهدف، حينئذ سوف نستطيع إيجادهم.

- إنها مخاطرة.

- كل ما نفعله مخاطرة، استقلالنا للطائرة مخاطرة بحد ذاته، وحسب نظريات المؤامرة العديدة التي طالعناها مؤخرًا، فالخطر قد يأتيها من طاقة الهواتف الخلوية الخاصة بالركاب..

أقلعت الطائرة بأمان، تحركت بنعومة وحلقت بهما مبتعدة دون نظريات مؤامرة، مثلها مثل أي طائرة أخرى في أكثر مطارات الولايات المتحدة ازدحامًا، كان ريتشر واثقًا من أن أحدًا لم يتبعهما، ولكن تم تسجيل اسميهما في سجلات الرحلة؛ ولذا موعد وصولهما من السهل التوصل إليه بعدة مصادر، فكر ريتشر: خطط من أجل الأسوأ وتمنى للأفضل أن يحدث..

جلسا متجاورين، في منتصف الطائرة وليس بالقرب من المخرج كما حدث سابقًا، جلس ريتشر جوار النافذة وتشانج في الممر، تطوعًا، وبجانبها على الجهة الأخرى جلست امرأة تضع سماعات أذن.

قال ريتشر لتشانج: لقد كنت أفكر في أولاد العم، عائلة موهينيان، سواء أكانوا أولاد عم أم إخوة، أيًّا ما كان الأمر..



- ماذا عنهم؟

- لقد كان هناك اثنان منهم، وقد كانوا أقل صعوبة بمئات المرات من هاكيت الذي كان نسيج وحده.

- كيف تشعر؟

- لقد تعرضت للضرب من هاكيت ثلاث مرات، وهذا مقصدي، لم أتعرض للضرب مطلقًا من أولاد العم، أنا أتفق مع نظريتك، عن المنظمة المتشعبة، هاكيت في كاليفورنيا، والذين أمدوه بالسلاح في شيكاغو، اليانوز، ورئيسه في أريزونا، لكني لا أعرف كيف يتسنى لـ«استراحة الأم» أن تكون جزءًا من تلك المنظمة، أولاد العم كانوا أقل مهارة واحترافية من هاكيت، ولا أعتقد أنهم درجة أدنى في المنظمة كذلك.

- إذن ما تفسيرك؟

- من المحتمل أن يكونوا عملاء، مكاين وظف كييفر، وربما «استراحة الأم» أجرت شخصًا آخر كذلك، ربما هذا ما يحدث الآن، الأشرار يعرضون خدماتهم لأشرار آخرين، إنه مجتمع رأسمالي قائم على شراء الخدمات على أية حال.

- إذن الأخت ستكون في خطر، نظريًا، لأن المنظمات ستتصرف مثل المنظمات، أعني، سيهتمون بكل التفاصيل، هل تعلم «استراحة الأم» أن مكاين تحدث مع أخته؟ ولو هم يعرفون، فهي من ضمن التفاصيل التي



سيهتمون بها، مثلنا، وبإمكاننا أن نلتقي، والمنظمات لن تحب التقاء التفاصيل الفرعية التي قد تشكل خطرًا ما، احمِ نفسك واقضِ على التفاصيل الفرعية، هذا هو شعار المنظمات.

لم يقل ريتشر شيئًا فسألته تشانج بتوجس: ماذا؟

- أريد إخبارك أن الأخت بخير، لا بد أن تكون بخير، هذا ما يقوله المنطق، أعني أن كييفر كان هناك لبضعة أيام فحسب، والآن نحن نتساءل هل يعرف أحد عنوان أخت عميل كييفر؟ الاحتمالات ضد نظرية كونها في خطر.

- ولكن؟

- عندما تكونين في طائرة تشعرين بالعجز وتفكرين باحتمالات أخرى لا منطقية.

مطار فينكس حمل اسم رسمي وهو «مطار سكاي هاربور الدولي»(16).

وقد كان حقًّا ميناءً آمنًا، أجهزة كشف عن المعادن متطورة ومختلفة عن المطارات السابقة، وإجراءات أمنية أكثر صرامة، ترجل ريتشر من الطائرة ومعه تشانج وذهبا للمخرج، جلسا بعدها في مقهى، وانتظرا، لحين رحيل آخر راكب من شيكاغو في حافلة، ينتظران ليريا إن كان هناك من يتتبعهما، تحركا بعدها ببطء يتفحصان المتاجر والمحلات، ينظران للزجاج حيث المعروضات،



ويراقبان الخلفية باحثين عن شخص يتحدث في هاتفه وينظر إليهما أو أحد يتعرف عليهما، لكنهما لم يريا شيئًا، القوم في المطار كانوا في حالة استرخاء، توقفا عند رصيف الخروج الكبير، وذهبا لصف آخر من المتاجر، تفحصا الملابس والمجوهرات والأحذية، ووصلت الطائرة التالية، وخرج عدد غفير من الركاب، مئات، من مينوسوتا، بمئات الحقائب، تابعهم ريتشر بعينيه، قبل أن يذهب هو وتشانج ويختفيا وسط الزحام، ذهبا بعدها لساحة سيارات الأجرة، لا أحد ينظر إليهما أو ينظر بعيدًا عنهما متعمدًا، لا أحد يوليهما انتباهًا.

استقلا سيارة أجرة لمجمع استئجار السيارات الخاصة، دون أن يتتبعهما أحد، لم يحمل ريتشر رخصة قيادة؛ ولذا أجرت تشانج سيارة شيفروليه بيضاء برخصتها، احتوت السيارة على جهاز خرائط إلكترونية، انتظرا لحين انتهاء أوراق التعاقد، ورحلا، لا سيارة تتحرك خلفهما، لا أحد يراقبهما من بعيد.

قادا باتجاهات متعرجة وعشوائية لمدة عشر دقائق من باب التضليل، وبعدها فعلا جهاز الخرائط الإلكترونية، ذاهبين لعنوان الطبيب زوج الأخت، واستمعا للأخبار عبر المذياع، لا شيء يخص شيكاغو، من الواضح أن فينكس تمتلك ما يكفي من الأخبار السيئة، قادتهما الخريطة للشمال، ومن هناك إلى سكوتسدايل، ثم لمنطقة سكنية فاخرة، وأخرى بعدها، وأخيرًا للعنوان.



بدا العنوان منزلًا كبيرًا محاطًا بسياج وبوابة دخول، البوابة مصممة بديكور مميز، سقف مستقيم وحاجز أحمر قادم من اليمين، حاجز أحمر آخر من اليسار، كعصفور بدين بجناحين نحيفين.

مجتمع بسياج وبوابة، فكر ريتشر، هم أغنياء، يدفعون الضرائب، ويذهبون للحفلات الخيرية، ومأمور المنطقة يعاملهم بلطف زائد.

انتظرا في مكانهما حيث أوقفا السيارة على بعد مئة متر من البوابة، إنها الثالثة مساءً، الخامسة بتوقيت شيكاغو، نظر ريتشر أمامه ليرى حارسًا خلف الزجاج، فقال: كان علينا توقع هذا.

- لو سمعت هي أنباء مقتل أخيها فلا فرصة لنا في الدخول.

- استخدمي بطاقة المكتب الفيدرالي مع الحارس.

- إنها ليست بمستند حقيقي وأنت تعلم هذا.

- إنه شرطي مأجور، حارس أمن فحسب.

- إنه بشر ولديه حَدْس، هذا هو كل ما يتطلبه الأمر لاكتشاف أنها بطاقة غير فعالة.

- لقد انبهرت السيدة هوبكينز بتلك البطاقة.

- جيل مختلف، غريزة مختلفة، وتفكير مختلف عن الحكومة.



لم يقل ريتشر شيئًا فسألته تشانج: هل أنت بخير؟

- رأسي يؤلمني.

- ما الذي تريد أن تفعله؟

- لنحاول الدخول.

- حسنًا ولكن في حالة حدوث أي مشاكل ننسحب ببطء دون عراك، الأخت ورقة رابحة لا نريد حرقها

قادت تشانج السيارة وتوقفت أمام الحاجز الأحمر، وأنزلت زجاج نافذتها، أعادت شعرها للخلف وأدارت رأسها متبسمة صوب الحارس.

- نحن هنا لمقابلة د. لاير وحرمه.

الحارس كان أبيض اللون، يرتدي زيًّا رسميًّا، قميصًا أزرقَ مشمرَ الساعدين، ذراعين نحيفتين، ضغط زر أحمر أمامه وقال: أتمنى لكم قضاء أمسية سعيدة.

انفتحت البوابة بعد أن صعد الحاجز لأعلى وقادت تشانج السيارة، أغلقت زجاج النافذة قائلة: لن أدفع مالًا مقابل خدمة أمنية كتلك.

- المنطقة لطيفة على أية حال.

وقد كانت منطقة لطيفة بالفعل، لم يكن هناك فناءات، لا شيء بحاجة لمياه ري، هناك ممرات من الرخام والأحجار، أشجار صناعية، وورود حمراء، أرض مسطحة،



والمنازل تقع في أماكن مختلفة عن بعضها البعض، مجمع سكني لطيف بالفعل، وكأن المنازل تقف بشكل مختلف لتنظر لحادثة قد حدثت للتو.

- من المفترض أن نجد غايتنا على اليسار في نهاية الشارع بعد ربع ميل.

وقد كان هذا المكان مجمع سيارات عدة من أنواع وألوان مختلفة، سيارات باهظة الثمن، ثلاثة أمام المدخل وثلاثة بالخارج، توجد مساحات ضيقة بينها، ربما ثلاثون سيارة، راكنة أمام بيت أخت مكاين، ولهذا ارتفع الحاجز الأمني بسلاسة أمامهم، دون أسئلة؛ بسبب رسالة تلقاها الحارس من آل لاير، هناك حفلة بالبيت، ضيوف قادمون، ربما حفلة كوكتيل، حفلة مسبح، أيّ نوع كان نوع هذه الحفلة التي ستجذب ثلاثين سيارة إليها في الثالثة من عصر يوم حار؟!

أمامهم عمود معدني يحمل صندوق بريد كُتب عليه: خاص بآل لاير.

ركنت تشانج السيارة في آخر بقعة شاغرة بالمكان، وخرجت هي وريتشر ونظرا خلفهما، المنزل كان جميلًا، واسعًا، واثقًا من نفسه، سقف سكني به غرف، المنزل نفسه من طابق واحد، متباهٍ بما فيه الكفاية ليجعلك تصفر وأنت تنظر إليه وتفكر بالثراء والذوق الجيد، لكنه ليس متباهيًا لدرجة الثراء الفاحش، أيًا كان الذي يحدث في



البيت فهو يحدث في الباحة الخلفية، والتي لم تكن ظاهرة لهما، هناك حائط عالٍ يخفيها، مصمم بأناقة هندسية، ويبدو كأنه جزء من البيت، الانبعاج نفسه واللون ذاته، الباحة الأمامية مفتوحة الباب، ولكن الخلفية خاصة، مغلقة، غير ظاهرة، خيل لريتشر أنه يسمع صوت مسبح، صوت ارتطام ماء على الأقل، وهذا أمر منطقي، في طقس حار وساعة كتلك بالتأكيد ستكون حفلة مسبح، سيأتي الضيوف ليسبحوا، وستعج الثلاجة وغرفة الضيوف بالثلج، قالت تشانج: ذات مرة قمنا ببحث يخص السيارات باهظة الثمن في المكتب الفيدرالي، لقد كنت باحثة ومحللة مثل السيدة هوبكينز بشكل ما، البحث كان عن العلاقة الطردية بين ثمن السيارات المركونة واحتمالية وجود صفقة مشبوهة تجري في الداخل.

- أتعتقدين أن هناك صفقة مشبوهة بالداخل؟

- كلا، أنا أخبرك فحسب، وفق خبرتي فإن السيارات باهظة الثمن تعني وجود ضيوف مهمين، ليست سيارات أناس فحسب، هناك متزوجون، ورجال قادمون من العمل.. إلخ إلخ.

اقترب كلاهما من البوابة الخلفية للباحة بالقرب من المرآب، والتي كانت واسعة بما فيه الكفاية لتمرر سيارتين، في الأغلب مصممة بواسطة مهندس يعرف جيدًا ما يريده العملاء، ويقف على كل احتياجاتهم، كانت البوابة مواربة، ورأيا لمحات من ناس خلفها، متجمهرين سويًّا،



اقتربت امرأة من البوابة، ثم خرجت منها وهي تحمل حقيبة ومتجهة لسيارتها، تلك ليست أخت مكاين، ربما صديقة أو جارة لها، ربما منظمة حفلات، كانت تسير مسرعة، ثم توقفت وابتسمت لهما.

- مرحبًا، من اللطيف جدًّا حضوركما، تفضلا بالدخول.

قالتها وهي متجهة لسيارتها..



الفصل الثامن والثلاثون

سار الاثنان في الممر الممتلئ بالديكورات، وسط أضواء صناعية، وعبرا البوابة، وصولًا للباحة الخلفية، أمامهما استقر مشهد مرسوم بشكل مبهر للصحراء، بخشب متين وأكواخ تلقي الظلال، أواني ورد ضخمة تشع في المكان، ومسبح مصمم بحواف غامقة متعرجة، كأنه بحيرة طبيعية، تحيط به الصخور، وهناك شلال صغير في بدايته، أثاث مريح مصمم للاسترخاء، وغرفة جاكوزي، زيوت مريحة للجسد، وكريمات للوقاية من الشمس، مناضدة فاخرة للعَشاء المفتوح.

رأوا قرابة الأربعين فردًا، رجالًا ونساءً، بعضهم يافعون، آخرون أكبر سنًّا، يرتدون ملابس ناصعة البياض، بعضهم يرتدي ملابس السباحة، ومبللون، وآخرون لا يزالون في المسبح، يتحدثون ويسبحون ويمرحون، وعلى مقعد أمام منضدة أسفل مظلة جلست امرأة شابة في بداية الثلاثينيات، ببشرة ذهبية وقميص قصير مفتوح فوق رداء السباحة المكون من قطعتين ارتدته وهي تجلس مسترخية في حمام الشمس الخاص بها، تبتسم بهدوء واستمتاع، وهي تعلم أنها محل انتباه الجميع، ربما لهذا كانت تبتسم بتلك الطريقة الواثقة، جوارها رجل بشعر رمادي يرتدي قميصَ «هاواي»، وعلى الجانب الآخر امرأة سوداء الشعر بعينين واسعتين وابتسامة عريضة، ترتدي تنورة بلون أبيض مائل للرمادي، التناغم بين الثلاث أوضح أنها ابنتهما وهما



والداها، الصورة القديمة التي رأياها على «جوجل» أكدت لهما أن والدي الفتاة هما د إيفان.لاير وزوجته.

أشار ريتشر لمنضدة طويلة محملة بالهدايا المغلفة تقع بالقرب من منزل، وقال لتشانج: انظري إلى هذا.

رفعت تشانج حاجبيها قبل أن تقول: هذا حفل زفاف.

- يبدو كهذا، حفل زفاف ابنتهما في الأغلب، تلك الفتاة، هي ابنة أخت مكاين.

تحركت أخت مكاين بعد تبادل ضحكة ومزاح بيدها مع ابنتها، تنقلت من جمع ضيوف لآخر، تتحدث مع هذا وتنحني لهذا، محافظة على ابتسامتها، تقبل وتحضتن هذه وتلك.

قالت تشانج: لا يبدو أن الأخبار من شيكاغو قد وصلت إليها.

لم يقُل ريتشر شيئًا

واصلت أخت مكاين تنقلاتها، ثم رأت ريتشر وتشانج يقفان وحدهما، غير مندمجين في الحفل، وبعدم ارتياح، بالقرب من البوابة، ملابسهما تختلف عن الجميع من حيث الجودة، ويرتديان الكثير من الملابس من حيث الكمية، غير معلومين بالنسبة لها، ولا تفسير لوجودهما، غيرت من مسارها وسارت نحوهما، وهي لا تزال مبتسمة، كوجه مضيفة سعيدة للغاية.



همست تشانج: لا نستطيع إخبارها، ليس الآن.

وقفت المرأة أمامهما ومدت يدها مصافحة لهما وهي تقول: أنا ليديا لاير، هل تقابلنا من قبل؟

كانت تبدو كصورتها التي رأياها على الشبكة الإلكترونية في الحفل الخيري، تبدو كأنها ملايين من الدولارات، هزت تشانج رأسها وعرفت ليديا باسمها، وكذلك فعل ريتشر، قالت لهم ليديا: سوف أسألكما السؤال نفسه الذي أسأله للجميع هنا طيلة اليوم، هل تعرفان ابنتي من المدرسة أم من العمل؟ لن يحدث هذا فارقًا بالطبع إنها حفلة واحدة كبيرة، لكني فضولية.

قال لها ريتشر: سيدتي، نحن هنا لأمر مختلف تمامًا، ربما علينا العودة لاحقًا، لا نريد إفساد الزفاف، قد يجلب هذا سبع سنين من سوء الحظ (15).

ردت ليديا عليه مبتسمة: أعتقد أنك تتحدث عن كسر المرايات، كما أن هذا ليس بحفل زفاف، ليس بعد على أية حال، هذا حفل قبل.. قبل.. قبل الزفاف، احتفالية إفطار صغيرة تخص ضيوف العروسة فحسب، لكي يتعرفوا ويندمجوا مع بعضهم البعض، ويتمتعوا بطاقة جيدة قبل الحدث الرئيسي في العطلة الأسبوعية القادمة، ابنتي أكدت لي أن الجميع يفعل هذا الآن، لكنكم تعرفون كيفية سير الأمور تلك الأيام، حفلات الزفاف تستمر لفترة أطول من الزيجة نفسها.



ثم ضحكت بصوت عالٍ سعيد كأنها واثقة من أن دعابتها لا تنطبق عليها هي نفسها، ولأنها واثقة أيضًا من أن زواج ابنتها سوف يستمر للأبد.

سألتها تشانج: هل هذا المساء سيكون وقتًا مناسبًا للحديث؟

- هل لي أن أعرف بأي شأن تريدان الحديث؟

- أخوك بيتر.

- آه يا أعزائي آسفة للغاية إنه ليس هنا، هو لم يأتِ، لقد كنا ننتظره بالطبع، لكنها رحلة طويلة من شيكاغو.. لكن كيف تعرفان بيتر؟

- ربما علينا الحديث بشأن التفاصيل هذا المساء، لو كان توقيتًا مناسبًا، لأننا نعطلك الآن، وقد أخذنا الكثير من وقتك بالفعل، علينا تركك للعودة والاهتمام بضيوفك.

ودعتهما أخت مكاين بابتسامة تنم عن تقدير والتفتت راحلة، ثم واتتها فكرة جديدة، والتفتت إليهما متسائلة: هل بيتر يواجه مشكلة؟ هل أنتما من الشرطة؟

فعلت تشانج الشيء الوحيد الذي تمكنت من فعله بسبب مبدئها، وتجاهلت السؤال تمامًا، وأجابت بشكل مقتضب: أنا محققة خاصة.

- هل أرسلك كييفر؟

- سيدتي، الآن علينا الحديث حقًّا، لكننا لا نستطيع



أخذك من هذا الحدث.

- هل بيتر يواجه مشكلة؟

فعلت تشانج نفس ما فعلته سابقًا وقالت: سيدتي، نحن هنا لنحصل على معلومات، مهمتنا أن نسمع عن بيتر منك.

قالت لهم الأخت: تعاليا معي.

***

ساروا سويًّا داخل البيت، إلى مكتبة واسعة، بمقاعد نادي كبير ومدفأة من الأحجار، نافذة المكتبة تترك أشعة الشمس تتسلل للداخل، جلسوا، وانحنى ريتشر للخلف، بينما التصقت ركبتا ليديا ببعضهما البعض، وسألتهما: من أين أبدأ؟

أجابها ريتشر: أخبريني ما الذي تعرفيه عن كييفر.

- لم أقابله من قبل، هذا ابتداءً، لكن بيتر يحب مناقشة الأمور معي، لأخذ رأيي؛ ولذا عند مرحلة التنقيح والاختيار قبل الاستقرار على كييفر شَعَرْتُ كأني أعرف الكثير عن كل المرشحين للاختيار النهائي من قبل أخي.

- كم كان عدد المرشحين؟

- بدأنا بثمانية.

- هل استمرت عملية التنقيح كثيرًا؟

- حوالي ستة أسابيع.



- هذا تنقيح شامل لكل التفاصيل.

- تلك طبيعة بيتر.

- هل تتحدثان كثيرًا؟

- أغلب الأيام.

- مكالمات طويلة؟

- أحيانًا قد تصل للساعة.

- تلك محادثات طويلة.

- بيتر أخي، وهو يشعر بالوحدة.

- ولماذا يحتاج لمحقق خاص؟

- بسبب مايكل، ابنه.

- لقد أخبرنا البعض بوجود مشاكل بينهما.

- تلك طريقة لطيفة فحسب لوصف بيتر بأنه صعب المراس، وتلك بحد ذاتها طريقة لطيفة لوصف أسوأ، الحقيقة أن مايكل كان النقيض من كلمة صعب المراس.

- وما هو الوصف المناسب له؟

- مايكل لم يحقق شيئًا في حياته، أحاول ألا ألوم والدته، لكنها لم تكن سليمة النفسية، لقد تُوفيت منذ عشرة أعوام.

- وحينئذ بدأت مشاكل مايكل؟



- هل أنت رجل سعيد يا مستر ريتشر؟

- لا أستطيع أن أشكو، بشكل عام، حاليًّا أنا أشعر أني على ما يرام، ولا علاقة لهذا بحديثنا بالطبع.

- بمقياس واحد لعشرة، أي رقم سيعبر عن أقوى مرة انتابك بها شعور سيئ؟

- ربما أربعة.

- وأسعد مرة؟

- مقارنةً مع السعادة الافتراضية؟

- نعم، على ما أفترض.

- تسعة بالتقريب.

- حسنًا، أربعة في الدرجة الأدنى، وتسعة تقترب من القمة، وماذا عنك أنت يا مس تشانج؟

انتظرت تشانج لوهلة قبل أن ترد: أسوأ ما شَعَرْتُ به سيكون على مقدار الرقم ٣، وكنت سأقول: إن ٨ سيعبر عن شعور السعادة، لا أعلم، ربما ٩ الآن على ما أعتقد.

نظرت لريتشر بطريقة ذات مغزى وهي تقول هذا، ولم تفت نظرتها على ليديا التي سألتهما: هل تجمعكما علاقة؟

لا رد

- يا عزيزتي، لو تجمعكما علاقة فاجعلي الرقم ٩ بالتأكيد، أكثر أمانًا، ولكن ليس أعلى من هذا، ١٠ سيعطل



من أدائكما ويصيبكما بالتوتر، والآن، بما أنكم أنتما الاثنان تتأرجحان بين رقم ثلاثة وأربعة في الشعور بالسوء، وثمانية وتسعة بالنسبة للسعادة، فأنتما أناس طبيعيون، لو تأرجحتما بين اثنين وسبعة فأنتما لا تزالان طبيعيين، ولكن عندما تتغير الأرقام.. آه أتفهمان مقصدي؟

أومأت تشانج برأسها.

- والآن افترضا أن البوصلة قد انحرفت لرقم صفر، أو أنها لا تتحرك على الإطلاق، هي في القاع، هذا هو مايكل، لقد وُلد غيرَ سعيد، لم يمتلك القدرة على الشعور بالسعادة، دون حتى أي مفهوم عن معنى السعادة، هو لا يعلم أنها موجودة.

- هل هناك اسم لحالته تلك؟

- لديهم أسماء لكل شيء الآن، أنا وبيتر نتناقش بهذا الشأن مرارًا وتكرارًا، ولا يوجد أي اسم يلائم حالة مايكل، أنا أفضل الأسماء التقليدية على أية حال، مثل الميلانخوليا، رغم أنه سيبدو كوصف ضعيف وعدواني، مايكل لا يمتلك تنوعًا في العاطفة لكن أرضية لها فحسب، أنت تشعر بالبهجة أو الشغف بينما هو يشعر بالحدة الجافة، لتأخذه لرقم صفر، وهو ذكي للغاية، يعلم جيدًا ما يحدث له، والنتيجة هي عذاب بلا نهاية بالنسبة له.

- كم عمره الآن؟

- خمسة وثلاثون عامًا.



- وما هي المؤشرات لأزمته؟ وهل من الصعب التعامل معه؟

- على النقيض، بالكاد ستلاحظ وجوده، هو هادئ للغاية، وسيفعل ما تريده، نادرًا ما يتحدث، يجلس لأيام عدة يحدق في الفراغ فحسب، وهو يمضغ شفته، وعيناه تدوران في الأرجاء، أو هو يجلس أمام حاسوبه الآلي، أو على هاتفه الخلوي، هو ليس بشخص عدواني ونادرًا ما يتعصب، الغضب مؤشر لتنوع في العاطفة على كل حال.

- هل يمتلك وظيفة؟

- تلك جزء من المشكلة، الوظيفة، عليه أن يمتلكها ليتأهل لسكن، هذا جزء من الاتفاقية، وهو يستطيع أن يعمل، هناك أشياء يجيدها مايكل، لكن البشر يجدونه مستنزفًا لطاقتهم، لا يحبون أن يتواجدوا حوله، طاقته السلبية تقلل من إنتاجيتهم، وفي العادة يتم طرده بلطف، لقد حدث هذا عدة مرات.

- أين يعيش مايكل الآن؟

- الآن، هو مفقود..

هنا دخلت العروس المستقبلية تبحث عن والدتها، بقميص رقيق فوق رداء السباحة، ابنة أخت بيتر مكاين، ابنة عمة مايكل، كانت تشع بالبهجة، والحياة، تكاد تقترب من الكمال، جميلة، تحظى برعاية وحب أبويها، ورعاية



صحية وجسدية، دراسة جامعية، وخطيب، وعرس قريب، الياردات تسع كاملة(14).

لقد حققت الفتاة كل ما لم يحققه مايكل، الفتاة قد حظيت بالحلم الأمريكي كله، والنتيجة رائعة، هي تبدو سعيدة للغاية، دون سخافة أو ابتذال أو افتعال، سعيدة بشكل حقيقي وعميق، بوصلتها ستتحرك صوب الرقم ستة وإلى الرقم عشرة.

ذهبت أخت مكاين معها للمسبح، ووعدتهم بالعودة سريعًا، جلس كل من ريتشر وتشانج في صمت، وسمعا أصوات الاحتفال من على بعد، تخفضها الحوائط والمسافة، أصوات أكواب زجاجية وارتطام بالماء، وأحاديث خافتة، قالت تشانج: علينا الاتصال بويستوود لإعلامه بالمستجدات، هذا هو اتفاقنا معه، وسنحتاج لحجز غرفة فندق كذلك.

- أخبريه أننا سنحتاج لمعرفة كل شيء بخصوص مقاله عن الشبكة العميقة، جميع ملاحظاته، أو أخبريه أن يأتي ويقابلنا شخصيًّا، نحن بحاجة لفهم ملاحظاته وأعتقد أننا بحاجة لشرحه، أخبريه أن يستقل الطائرة وذكريه بحقوق الكتّاب.

اتصلت تشانج بويستوود واضعة الهاتف في وضع مكبر الصوت، وحكت له كل ما حدث منذ مكالمتهما الأخيرة، ذكرت له ما حدث في شيكاغو والمكتبة، وشارع



مكاين ومنزله، وهاكيت، والجارة العجوز، وجريمة القتل في منتزه لينكولن، والرحلة لفينكس، وأخيرًا حكت له لقاءهما مع الأخت، وحديثها عن مايكل، وكيف أنه مفقود.

قال لها ويستوود: يدعون حالة مايكل تلك بـ «انيودونيا» وتعني عدم القدرة على الشعور بالاستمتاع.

- أخته تصف الحالة بشكل أسوأ من هذا.

- ووظيفة كيفر كانت إيجاد مايكل؟ وإحضاره للمنزل؟

- هذا هو افتراضنا، لم نصل لهذا الجزء بعد، لقد تمت مقاطعتنا.

- أنا لا أرى ما العلاقة بين مئتي شخص ميت والشبكة العميقة، هذا يبدو كأمر متعلق بأخبار الجريمة وليس المقالات العلمية، إحدى تلك القصص الخاصة بالمآسي البشرية.

- ربما الأمر يحتوي كل هذا نحن لا نعلم بعد.

- أين تقيمان؟

- لم نقرر بعد.

- حسنًا، سأتصل بكما عندما أصل.

أنهى ويستوود المكالمة وقال ريتشر: مايكل يقضي الكثير من الوقت على حاسوبه الآلي أو على هاتفه الخلوي، ربما



هنا تتضح العلاقة بالشبكة الخفية، ربما هو في غرفة محادثة مريبة طيلة الوقت، ربما لديه حياة سرية لا يعلم أحد عنها شيئًا.

- هو مكتئب وليس غريب الأطوار.

- الاكتئاب يعني ما يعنيه جيدًا، وهو الغرابة، اللااعتيادية، لوصف أكثر تهذيبًا، لكنه ذكي، كما قالت هي، ربما هناك جروبات دعم إلكترونية، وهو قد انضم لأحدها، أو بدأ يتفاعل مع واحدة.

- ولماذا سيبقي هذا سرًّا؟

- تخميني أنه سيكون بسبب محركات البحث، لقد قرأت في جريدة أن من حق أصحاب العمل تفقد الملفات الشخصية الإلكترونية الخاصة بالموظفين، ليس أصحاب العمل فحسب، أقارب الدرجة الأولى كذلك، وربما كل أنواع الناس، الأطباء، المعارف، لم يعد هناك خصوصية، بإمكان أي أحد كشف أسرارك، ولو نشر مايكل شيئًا ما يتسبب في فقده لوظيفته، أو ينبئ بأنه لا يحقق تقدمًا فلسوف يفقد سكنه الحكومي، أو لربما قرر مسؤول صحي أنه بحاجة لإشراف ورعاية؛ ولذا أراد إبقاء الأمر سرًّا.

هنا انفتح الباب وعادت ليديا، والدة العروسة، أخت مكاين وعمة مايكل، جلست في المقعد نفسه وسألها ريتشر: كيف أصبح مايكل مفقودًا؟

- تلك قصة طويلة.



في بلدة «استراحة الأم» تلقى الرجل الثامن ذو السروال الجينز والشعر المصفف بعناية مكالمة هاتفية، وقال له المتحدث: ما يحدث الآن هو خطؤك أنت.

- كيف؟

- هناك أشياء لم تعرفها.

- أي أشياء؟

- لقد وعدتك بأنهما لن يتحدثا مع مكاين، ولقد وفيت بوعدي، لن يستطيعا التحدث مع رجل ميت، ولكن هذا أتى بثمن، لقد فقدت هاكيت.

- كيف؟

- لقد تغلب عليه ريتشر، أو كلاهما فعل ذلك، على أية حال لم يكن من المفترض أن يحدث هذا، نظريًا هذا غير ممكن.

- هل مات هاكيت؟

- هو في المستشفى.

- وهل ستتركهما يفلتان دون عقاب؟

- كلا، سأجعل منهما عبرة؛ الأمر يخص سمعة العمل الآن، وأنا في مجال شديد المنافسة، قوة العلامة التجارية هي كل شيء؛ ولذا سوف أتقاسم معك، النصف بالنصف.



- نتقاسم ماذا؟

- ثمن عدم تركهما أحياء.

صمت الرجل الثامن قليلًا، ثم قال: أنا ممتن لأنك لم تتركهما يتحدثان مع مكاين، تلك مهمة تمت بنجاح، ولكن مع كامل احترامي، هذا ينهي اتفاقنا، أي مشاعر أو ضغينة تحملها أنت صوب ريتشر وتشانج هي أمر شخصي بالنسبة لك الآن.

- هاكيت في قبضة الشرطة وهو في المستشفى، مقيد بالأصفاد في الفراش.

- وما هو مقدار ما يعرفه؟

- القليل، لكنهم لن يستطيعوا إثبات شيء، هاكيت لا يمتلك أدلة في حوزته، وريتشر سرق هاتفه، وحاسب هاكيت الذي أمده به أصدقاؤنا في شيكاغو في سيارة الأخير؛ ولذا نحن نمتلكه، ولقد تعقبنا الهاتف، تشانج قد اتصلت بويستوود، من موقع سكني فاخر في فينكس.

- لماذا فينكس؟ بسببك أنت؟ هل هما قادمان من أجلك؟

- لقد اتصل بي ريتشر من هاتف هاكيت وأخبرني أنه قادم من أجلي، وهذا تنبؤ سهل على أية حال، ولكن عندما تستمع لمكالمة تشانج مع ويستوود ستجد أنهما هنا لأسباب مختلفة.



- وما هي تلك الأسباب؟

- لقد كانت هناك أشياء لم تعرفها.

- أي أشياء؟

- أشياء ستقنعك بمقاسمة الأمور معي، النصف بالنصف.

- أخبرني.

- هناك أخت لمكاين تدعى ليديا مكاين، هذا هو اسمها القديم، الآن هي تدعى ليديا لاير، متزوجة من طبيب وتعيش هنا في فينكس، في الموقع السكني الفاخر، هي وأخوها اعتادا الحديث طيلة الوقت، ولقد أخبرها بكل شيء، طبقًا لما أدلت به تشانج لويستوود، وحديثهما مع الأخت مثله مثل الحديث مع مكاين نفسه.

- نحن لا نستطيع السماح بحدوث هذا.

- نحن؟

- حسنًا، مناصفة بالطبع، سأقاسمك التكلفة.

- أنا سعيد أننا متفقان.

- لكنْ هناك شيء آخر.

- أخبرني كيف مات مكاين؟

- لقد رماه هاكيت بالرصاص.

- تفاصيل أكثر.



- لقد زاره هاكيت في الصباح، وهدده بالسلاح، وسار به للمنتزه، لم يكن هناك أحد، فأطلق عليه في مؤخرة رأسه بكاتم للصوت.

- هل كان هناك فوضى؟

- أنا لم أكن هناك.

- في الأغلب خرجت الرصاصة من الجهة الأخرى من رأسه، وتلف عقله تلقائيًّا، لا ضغط دم ولا نبضات قلب، طريقة فعالة للموت، هل ستفعل المثل مع ريتشر وتشانج؟

- سأفعل كل ما سأتمكن من فعله، وعلينا قتلهما بسرعة، وهذا سيكلف الكثير؛ ولذا علينا المناصفة، هما يتحدثان مع أخت مكاين في الأرجح بتلك اللحظة.



الفصل التاسع والثلاثون

قصة اختفاء مايكل الطويلة التي حكتها ليديا لهما بدأت برغبته في زيارة أوكلاهوما، لقد أعلن مايكل عن تلك الرغبة ذات يوم، بصوته الخفيض والبطيء، وتعبير خيبة الأمل المعتاد على وجهه، ولم يدع مكاين نفسه يقع في فخ القلق بشأن ابنه، ليس فورًا؛ لأنه كان يعلم جيدًا أنه في الأغلب لن يذهب لأوكلاهوما، ولكن مايكل أعلن بعدها أنه بحث عن الإسكان هناك، والذي لديه شروط مختلفة عن اليانوز، ورد فعل أبيه كان خليطًا من مشاعر عدة، أول تلك المشاعر كان هلع من تخيل فكرة أن يحيا مايكل وحيدًا في بيئة غير مألوفة، ولكن خلف هذا الخوف قبع شعور آخر وهو نوع من التفاؤل، لقد قضى مايكل أخيرًا بعض الوقت على الحاسوب يفعل شيئًا ذا قيمة بدلًا من إهدار وقته، يخطط لحياته بشكل ما، وبحث عن مكان معيشة في ولاية أخرى، ووصل لاستنتاج بعد بحثه هذا، هذا نوع من المبادرة، ودليل على أنه يشجع نفسه، قادر على إعطاء نفسه دافعًا لفعل شيء ما، ولو رأى طبيب نفسي هذا سيقول: إنه علامة تحسن؛ ولذا لم يعترض بيتر على قرار ابنه.

تابعت الأخت: بعدها أعلن مايكل أن لديه صديقًا في أوكلاهوما، وهذا كان حدثًا كبيرًا، هو لم يحظَ بأصدقاء من قبل، ولم يستخدم الكلمة قط، وفكرنا أنه اكتسب صديقه هذا من خلال «الإنترنت» وهذا بحد ذاته شيء



مقلق على ما أعتقد، لكن مايكل في الخامسة والثلاثين من العمر، وهو ليس معاقًا، معدل ذكاؤه عالٍ، ويعرف جيدًا ما يفعله، هو حزين، تلك هي مشكلته، وهكذا سأله بيتر الأسئلة التي سيسألها أي أب في مكانه، ثم عض شفتيه وصمت بعدها.

سألها ريتشر: وما الذي حدث بعد هذا؟

- ذهب مايكل لأوكلاهوما، في مكان صغير ليس ببعيد عن تلسا، كان يراسل بيتر في البدء ثم قلت مراسلاته، لكنه كان بخير على حد علمنا، وذات يوم أرسل لبيتر أنه عائد للمنزل ولكنه لم يحدد متى، ولم يذكر السبب، ولم نسمع منه شيئًا منذ ذلك الحين.

- ومتى اتصل بيتر بالشرطة؟

- بعدها مباشرة، واتصل بالجميع بعدها، وليس بالشرطة فحسب.

- هل اتصل بالبيت الأبيض؟

- لقد نصحته ألا يفعل هذا، ولكن طبعًا لم يستمع إلى أي أحد، هناك نصف مليون متشرد يواجهون تحديات عقلية في الولايات، لن يهتم أحد بالبحث عن أحدهم، كيف سيفعلون هذا وبأي دافع؟ مايكل ليس بشخص خطر، هو ليس بعدواني ولا يتعاطى أدوية معينة.

- ألم يحاولوا تحديد هوية صديقه على الأقل؟



- أنا واثقة من أنك تعرف كيفية سير تلك الأمور، حسب خبرتك، فجأة تكتشف أن لديك اسمًا فحسب وهذا لا يعني الكثير، وعنوان لا يستطيع أحد الوصول إليه.

- إذن لم يحدد أحد هوية صديق مايكل؟

- كلا، لا نعلم حتى إن كان صديقًا أم صديقة.

- وماذا عن الإسكان الاجتماعي؟

- لم يكن هناك إسكان اجتماعي، من الواضح أن مايكل كان يقيم مع صديقه الغامض هذا، وفي الأغلب لم يكن لديه عمل هناك، ولا حتى وظيفة بدوام جزئي.

- وما الذي حدث بعد هذا؟

- لم يكن بيتر ليستسلم، لقد قرر البحث عن مايكل بطرقه الخاصة، بيتر مُصر وعنيد، وقد ظل يلح على شركة الهاتف حتى تعقب هاتف مايكل، وآخر تحديث للهاتف أنه كان يتحرك حول منطقة تلسا وأوكلاهوما، بسرعة خمسين ميلًا في الساعة، ولذا خمَّن بيتر أن مايكل كان يركب حافلة ما، تنقله من تلسا لمدينة أوكلاهوما.

- لماذا؟

- ليأخذ قطارًا لشيكاغو.

هز ريتشر رأسه، القطار دائمًا في نهاية المطاف، سألتها تشانج: هناك قطارات أخرى.



قاطعتها الأخت: بيتر يعتقد، بل ويجزم أن مايكل كان عائدًا للمنزل، قبل أن ينطفئ هاتفه ونفقد أثره.

- نعم، لقد حدث لنا شيء مماثل، آخر تغطية للشبكة تابع لبرج في شمال أوكلاهوما، بحوالي تسعين دقيقة، بعدها، منطقية ميتة بلا شبكة.

- هل اتصل بيتر بالشرطة؟

- بالطبع.

- وما الذي قالوه؟

- أكدوا لبيتر أنه لا داعي للقلق، أخبروه أنه ربما سرق أحدهم الهاتف واستقل الحافلة، وبعدما فشل في فتح الهاتف دون كلمة سر قام بتهشيمه وتخلص منه، وحينئذ سيكون مايكل لا يزال في تلسا، أخبروه أن الاحتمال الآخر أن بطارية الهاتف قد نفدت وهو مع مايكل، وكونه لم يتصل بوالده ليس مؤشرًا لأي خطر، والاحتمال الأخير أنه انتقل لمكان آخر، ربما سان فرانسيسكو.

- ولماذا سان فرانسيسكو؟

- هناك العديد من المتشردين وفاقدي الأهلية في سان فرانسيسكو، الشرطة تعتقد أن المدينة تجذبهم لسبب ما، وإنهم يذهبون إليها بشكل آلي كما كان يحدث عام ٦٧.

- وكيف قيم بيتر تلك الاحتمالية؟

- رآها مجرد احتمالية ضعيفة ليس أكثر.



- وبعدها قام بتأجير كييفر؟

- بلى، ثم بدأ عملية البحث والتنقيح.

- بحث عبر الشبكة الإلكترونية؟

- نعم، في بادئ الأمر.

قال لها ريتشر: أخبرينا عن سبب اهتمامه بـ «الإنترنت»؟

ولكن حينئذ عادت ابنتها، لتخبر أمها أنهم راحلون، خرج الاثنان سويًّا، ليودعا بعضهما البعض، وسمع ريتشر أصوات الاحتفال من الخارج تتحول لوداعات خافتة، ومحركات السيارات تعمل لتستعد للرحيل، وبعد خمس دقائق عم الصمت أرجاء البيت.

***

لم يعد أحد للمكتبة حيث يجلسان، انتظر ريتشر وتشانج، مرت خمس دقائق أخرى، لا شيء، قاما وفتحا الباب ملقين نظرة للخارج، ردهة داخلية خالية، صور في إطارات من الفضة معلقة على الحائط، وتحكي تلك الصور قصة العائلة، بترتيب زمني، في البدء الزوجان، ثم الطفلة بعد ميلادها ومراحل نموها لمراهِقة، كلهم يكبرون رويدًا وكل صورة تقص مرحلة عمرية لهم، لم يكن هناك أي صوت في أنحاء البيت، لا صوت حديثٍ ولا خطوات.

خرج ريتشر وتشانج للردهة، وهما يشعران أن هذا من



حقهما، أو على الأقل مسموح لهما، الضيوف قد رحلوا ولم يعد هناك حاجة للاختباء، التفتا صوب ما شعرا أنه منتصف البيت، وتحركا بهدوء، وسط الصور المعلقة على الحائط، مجموعة جديدة منها، بالحكايات العائلية نفسها، الوالدان مع ابنتهما في الجماعة، ومع فريق كرة القدم وهي تحمل جائزة وسط أبويها وترتدي الزي الرياضي، صورة في حفلة التخرج، ولا يزال صمت مطبق في المكان، لا صوت حديثٍ ولا خطوات.

تحركا للأمام، ومرا جوار غرفة بها حوائط عازلة للصوت، وشاشة عرض كبيرة، وغابة من سماعات الصوت، بثلاثة مقاعد في الغرفة، كل مقعد به حامل مشاريب خاص به، سينما داخلية، أو سينما منزلية، لم يرَ ريتشر واحدة من قبل.

لا صوت..

ذهبا لغرفة المعيشة، حيث تغير الأثاث، لتشعر كأنه أثاث كوخ صيد، مدفأة وأريكة واسعة وسقف متعرج يتدلى منه انبعاجات عدة على شكل مثلث، تصميم هندسي فاخر لغرفة المعيشة على شكل كهف حديث أو كوخ صيد وسط غابة، هنا سمعوا صوت سيارة في الخارج..

صوت أبواب تنفتح وتنغلق، خطوات في الممر، انفتح الباب الأمامي..

ودخل د.إيفان لاير لغرفة المعيشة، رأى ريتشر وتشانج،



توقف وقال: مرحبًا يا رفاق.

قالها بصيغة نصف ترحيبية ونصف متسائلة، بها القليل من نفاد الصبر، وكأنها تعني حقًّا: لقد اعتقدت أن كل الضيوف قد رحلوا.

أتت بعدها ابنته من خلفه، وهي ترتدي القميص ورداء السباحة، وضعت يدها على ظهر والدها وقالت: للأمر علاقة بابن العم مايكل، ماما كانت تتحدث معهما.

ثم التفتت من خلف أبيها، ومدت يدها لهم قائلة: مرحبًا، أنا إيميلي.

تصافحوا وعرفوا أنفسهم، وهنؤوها ثم أتت ليديا بعد ذلك، وقالت: آسفة، لكننا أخذنا قطعة من الكعكة وكوبًا من الشاي للحارس على البوابة؛ لذا تأخرت، لكن هذا أقل ما يمكنني فعله من أجله، لقد قضى يومًا حافلًا على البوابة بسببنا مع استقبال كل القادمين.

سألها ريتشر: هل أعطيتيه قائمة بأسماء المدعوين قبل الحفل.

- نعم، علينا فعل ذلك.

- إذن كان يكفي إعطاؤه نصف قطعة كعك، لقد أدخلنا دون أن يأخذ أسماءنا.

سألهم إيفان: هل مايكل لا يزال مفقودًا؟

أجابت إيميلي: أبي، أنت تعرف أنه لا يزال مفقودًا.



- وبيتر قرر أخيرًا أن يبحث عنه الآن؟ هل هذا ما يحدث؟

- العم بيتر كان يبحث عنه طيلة الوقت.

- حسنًا، هو ليس هنا، لا بيتر ولا مايكل، كلاهما ليسا هنا.

قال ريتشر لإيفان: نحن نعتذر عن التطفل.

قالت إيميلي مسرعة: اجلسا، من فضلكما..

جلس ريتشر وتشانج قبالة العائلة على أرائك مواجهة لبعضها البعض، وارتاحا في جلستيهما، كان هناك أقداح من الشاي المثلج والقهوة والكثير من البخار، بينما جلست إيميلي في المنتصف بين والديها، ببشرتها الذهبية الداكنة، ووجهها المتوهج..

قال ريتشر: لقد كان بيتر بارعًا مع شركة الهاتف في الحصول على تلك النوعية من المعلومات.

ردت ليديا: إنها شيكاغو، وكان لديه صديق يعرف صديقًا في النقابة.

- وبيتر رجل ملم بالتفاصيل، لم يكن ليرفض نظرية سرقة الهاتف سواء أكانت قبل أو خلال رحلة القطار من تلسا، أو أوكلاهوما، أو شيكاغو، لكنه كان سيفكر في احتمالات أخرى حدثت خلال الرحلة.



تساءلت إيميلي: على متن القطار؟

- ربما ليس على متن القطار، نحن نعرف هذا القطار بالتحديد، وهو يتوقف مرة واحدة قبل شيكاغو في بلدة ريفية صغيرة تدعى «استراحة الأم».

لا ردَّ فعلٍ من الأخت.

أردف ريتشر: «استراحة الأم» هي بلدة وسط العدم، إنها أيضًا آخر مكان معلوم لكييفر، أعتقد أن بيتر قد استنتج أن مايكل قد ترجل من القطار هناك؛ ولذا لم يكن هناك تغطية شبكة لهاتف مايكل، وأعتقد أنه أرسل كييفر للبحث عن مايكل في بلدة «استراحة الأم».

- حسنًا هذا أمر جيد أليس كذلك؟ كييفر سيجد مايكل هناك.

قالها إيفان ولم يرد ريتشر، فعلقت ليديا: لم يحالفه الحظ بعد في الوصول إليه، بيتر لم يحظَ بأي تقرير من كييفر خلال الأيام الثلاثة السابقة، إلا لو كان سيتصل كييفر الآن بأنباء سارة.

بدا أن ما قالته جعلها تنتبه للوقت فنظرت لمعصمها كأنه ستنظر لساعة لا ترتديها قبل أن تذهب للمطبخ، وتتفقد ساعة جهاز التسخين الآلي «الميكروويف»، وعادت قائلة: إنه حان وقت العَشاء في شيكاغو.

ثم أشارت لشيء على مقربة من ريتشر.



- عزيزي هلا أعطيتني الهاتف؟

كان الهاتف بجوار الشاي المثلج، كبير الحجم، من البلاستيك، حديث الطراز، وجيل أول من نوعه، وبه خاصية اتصال سريع، أعطاها ريتشر الهاتف وهو يفكر: لو يكن به عطل، لا تحاول إصلاحه، كان هاتفًا أنيقًا وفعالًا على كل حال، أخذت ليديا هاتف وأجرت اتصالًا سريعًا وقالت: الخط يعمل.

سألهم إيفان: ما مدى كبر بلدة «استراحة الأم»؟

- صغيرة للغاية.

- ولماذا سميت بهذا الاسم؟

- لا أحد يعلم.

- ولو كانت بلدة صغيرة لماذا يستغرق الأمر من كييفر ثلاثة أيام للبحث هناك؟

- هذا يعتمد على نوعية البحث وتفاصيله، بإمكانك قضاء ثلاثة أيام وأنت تفتح كل باب، تختلس النظر من كل نافذة، وتبحث داخل كل ركن، بحث مفصل، تخيل صورة للمفقود معلقة في الأنحاء، ومأمور يسأل هنا وهناك، والآن ضع بيتر مكان المأمور، يقتفي أثر مايكل عبر شركة الهاتف، يرسل كييفر من أجل بحث جسدي في البلدة، بالتأكيد سوف يستغرق الأمر الكثير من الوقت.

- افترض أنه قد يحدث هذا أحيانًا، البحث المستغرق



لوقت طويل.

- لكننا سمعنا أن بيتر كان مهووسًا «بالإنترنت»، وقد اتصل بمحرر أخبار علمية في جريدة حوالي تسع عشرة مرة، هل كان هذا أمرًا مستقلًا بذاته أم له علاقة؟ وكيف يكون لهذا علاقة ببلدة لا تمتلك شبكة هاتف؟

أجابت ليديا: كلا لم يكن أمرًا مستقلًا، لقد كان يعتقد أن للأمر علاقة بمايكل وسيقدم له دليلًا ما، لقد كان يظن أن مايكل قد يتحدث مع أناس مماثلين في مواقع إلكترونية، مواقع سرية، وربما كان يذهب لمكانٍ ما له علاقة بتلك المواقع، لقد كان لدينا آمال كبيرة بشأن السيد ويستوود، لربما يفيدنا، وبيتر شخص مُصِرٌّ وعنيد للغاية كما أخبرتكم، وأحيانًا الإصرار يتحول لشيء سلبي في نهاية المطاف، كما تريان، تسع عشرة مكالمة، لقد حذرته من الانجراف.

- هل وجد أيًّا من تلك المواقع السرية؟

- سأحضر المزيد من الشاي.

قالتها ليديا وهي تأخذ الإناء من وسط آلة البخار، وتحرك الهاتف عندما فعلت ليواجه ريتشر، الذي نظر لرقم مكتوب بأناقة وبقلم رصاص على الهاتف، الذي التفت ببطء كدراجة هوائية تتوقف، بدأ الرقم برمز منطقة ٤٨٠ وسبعة أرقام أخرى.

وانتابت الأفكار عقل ريتشر.



«فينكس، أريزونا، نحن قادمون من أجلك، في طريقنا».

«لقد بدأ وقت الخوف».

«نصف قطعة من الكعك للحارس».

نظر ريتشر للطبيب وسأله: إيفان، هل لي أن أوجه لك سؤالًا شخصيًّا؟

فعل إيفان ما يفعله كل الرجال عندما يتم توجيه هذا السؤال لهم، توقف للحظة، صمت، ثم هز كتفيه ببراءة ساخرة وأجاب: تفضل.

- هل تحتفظ بسلاح في المنزل؟

- وهل هذا يهم؟

- مجرد اهتمام.

- حسنًا، في الحقيقة أنا أحتفظ بسلاح في المنزل.

- هل لي أن أراه.

- هذا مطلب غريب.

أحنت إيميلي رأسها للأمام، وهي تجلس ممدة الساقين، تشاهد تبادل الحديث بينهما، ورأسها يدور يمينًا ويسارًا كأنها تتابع مباراة تنس أرضي، وكذلك فعلت تشانج.

- هل السلاح في غرفة النوم؟



سأل ريتشر وأجاب لاير: آه هه، نعم.

- سيكون من الأفضل لو كان في الردهة، مقتحمو البيوت الليليون نادرون، كما أنك ستكون مشتتًا من النوم ولن تكون يقظًا، هل أنت أيمن؟

- بلى.

- إذن أبقي السلاح في متناول يديك، بالقرب من الباب الأمامي، في درج أو كابينة صغيرة، أو ربما داخل أحد إناءات الديكور، أتخيل أن هذا سيكون أفضل.

- هل أنت استشاري أمن؟

- نحن نهدف لتقديم مدى متنوع من الخدمات.

غمغمت إيميلي: هو محق يا أبي، غرفة النوم مكان عديم الفائدة للاحتفاظ بالمسدس.

وأضافت تشانج: تقنيًّا نصحيتنا أن تحتفظ بسلاح منفصل في كل زاوية مهمة بالمنزل، غرفة النوم بالطبع، وكذلك منطقة المطبخ، وغرفة المعيشة، ردهة المدخل، والقبو لو تمتلك واحدًا، والمرآب.

سألتها إيميلي: وأين أفضل مكان عندما تمتلكين سلاحًا واحدًا فحسب؟

«امتلاك واحد فحسب» ترددت الجملة في عقل ريتشر.

ردت تشانج: اذهبي مع الاحتمالات الرياضية، أغلب



المشاكل تبدأ من عند الباب الأمامي.

- بجدية؟ هل يجب أن أغير مكانه؟

سأل إيفان فأجابته ابنته: من الأفضل أن نسأل ماما.

هنا عادت ليديا، بقطع كعك وأكواب شاي مثلج، وقالت: تسألونني عن ماذا؟

- هل يجب على بابا نقل المسدس للمدخل؟

- ولماذا سيفعل شيئًا كهذا؟

- بسبب نصيحة ابنتكما المنطقية ورأي اثنين من الخبراء.

- كيف تحدثتم في هذا الشأن؟ أعني في أي سياق؟ هل هذا أمر مهم الآن؟

ترددت كلمات تشانج في عقل ريتشر.

«لن نستطيع أن نخبرها، ليس الآن»

قال ريتشر: كلا، لقد كان مجرد رأي احترافي ليس أكثر.

بعد دقيقة تغير الموضوع وتناسوا الفكرة، كفقوعة حَسَاء مغلي، سرعان ما تختفي.. ولكن تشانج لم تنسَ، ظلت صامتة قبل أن تنظر لريتشر، وتلاقت أعينهما، ورأى ريتشر السؤال في عينيها: ما الذي يحدث؟

حك ريتشر أنفه، وهو يغطي باقي فمه بيده ليخفي شفتيه التي همست: أغلقي هاتفك.



سألته ليديا: هل أنت بخير؟

أومأ برأسه وقال لها: أخبرينا عن المواقع السرية التي كان مايكل يستخدمها.



الفصل الأربعون

حكت لهم ليديا أن مكاين تعلم عدة أشياء بسرعة عندما بحث في حاسوب ابنه، أولها أن البرنامج الذي يستخدمه مايكل يمسح كل تاريخ التصفح لو حاول أحدهم استخدامه بشكل خاطئ، وطبعًا مكاين استخدمه بشكل خاطئ؛ لأنه لم يعرف الطريقة، ولكن كعادة تلك البرنامج التي يتم تحميلها لم يكن بلا عيوب، كان به خطأ صغير وهو أنه ترك الشاشة لمدة نصف ثانية واضحة للعيان قبل أن يخفيها، الشيء الآخر الذي تعلمه مكاين هو مدى قصر نصف الثانية، وكيف أنها لحظة طويلة في الوقت ذاته، كرة سريعة بإمكانها أن ترتد بسهولة في نصف ثانية، والكثير يمكن اختزاله في الذاكرة، لم تكن مسألة تفكير، بل محاولة استعادة ما رآه دون إجبار عقله، بخدعة عقلية قديمة، عقلك اختزل الصورة لكنَّ عينك لم ترها، أغمض عينيك وانظر بعيدًا حتى تراها بسلاسة، إلا أن الصورة لم تعنِ شيئًا، مجرد أعمدة طويلة من الكلمات والأحرف، بشكل عشوائي تمامًا، ولأن بيتر هو بيتر، فلقد فهم ما يواجهه، والذي اتضح أنه الشبكة الخفية، ولم يكن هناك الكثير لتعلمه بهذا الشأن، خضنا محادثات مخيفة بحق عن الأمر، لقد كنا نعتقد أننا مسيطرون على الأمر بشكل نسبي، ولكن الحقيقة أننا كنا فاقدي السيطرة، لقد كان هناك عالم سري لم نعرف عنه شيئًا وهو أكبر بعشرات المرات من عالمنا، الناس هناك يتحدثون ويفعلون أشياء



غريبة لم نكن لنفهمها، كأنه فيلم خيال علمي.

- هل كان هناك شيء محدد أردتما مساعدة ويستوود بخصوصه أم أنه كان تساؤلًا عامًّا؟

- كلا، لقد كان تساؤلًا محددًا، هناك شائعات عن أن الحكومة تبني محرك بحث خفيًّا لتجد تلك المواقع السرية، وشعرنا أن هناك تلميحًا في مقالة ويستوود عن تلك المسألة، وقد أراد بيتر من ويستوود أن يؤكد أو ينفي هذا الأمر، ولو كان الأمر حقيقيًّا، فلقد أراد بيتر فرصة لاستخدامه.

- وهل هذا أمر وارد؟

- أنا شخصيًّا لا أعتقد أن هناك فرصة لأمر كهذا، ولكن لا يتحرك حجر دون أن تقلبه، ابنه مفقود، ابن أخي، علينا استغلال كل الفرص وخوض كل الاحتمالات.

- هل من المحتمل أن بيتر قد خبأ بعض الأشياء عنك؟

- ما الذي تعنيه؟

- أنتِ لم تسمعي عن «استراحة الأم» من قبل.

- تلك حقيقة.

- هل ذكر بيتر شيئًا عن مئتي حالة موت؟

رددت إيميلي بتعجب: مئتا حالة موت؟ وأجابت أمها: كلا.

أردف ريتشر: لقد تحدث بيتر مع كييفر بهذا الشأن،



وذهب الأخير لـ«استراحة الأم» ؛ ولذا كان هذا أمرًا مهمًّا بشكل ما، لكنه لم يذكره لك.

- ما الذي يحدث في تلك البلدة بالضبط؟

- نحن لا نعلم.

- بيتر هو أخي الكبير وأنا أخته الصغرى، هو لا ينسى هذا أبدًا، ولا يتركني أغفل عن هذا الأمر كذلك، ليس بطريقة سيئة ولكن ليس بطريقة مثالية كذلك، السبب الوحيد لإخفائه بعض الأشياء سيكون من أجل حمايتي وعدم إثارة استيائي.

لم يتحدث أحد، وقفت تشانج قائلة: أنا بحاجة لاستخدام غرفة السيدات.

أشارت لها إيميلي وذهبت تشانج حيثما أشارت لها الفتاة..

سألهم ريتشر: هل لديكم خطط معينة من أجل العَشاء؟

- كلا.

قالت ليديا مفكرةً وتابعت: لم أفكر في الأمر بعد.

- بإمكاننا الخروج.

- من؟

- كلنا.

- أين؟



- أي مكان تبغونه، على حسابي، دعوني أصطحبكم للعَشاء.

- لماذا؟

- يبدو لي أنكم قد بذلتم الكثير من المجهود طيلة اليوم.

ظهرت تشانج عند حافة غرفة المعيشة، ونظرت لريتشر قائلة: غرفة الرجال هنا لو احتجت استخدامها.

- حسنًا.

- بإمكاني أن أريك مكانها.

- أنا واثق أني سأجدها عندما أحتاجها.

نظرت إيميلي لريتشر قائلة: هي تريد التحدث إليك بانفراد.

فوقف ريتشر واتجه لتشانج التي قالت بصوت خفيض: أنت تعتقد أن أصدقاء هاكيت قادمون؟

- كان علينا أن نكون أكثر حذرًا مع الهاتف وكيفية استخدامه، لو تنصتوا علينا فنحن وضعنا الأخت في قلب الخطر، لقد حكينا لويستوود كل شيء عبر الهاتف؛ وعليه فنحن لا نستطيع ترك تلك العائلة وحدها، ليس هنا وليس الآن، إما أن نخرجهم من البيت أو نجالسهم طيلة الليل كحماية شخصية، نحن نقدم خدمات أمنية وتحقيقية متنوعة بطبيعة الحال.



- أنا أفضل فكرة إخراجهم من البيت.

- لقد عرضت عليهم فكرة العَشاء بالخارج.

- والحارس على البوابة عديم الفائدة.

- أين غرفة النوم؟

- بالجناح الآخر من البيت، بعد نهاية غرفة المعيشة.

- حاولي أن تعرضي أنت عليهم فكرة العَشاء، ربما شَعَرُوا أن المطلب غريب وقد كان قادمًا مني أنا.

- سيكون غريبًا وهو قادم من أي أحد منا، نحن غرباء بالنسبة لهم، وهم وسط تحضيرات عرس زفاف، فجأة نطلب منهم الذهاب لتناول الدجاج بالخارج.

- لقد قلت لهم بإمكاننا الذهاب لأي مكان وليس بالضرورة «كي إف سي».

- الشيء نفسه، لن يهم كثيرًا أين سنذهب.

سمعوا صوت سيارة بالخارج، أبواب تنفتح وتنغلق، صوت خطوات تقترب من الباب..

فكر ريتشر سريعًا، السيارات الحديثة ستحمل أربعة ركاب، بعض السيارات قد تتسع لخمسة، وفي بعض الحالات سبعة لو كانت نصف شاحنة، لكن لا يوجد رجل قوي يبغي الجلوس في مؤخرة نصف شاحنة، سيكون عديم الفائدة لو حدث شيء أثناء الرحلة، أسوأ



احتمال هو قدوم أربعة، وأفضلهم قدوم واحد فحسب، على الأرجح سيكونون اثنين أو ثلاثة، استدار ريتشر بسرعة وعبر غرفة المعيشة، بشكل مستقيم، وهو ينظر لموضع المقاعد والمناضد، ساحة القتال، أفراد عائلة لاير متسمرون في أماكنهم، لا يفهمون شيئًا، ليديا، وإيميلي، وإيفان، بقميص هاواي ورداء السباحة، يجلسون في صمت يراقبون ما يحدث، قطع ريتشر الصمت وهو يمر جوارهم وأخبرهم أن يظلوا في أماكنهم، ثم ذهب لآخر الغرفة، وعبر ردهة قصيرة بها عدد آخر من صور أناس لم يتعرفهم، ربما أقارب، ربما بيتر ومايكل في تلك الصور، وأخيرًا وصل ريتشر لغرفة النوم.

قال له الجزء الموجود في مؤخرة عقله: النساء تأخذ من الفراش الجزء الأقرب لدورة المياه الملحقة بالغرفة، حيث الوسادة الأكبر والمنضدة الليلية المجاورة للفراش.

رأى منبهًا وكتابًا لم يقرأه أحد بعد..

وسمعهم يهشمون الباب الأمامي.

فانحنى وفتح درج الكومود المستقر فوقه الكتاب، وجد نظارة قراءة، وحبوب صداع، وعلبة مناديل، ومسدس ساقية من طراز كولت، ورصاصًا من عيار ٣٥٧ ماجنم، ومسدسًا من العيار الثقيل، ذا آلية إطلاق قوية، لا زر أمان، لا رصاص سيعلق في الماسورة مثل الأسلحة الآلية، لكنه كان ثقيلًا للغاية، ولن يستطيع أحد استيقظ



من نومه بغتة حمله، سمع ريتشر صوت أقدامهم في الردهة، يتحركون بالداخل، لليمين، شخصان، الثالث سيأتي من الخلف لو كان هناك مقتحم ثالث، عبر الممر الخلفي، ذي الديكورات والأضواء الصناعية، من خلال البوابة التي قالت لهم السيدة اللطيفة: تفضلوا من خلالها بالدخول..

بحث ريتشر في الدرج، لا رصاصات إضافية، ست فحسب في المسدس..

خطا ريتشر صوب باب غرفة النوم وهو يسمع الخطوات تقترب، خرج من الغرفة، عبورًا بالممر والصور، عيناه ترتكزان أمامه، ضوء خافت، أشعة شمس وظلال، عاد لغرفة المعيشة، على يساره تجلس عائلة لاير، في أريكتهم، يحدقون به، وصدمتهم تتحول لخوف، وفي حالة إيميلي، كانت موشكة على الاندفاع بتصرفٍ ما، بينما والداها يجلسان في حالة رعب، وها هي ذي الأريكة التي جلس هو وتشانج عليها، خالية، ورأى ريتشر كتف شخص يتحرك، وانعكاس لجسده، ظل كبير من خلف الباب، وعلى يساره رأى رجلًا في الباحة الخلفية خلف منضدة الهدايا، يرتدي الأسود، ويحمل سلاحًا من طراز روجر ب ٨٥، مزودًا بكاتم صوت، لقد ارتدوا ملابسَ مناسبة للحدث بلا شك، تلفت ريتشر حوله، أين ذهبت تشانج؟

لم يُرد ريتشر أن يبدأ في إطلاق الرصاص دون معرفة مكانها، ليس برصاص من طراز ماجنم، وليس وسط كل تلك الظلال لأشخاص تتحرك، إحدى الرصاصات قد



ترتطم بجدار معدني وتغير من اتجاهها، بإمكان الرصاصة أن تخرج من إحدى النوافذ للشارع، أين هي؟

أخذت إيميلي نفسًا عميقًا وهي تستعد للصراخ والاستغاثة، وهو رد فعل بدائي وطبيعي من وجهة نظر ريتشر، رد فعل غريزي لعائلة في خطر، وفي حالة إيميلي فهو أمر مبرر للغاية، هذا هو أسبوعها المميز، ولا يحق لأحد إفساده، وإيفان كان رجلًا هادئًا، يحيا وسط العلم والمنطق، بالاختبارات والنتائج، والتشخيص الحذر، رجل ذكي، لكنه لم يستطع فهم أي شيء مما يحدث؛ ولذا جسده كان متأهبًا وحائرًا بانتظار قرار أخير من عقله، عادت ليديا للخلف محتمية في مقعدها، الأم والزوجة، الأخت والعمة، تحاول طمأنة نفسها، لعلها تختبئ في نسخة قديمة من ذاتها، كذا فكر ريتشر، النسخة الحقيقية من آل مكاين، نشأة صعبة في مكان قاسٍ، وتعود على الأنباء السيئة، هنا فتح الرجل في الباحة الخلفية الباب الجانبي ودلف للداخل، وقام عقل ريتشر بعرض مباراة الشطرنج الموشكة على الحدوث، بشكل واضح تمامًا، كأضواء ساطعة في رأسه، بكل التفاصيل، الالتفاتة السرعة والرصاصة المنطلقة لتستقر في صدر الرجل، بدلًا من رأسه حتى لا تخرج الرصاصة من الخلف؛ نظرًا لأن الرجل مواجه للنافذة، رغم وجود حائط يحمي المنطقة السكنية بالخارج، دعك من الدماء السميكة التي ستتفجر من رأسه لترهب العائلة، خصوصًا في أسبوع كهذا، ولكن الأسبوع قد



أصبح كارثيًّا بالفعل من لحظة دخول الرجل، وحقيقة أن الرجل سيكون ميتًا، حتى لو امتلكوا سلاحًا، وحراسة خاصة، لحدوث الكارثة ليس مثل توقعها، ستطير بعض الرصاصات مندفعة بعد أن تخطئ هدفها، ربما هذا سيعطيه الوقت للقفز والحصول على مسدس الرجل الميت، ويتبقى معه ثلاث رصاصات لو أصاب الرجل بواحدة وهدر اثنين، ولو حصل على الروجر سيحظى بخمس عشرة رصاصة إضافية.

ولكن ريتشر لم يفعل أي شيء مما أراه إياه عقله؛ لأنه لم يعلم أين تشانج، هنا رآها، بين رجلين يرتديان الأسود، تحاول مصارعتهما، لكنهما كبلا حركتها، وصوب أحدهما مسدسه صوب رأسها، بينما وضع الآخر إصبعه على فمها، وضع ريتشر سلاحه أرضًا بهدوء، ووقف أمامهما في غرفة المعيشة.



الفصل الحادي والأربعون

تراجع الرجل الذي كان في الباحة الخلفية للوراء وتقدم الاثنان الآخران للأمام، وفجأة دفعا تشانج بقوة عاتية لتسقط فوق أريكة آل لاير، سقطت تشانج وسط العائلة ثم اعتدلت مستندة على حافة الأريكة، وببطء جلس ريتشر على حافة الأريكة المقاربة له حيث العائلة وتشانج، وهو يحاول ألا يبدو كمصدر خطر، وهو يعلم أنه لو ظل واقفًا سيأمرونه بالجلوس، إيفان جواره، وإيميلي، تشانج تتنفس بصعوبة، وليديا غائصة في مقعدها، أهداف سهلة في مكان واحد، وثلاثة مسدسات روجرز مزودة بكواتم صوت مصوبة إليهم، كأنهم في حقل رمي رصاص، ثلاثة مسدسات، ثلاثة رجال بملابس سوداء وشعر قصير وبَشَرَة شاحبة، بنيتهم قوية وضخمة، بادية الصلابة وكأنها تسري في دمائهم، أوروبيون، أقصى شرق أوروبا، أسلافهم كانوا محاربين لآلاف السنين، وقفوا ثابتين كالصخور، يتفحصون أنحاء الغرفة، ويفكرون في شيء طارئ، في المعتاد كان ريتشر سيقول: إنهم يعرفون جيدًا ما يفعلونه، لكن تلك ليست الحقيقة في الوضع الحالي، لقد كانوا يرتجلون، أو يحضرون أنفسهم للارتجال، على الأقل يفكرون في الاحتمالية، مباراة الشطرنج الخاصة بهم قد تغيرت، ولا يزال معهم حرية الاختيار، وهذا دومًا أمر خطير.

لم يتحركوا ولم يتحدثوا، ابتسامة خفيفة على وجوههم، ثم قال الرجل في المنتصف: لقد أخبرونا أننا سنجد رجلًا



وامرأة يتحدثان لامرأة أخرى.

لغته الإنجليزية جيدة بلكنة أمريكية، لكنها تحمل طابعًا أوروبيًّا شرقيًّا، رجال كهؤلاء رأوا شتى أنواع المتاعب في حياتهم وتغلبوا عليها، لم يعلق أحد على ما قاله الرجل.

تابع هو: لكننا نجد رجلين وثلاثة نساء، إحداهن صينية، وهو أمر محير؛ ولذا أخبروني، من منكم كان يتحدث لمن؟

قالت تشانج: أنا أمريكية ولست صينية، وكلنا تحدثنا لبعضنا البعض، والآن أخبرنا أنت بشيء، من أنت وما الذي تفعله هنا؟

- أحدكم أخت شخص ما.

لا رد

تابع الرجل: نحن لا نعلم أن هناك صينيين في الأمر، تلك المعلومات كانت ستساعدنا في التمييز.

لا رد

- من منكم أخت شخص ما؟

- ليس أنا.

قال ريتشر.

- هل لديك أخت أيها الفصيح؟ ربما عليك إخباري بمكان بيتها.

- لو كان لديَّ أخت، سأخبرك، وحينئذ كانت ستوفر



هي عليَّ تلقينك درسًا.

نظر الرجل للنساء الثلاثة وقال: من منكم الأخت؟

لا رد

- من منكم المرأة التي تحدثت مع الأخت؟

لا رد

نظر الرجل لإيفان وريتشر.

- من منكم الرجل الذي تحدث مع الأخت؟

لا رد

أردف الرجل: هناك معادلات رياضية مختلفة، كما يحدث في معهد الرياضيات، كم عدد الجوارب التي أحتاجها لصنع زوج من الجوارب؟ ولكن في تلك الحالة الإجابة هي الأقل وضوحًا، حتى للطالب الغبي، بإمكاننا قتلكم جميعًا، وبهذا نضمن الإجابة الصحيحة، سيكوّن هذا عددًا كبيرًا من الجوارب، ولكن سيكّون خمس جثث بسعر ثلاثة، والسعر تم الاتفاق عليه بالفعل، قم بعد أموالك قبل الرحيل من المتجر، لا تغيير في الاتفاقية، تلك هي قواعد الرجل البدين.

صمت..

نظر الرجل لإيفان وسأله: ما هي وظيفتك؟

تنحنح إيفان، حاول التحدث، تحشرج صوته ثم أجاب:



أنا طبيب.

- وهل تعمل بالمجان؟

- كلا.

- سؤال غبي أليس كذلك؟ طبيب يعمل بالمجان.

- بعض الأطباء يعملون بالمجان.

- ولكن أنت لست منهم.

- كلا.

- هل تعتقد أنه عليَّ العمل بالمجان؟

تنفس إيفان بتوتر ممزوج بخوف وهو يرتعش وأردف الرجل: أيها الطبيب إنه سؤال بسيط أنا لا أسعى لرأيك الطبي هنا، هل تعتقد أنه عليَّ العمل بالمجان في حين أنك لا تفعل هذا؟

- هل يهم ما أعتقده؟

- أنا أريد لنا جميعًا أن نكون متفقين ومرتاحين معًا، على المرء أن يحصل على أجره مقابل عمله، أنا أحتاج لدعمكم في وجهة النظر تلك.

- حسنًا، على المرء تقاضي أجره.

- مقابل ماذا؟

- العمل الذي يقوم به.



- وهل يجب على المرء العمل على خمس مهام بدلًا من ثلاث بأجر إضافي؟

- على ما أظن.

- ولكن كيف يتسنى للمرء فعل هذا وهو قد حصل على أجره كاملًا مقدمًا؟ لم تعد هناك دماء داخل هذا الحجر، وتلك أخبار سيئة لنا، ولكنها أخبار جيدة بالنسبة لك، سنفعل ما تقاضينا أجرنا لفعله فقط، لا عينات مجانية، وهذا يعني أن هناك فرصة في النجاة بالنسبة لك.

«فرصة بنسبة أربعين في المئة» فكر ريتشر، لو كان إطلاق النار سيتم بشكل عشوائي، ولكن معلوماتهم تقول هما رجل وامرأتان، وهذا سيعلي احتمالية مقتل إيفان لخمسين بالمئة، ولسوف تتحول نسبة تشانج من أربعين لثلاثين بالمئة.

قال الرجل: بالطبع هناك خطأ في خُطتنا قد يتسبب في ترك الاثنين المعنيين أحياءً، وهذا أمر غير مقبول، أنا أثق بأن لديكم مقاييس احترافية خاصة بكم مثلي، المشكلة بحاجة لحل مختلف، علينا أن نفكر، ونجد طريقة للحصول على أجرنا.

قال إيفان: لا يوجد مال نقدي في المنزل.

- أيها الطبيب، أنا لن أطلب من رجل أن يدفع مقابل إعدامه، هذا أمر قاسٍ، أنا أسألك أن تفكر، ما الشيء في الوضع الحالي الذي سيعوضني أنا ورفاقي؟



لم يرد إيفان.

- كن مبدعًا أيها الطبيب، فكر خارج الصندوق، كن مرنًا، لو لم يكن المال هو التعويض فما هو الشيء البديل؟

لا رد

نظر الرجل لإيميلي وقال: ما هو اسمك يا فاتنتي؟

صاح إيفان: كلا.

نظر الرجل لتشانج وقال: وهي أيضًا.

رفعت إيميلي من قميصها وشدته حول خاصرتها وارتعشت ساقاها في خوف، انحنى إيفان أمامها، حدق به الرجل في المنتصف وقال: لو تأدبت وأحسنت التصرف سنقتلك الأول، لو لم تفعل هذا سنبقيك للآخر ونجعلك تشاهد ما الذي سيحدث.

انتشر الرجال الثلاثة داخل الغرفة مكونين دائرة حول العائلة، مقتربين منهم، الأول كان على بعد سبع خطوات من ريتشر، الثالث على أقصى اليسار، خمس عشرة خطوة، والواقف في المنتصف يتحدث كان ينتصب مباشرة أمام ريتشر على بعد اثنتي عشرة خطوة.

لا شك أن مكتب المدعي العام سيلقب الثلاثة بمقتحمي منازل، ثلاثة لصوص قبل أن تتحول السرقة لحادثة مريعة، في مجتمع سكني فاخر وآمن، الشرطة سيدعونهم بالجناة، والمحامون سيدعونهم بالعملاء، بينما سيقول السياسيون:



إنهم حثالة، علماء النفس والجريمة سيقولون: إنهم مرضى نفسيون، والاجتماعيون سيقولون: إن المجتمع قد أساء فهمهم.

وريتشر سيقول: إنهم ثلاثة رجال موتى..

قال الرجل الواقف على اليمين: ليبدأ المرح.

تسمرت إيميلي مكانها، ملتصقة بالأريكة، وقد رفعت ساقيها محتمية بركبتيها، وذراعاها ملتفتان حول جسدها، بدا أن حجمها قد تقلص للنصف، وتشانج لم تكن تتحرك، بدا أنها ملتصقة مكانها، يداها فوق الأريكة، بجانبها، ساقاها مفرودتان، وحذاؤها مغروز في الأرض، كعداء الطريق السريع في أفلام الكرتون.

قال الرجل على اليمين بشفتين مبللتين: أنا أكاد أفقد صبري هنا.

عيونهم تتحرك، بسرعة خاطفة..

لا رد من الفتيات..

أطلق ريتشر نفسًا ثم رفع يده في إشارة: لا تطلق النار، ووقف نصف وقفة ببطء، وهدوء، بشكل غير تهديدي، النقيض من الوقوف المفاجئ، وأبقى نفسه مواربًا للمسلحين، ونظر لآل لاير على الأريكة قبل أن يقول محدثًا الفتيات: هيا يا إيميلي، لننتهِ من هذا الأمر، هم سينالون منك بطريقة أو بأخرى، لا تصعبي الأمر على نفسك.



قالت الفتاة مبهوتة: ماذا؟

انحنى ريتشر بجوار إيفان وأمسك بمعصم الفتاة، وجذبها اتجاهه، هب إيفان واقفًا لقتال ريتشر، وكذلك فعلت تشانج وليديا، كلهم مذعورين وغير مصدقين لما يفعله ريتشر، وفجأة كانوا كلهم واقفين ونشطين، يتحركون، يدفعون ريتشر بعيدًا عن إيميلي، بيأس، لحظة الحقيقة(13).

الرجال الثلاثة لم يفعلوا شيئًا، الخطوة الذكية كانت أن يطلقوا النار ويقتلوا الجميع، بلا تردد، بعد أن أدركوا أن الموقف يتحول لفوضى كاملة أمامهم، ولكنهم كانوا مندمجين مع خطتهم الشخصية للفتيات، بينما لم يريدوا إحداث ضرر بإيميلي وتشانج، ليس قبل أن ينتهوا منهما، لقد أرادوهما في حالتهما الحالية الراهنة، واعيتان، برداء السباحة والسروال الجينز؛ ولذا لم يطلقوا الرصاص، لم يفكروا، بعقولهم على أية حال.

وهذا أمر جيد حتى تلك اللحظة.

دفع ريتشر بإيفان للخلف ومعها تشانج وسحب إيميلي بعيدًا عن الزحام، حملها، والتفَّ بها، ودفع بها للممر حيث الصور وقال: غرفة النوم هناك.

اندفع إيفان بجواره محاولًا إمساك ابنته، وكذلك فعلت ليديا، والتحقت بهما تشانج، بينما تحرك الرجل على اليسار صوبهم وهناك تعبير من القلق على وجهه إزاء تلك



الفوضى، وتبعه المتحدث الرسمي للثلاثة، والتحق بهما الثالث، ثمانية أشخاص الآن في هذا الصراع الفوضوي، يندفعون صوب الردهة والممر وإيميلي في المقدمة.

انحنى ريتشر أرضًا والتقط البايثون من على الأرض، قبض على المسدس، والتف إصبعه حول الزناد، ورفع المسدس الثقيل، ووضع يده الأخرى على رأس ليديا لاير، ودفعها أرضًا لتسقط، وصوب السلاح من فوق كتف تشانج وأطلق الرصاص، في منتصف وجه أول الرجال، كان هناك عوامل عدة تؤثر في مدى إطلاق النار، طول الماسورة، دقة التصويب، إحكام القبضة على السلاح الثقيل، وقوة الرصاصة، وجودة المعدن، لكن كل هذا لم يكن يهم على بعد سبع خطوات، والوجه البشري هدف واضح وسهل، والرجل لم يكن استثناءً لتلك القاعدة.

ومع قوة الرصاصة وقرب المسافة، اندفع الرجل للخلف، وأصيب رأسه ووجهه بقوةٍ بالغة، بينما جسده يطير للخلف كأنه سقط من هاوية مصعد، التفت ريتشر مسرعًا بحثًا عن الرجل الثالث لأن عقله قال له: إنه سيأتي برد فعل أسرع، فهو لم يكن يلعق شفتيه مثل الرجل الثاني، وكان هناك تعبير من القلق على وجهه؛ لذا هو لم يكن يفكر فحسب في الترفيه القادم، وربما يطلق الرصاص على الفتيات، ضغط ريتشر على الزناد واهتز السلاح في يده، انطلقت الرصاصة، بانج، كحرفي يزاول مهنته، ومثل الرصاصة الأولى التي اخترقت وجه زميله وخرجت من



مؤخرة رأسه، كذا فعلت الثانية، اخترقت شفة الرجل العلوية، لتفجر مؤخرة رأسه خروجًا، وهشمت زجاج النافذة من خلفه، وسقط جسده مسرعًا بقوة الجاذبية، وسارع ريتشر بالالتفات صوب الرجل الثاني في هذا السباق، وريتشر كان على وشك خسارة السباق، رجل واحد أو اثنان ليس بمشكلة، لكن ثلاثة، الثالث يمثل خطرًا حقيقيًّا، صوت الرصاصة الثانية سيعمل على إفاقة الرجل الثاني من ذهوله مما يحدث وسيفكر: نعم معي مسدس في يدي، وسيرفع المسدس عاليًا بسرعة أقل بسبب كاتم الصوت؛ لأن ذاكرته اعتادت حمل المسدس دون الماسورة الطويلة، ولأنه أقل سرعة ستقل جودة التحكم به، رفع الرجل الثاني سلاحه، لقد أوشكت اللعبة على الانتهاء، لكن ريتشر واصل التحرك بما بدا له أنها حركة بالتصوير البطيء عديمة الجدوى، كمحاولة فرك يديك في شتاء قارس، نظر للبايثون في يده ثم لماسورة كاتم الصوت، كلا السلاحين يسابقان الهواء ليصوبا نحو نقطة الموت، أحنى ريتشر سلاحه ليتحرك أسرع كأنه صوت في الهواء؛ ولأن الرجل كان عريض المنكبين ذا صدر ضخم، والتصويب قد أصبح رفاهية لن يتحمل ريتشر ثمنها، البايثون سلاح بقوة مزدوجة مثل البندقية ذات الرصاص المغلف؛ ولذا حرك ريتشر الإبرة وهو يصوب، تراجع الزناد للخلف، الثواني تتداعى، سيخسر السباق، الرجل يصوب سلاحه، يطلق ريتشر الرصاص، وهو يعلم أن الرجل سيبادله الإطلاق لأنه صوب سلاحه بالفعل،



لكنه لم يطلق الرصاص، لقد أصيب عنقه وتطايرت أجزاء منه إثر الإصابة، المشهد كان كرمية كرة في مباراة «بيسبول» .

وبينما الرجل يسقط خرجت الرصاصة من عنقه لتستقر في الحائط من خلفه.. لم يسمع ريتشر صوت ارتطام جسد الرجل بالأرض بسبب دوي صوت رصاصات الماجنم، ومن حول ريتشر كان الجميع في حالة عجز وصدمة، ليديا سقطت أرضًا على ركبتيها وفمها مفتوح إثر صرخة عالية لم يسمعها ريتشر، إيميلي منحنية أرضًا، قبالة جدار الممر، صوت رصاصات الماجنم له تأثير القنابل اليدوية نفسه على الأذن، ثم بدؤوا يتحركون، اندفعت تشانج صوب إيميلي وساعد إيفان زوجته على الوقوف، ثم استدار ونظر حوله، وظل يردد: لن نستطيع الذهاب هناك، كان يتحدث عن غرفة المعيشة وهو يقود عائلته لغرفة النوم، لقد كان في حالة صدمة، أو ربما أراد إعفاء عائلته من رؤية الجثث، ربما لم يرد إفساد مسرح الجريمة للشرطة، غرفة المعيشة تحولت لإيفان إلى مجزرة نجا منها هو وعائلته، جلس أفراد العائلة فوق الفراش في غرفة النوم، عيونهم متسعة، يحاولون الالتزام بالصمت، مسح ريتشر مقبض البايثون ووضعه على الكومود جوار الفراش.

- علينا الاتصال بالشرطة، هناك مسؤولية قانونية.

قالها إيفان فردت تشانج: نعم يا سيدي تلك نصيحتي،



عليك الاتصال بهم.

سألتها ليديا: بيتر قد مات أليس كذلك؟

لم ترد تشانج.

- لقد قتلوه والآن أتوا لقتلي أنا؛ لأنهم يعتقدون أني أعرف ما يعرفه، هذا ما يعتقده الجميع وأنتم أيضًا.

- نحن لا نمتلك دليلًا حقيقيًّا عما حدث لبيتر، لن يكون من الجيد إخبارك بمجرد تخمين ويجب علينا إخبار مايكل أولًا.

- لا بد أنه قد مات هو الآخر.

- لا توجد معلومات تقول: إنه مات.

عمَّ الهدوء في الغرفة قبل أن يقول إيفان: ما الذي سنفعله؟

قال له ريتشر: بأي شأن؟

- هناك جثث في بيتنا.

- هم لم يأتوا لبيتك ليشموا الأزهار، ما حدث كان دفاعًا عن النفس، اقتحموا بيتك بكواتم صوت، وتهديد بالاعتداء، لن يذهب أحد للسجن لما فعلنا، سيحيوننا ويتأكدون من أننا بخير، لكني لا أريد تلك التحية، أفضل لو لم تذكر وجودي على الإطلاق، أنت قتلتهم دفاعًا عن النفس وعن عائلتك، أمسك المسدس، اترك بصماتك



فوقه، ستحصل على اشتراك مجاني في النادي لمدة عام، ولسوف يتزايد عملاؤك، الطبيب البطل.

- هل أنت جاد؟

- أنا لا أهتم، ولو أخبرتهم عني فلن يجدوني أبدًا، لكني أفضل ألا تفعل هذا، أنا وتشانج لدينا الكثير من الأشياء لفعلها؛ ولذا سأرحب ببعض الوقت الإضافي، انتظر ثلاثين دقيقة بعد رحيلنا ثم اتصل بالشرطة وأخبرهم بما تريد، قل لهم: إنك كنت في حالة صدمة ولذا تأخرت في الاتصال بهم.

- ثلاثون دقيقة، بإمكان الصدمة أن تستمر لتلك المدة، حسنًا يا ريتشر موافق.

قالها إيفان.

- فقط أخبر الشرطة أن اثنين فحسب من الرجال كانا مسلحين.

- لماذا؟

- لأني سوف آخذ السلاح الثالث، والشرطة لن تحب هذا.

- حسنًا، سأنتظر ثلاثين دقيقة وأبلغ عما حدث، سأحاول أن أخبرهم عن سلاحين فحسب، أنا أتوتر من الشرطة.

نظر ريتشر لإيميلي وقال: آسف لأن أسبوعك السعيد قد



تَلِف.

قالت له الفتاة: أنا أدين لك بالشكر.

- لا داعي لهذا أبدًا.

خرج ريتشر خلف تشانج التي توقفت لتعانق ليديا، ولتقول إجابة عن كل أسئلتها السابقة: أنا آسفة جدًّا لخسارتك!

أغلقا الباب من خلفهما وسارا في الممر معًا بجانب صور العائلة السعيدة، وصولًا لغرفة المعيشة، حيث جثة الرجل الأول ومسدسه بجانبه في بركة من الدماء، الرجل الثاني كان ساقطًا في بحيرة من دمائه وقد بدا أنه سينزف للأبد، الثالث كان ملتفًا حول نفسه، جثة هامدة، انحنت تشانج صوب المتحدث الرئيسي السابق للمجموعة، وأخذت مسدسه، ثم توقفت بغتة وهمست: ريتشر، هذا الرجل لا يزال يتنفس!



الفصل الثاني والأربعون

انحنى ريتشر صوب الرجل وكذا فعلت تشانج، الرجل مستلقٍ على ظهره، ساقاه مفرودتان بشكل عشوائي، وذراعاه فوق جسده، كان فاقد الوعي أو في حالة صدمة، ربما غيبوبة، ربما كل ما سبق، عنقه كان في حالة فوضى، جرحه غائر، رائحته كريهة، مزيج من الدماء والعرق، رائحة الموت، وشعر ريتشر بنبض خافت.. همس متسائلًا: كيف يمكن أن يحدث هذا؟

- ربما لم تصب أعضاءً حيوية، لا أعلم، ما الذي تريد فعله؟

- لا أعلم، لن نستطيع طلب الإسعاف، سيحضرون الشرطة معهم كما هو معتاد؛ من أجل ضحايا إطلاق الرصاص، ولن نحظى بوقتنا الإضافي، ومن الناحية الأخرى الرجل في حالة مزرية، هو بحاجة لطبيب طوارئ.

- إيفان طبيب.

- نحن لا نعلم اختصاصه كما أنه سيلقى نظرة واحدة على الرجل، ولسوف يتصل بالإسعاف والشرطة فورًا، هو متردد بأمر الثلاثين دقيقة.

- بإمكاننا الرحيل وترك الرجل، من الذي سيعرف؟

- سيكون هذا صعبًا بالنسبة لإيفان، ربما يظل الرجل



حيًّا خلال الثلاثين دقيقة وعندها لن يكون إيفان الطبيب البطل، بل الطبيب الذي ترك رجل ينزف حتى الموت في بيته، بينما هو يجلس في غرفة نومه

وضع ريتشر أصابعه فوق عنق الرجل، على الجرح، ومن الجانبين أسفل الأذنين، وبدأ يضغط، سألته تشانج ملتاعة: ما الذي تفعله؟

- أوردة عنقه تغذي جسده بالحياة.

- لا يمكنك فعل هذا.

- ماذا؟ لقد كان من الجيد قتله للمرة الأولى.. ولكن ليس في المرة الثانية؟

- إنه أمر خاطئ.

- لقد كان أمرًا صحيحًا في المرة الأولى عندما يوشك على الاعتداء عليك مع تهديد السلاح، هل تغير الرجل؟ هل أصبح قديسًا شهيدًا وعلينا إسعافه؟ متى حدث هذا التغير؟

- كم سيستغرق ما تفعله؟

- لن يستغرق وقتًا طويلًا، هو ليس في حالة صحية جيدة.

- هذا أمر خاطئ.

- نحن نسدي له خدمة مثل قتل حصان بساق مكسورة، لن يستطيع أحد إصلاح عنقه.

رن هاتفها، أخذته تشانج من جيبها وأجابت فورًا،



استمعت، همست، ثم أغلقت الهاتف.

- من كان هذا؟

- ويستوود، لقد وصل.

- جيد.

- أخبرته أننا سنعاود الاتصال به.

- جيد.

- لا بد أنهم سمعوا الهاتف وسيعرفون أننا لا نزال هنا.

- سيعتقدون أنه هاتف أحد الموتى في جيوبهم وسيتجاهلونه.

- هل مات الرجل بعد؟

- اقتربنا، بهدوء وسلام مثل الغفو للنوم..

ثم اعتدل ريتشر وتحسس نبض الرجل فلم يجد شيئًا، قال لها: هيا بنا.

***

سيارتهما كانت وحيدة بعد رحيل كل السيارات الأخرى، قادتها تشانج، وانعطفت بها وهي تدير المقود بصمت خارجة من المجمع السكني ومتجه للبوابة حيث الحارس، كل شيء هادئ من حولهم، والجو يزداد حرارة، البوابة كانت مفتوحة على مصراعيها والحواجز الأمنية مرفوعة، بدت البوابة كطائر ضخم على وشك



طهيه، لم يكن الحارس هناك، أوقفت تشانج السيارة، الأرض كانت ساخنة تحت قدم ريتشر بعدما ترجل من السيارة وتشانج تقول: لنتفقد الحارس.. وسمع الأول صوت ذباب حوله، نافذة بوابة الأمن كانت مفتوحة، حيث انحنى منها الحارس للتحدث مع الوافدين، أتمنى لكما قضاء ليلة سعيدة، هذا ما قاله لريتشر وتشانج، مكيف الهواء يعمل بقوة محاولًا مجاراة الجو داخل غرفة الحارس، الأخير كان مستلقيًا على الأرض، غارقًا في دمائه، لقد كان يحتضر ويحاول الزحف للخارج قبل أن تفارقه الحياة، عاد ريتشر للسيارة وقال لتشانج: الحارس لن يتقدم في العمر ويصاب بالشيخوخة!

- حسنًا هذا يجعلني لا أشعر بالسوء إزاء مساعدتك في خنق الرجل الثالث.

- ويجعلني أتمنى لو أني لم أخنقه، بل قطعت رأسه بسكين مطبخ.

قادت تشانج السيارة خروجًا من البوابة، منعطفة بشكل عشوائي يمينًا ويسارًا، لم يسمعوا سرينة الشرطة والإسعاف بعد، سألته تشانج: أين سنذهب؟

- لنجد مقهى، أنت بحاجة لإجراء مكالمة هاتفية.

توقفا عند مركز تسوق في وادي «بأراديس» وجلسا في مقهى يقع بين محل بيع ملابس جلدية ومتجر أطباق وأوانٍ صينية، طلبت تشانج قهوة مثلجة، وحصل ريتشر



على قهوة سوداء ساخنة، جلسا على منضدة مقابلة للحائط، وقال ريتشر: أخبري ويستوود أن يختار فندقًا مناسبًا يلائم ميزانيته وقولي له: إننا سننضم إليه خلال ساعتين.

- لماذا ساعتين؟

- هل لديكم مكتب هنا في فينكس؟

- طبعًا هناك العديد من عملاء المكتب الفيدرالي هنا.

- نحن بحاجة لمعلومات محلية.

- بشأن الرجال الثلاثة؟

- بشأن رئيسهم، والذي هو أيضًا رئيس هاكيت، مزود خدمة الأمن لـ«استراحة الأم»، رجل كهذا سيمتلك عددًا من العملاء، خدمة اقتصادية متميزة، لقد بدا لي كرجل ضخم البنية على الهاتف، والرجل الذي تحدث كثيرًا في منزل آل لاير دعاه بالرجل البدين، هل سمعتيه وهو يقول هذا؟ وهو يشتكي من أنه لن يحصل على أجر إضافي، وعدم قدرته على إعادة التفاوض بشأن الصفقة، وكيف أن تلك هي قواعد الرجل البدين، نحن بحاجة لاسمه، زعيم منظمة إجرامية، بدين من أوروبا الشرقية، يقطن في فينكس، ولديه عمالة من بلطجية شرق أوروبا، سيكون من الجيد الحصول على المواقع التي يرتادها.

- لماذا؟

- أريد زيارته.



- لماذا؟

- من أجل إيميلي، وأخت مكاين، والحارس، والآن ظهري يؤلمني وكذلك رأسي.. لا يمكن السماح ببعض الأشياء أن تستمر.

- وبعض الأشياء لها منافع جانبية!

قالتها تشانج وهي تومئ برأسها فأجابها.

- بالضبط.

- «استراحة الأم» ستفقد شركتها الأمنية، قبل أن نعود إليها.

- هل رجلك المحلي سيوفر لنا تلك المعلومات بخصوص رئيس هاكيت؟

- لو كنا في سياتل كنت سأصل لتلك المعلومات.

اتصلت تشانج بويستوود، وطلبت إليه أن يحجز فندقًا من اختياره، قبل أن تبحث في قائمة الأسماء عن رجلها المحلي في فينكس، سيكون مثلها هي وكييفر، مكتبه هو غرفة نوم احتياطية، وجهاز فاكس وهاتف وحاسب في منزله، كما قالت تشانج، لديهم مكاتب في كل صوب، تركها ريتشر وذهب لدورة المياه ليتفقد جسده بحثًا عن دماء أو جروح، سواء كانت دماؤه أم لا، أي أثر للمجزرة، ذات مرة اعتقل رجلًا لأن سن ضحيته كان معلقًا في فروة رأسه بعد القتال، غسل ريتشر يديه ومعصمه، وجبهته،



بالكثير من الصابون، ليتخلص من آثار البارود، عاد للمنضدة لتقول له تشانج: اسمه ميرشينكو، من يوكرانيا.

- هل هو بدين؟

- شديد البدانة.

- أماكن معروفة له؟

- يمتلك ناديًا خاصًّا، جنوب المطار.

- حراسة أمنية؟

- لا نعلم.

- هل يمكننا دخول النادي؟

- أعضاء فقط.

- بإمكاننا التقديم على وظيفة هناك، بإمكاني العمل كحارس.

- وماذا سأعمل أنا؟

- يتوقف على نوعية النادي.

- أعتقد أن كلانا يعرف نوعية هذا النادي.

- هذا أمر لا بأس به، علينا الذهاب الآن، لرؤية المكان في ضوء النهار.

لم تكن منطقة جنوب المطار كلها منطقة سيئة وممتلئة بتلك النوعية من النوادي، كانت شديدة الاتساع ونادي



ميرشينكو كان عبارة عن مبنى معدني بحجم استاد نيوروك (اليانكيز)، لكنه مربع، ممتلئ بالممرات، الحوائط مطلية باللون القرمزي، بها ديكورات مصممة على شكل «بالون» ضخم، وقلوب وشفاه حمراء، وحولت أشعة الشمس القوية لون الجدران للرمادي، الأبواب كانت قرمزية كذلك، واسم النادي كان «قرمزي».

سألت تشانج: هل نخاطر بمحاولة الدخول من الخلف؟

- الوقت مبكر، ستكون مخاطرة آمنة.

انعطفت تشانج بالسيارة يسارًا، وقادت لأقصى اليمين، بجوار القلوب والشفاة على الحائط، لم يكن هناك ازدحام، ثم رأوا بقعة شاغرة، تخيل ريتشر التَّمَالَى بداخل النادي، ثم عاد بناظريه للبقعة الشاغرة خلف المبنى، كان هذا أمرًا منطقيًّا، نادٍ بهذا الحجم بحاجة لبقعة شاغرة لاستقبال الشحنات، وصناديق البضائع، والتخلص من النفايات، انفتحت إحدى البوابات وقال ريتشر: توقفي.

أوقفت تشانج السيارة وتراجعت بالسيارة لترى المشهد بشكل أفضل وهي تقول: لا أصدق.

بالداخل كانت هناك مجموعة من حاملي النفايات، ومن خلفهم استقر مطبخ ضخم، ومنطقة تدخين للطهاة والنُّدُل، وعلى محفة انتظار جلس رجل بدين يدخن سيجارًا غليظًا ويتحدث مع رجل لاتيني، يرتدي فانلة داخلية، وقبعة، ينظر أعلى الرجل البدين.



ربما كلمة بدين لا تكفي لوصف الرجل، لقد كان هائل الحجم، أشبه بجبل، وبدت محفة الانتظار كقزم مقارنة به، يرتدي قميصًا رماديًّا طويلًا، وينحني للخلف مسترخيًا، لأن معدته الكبيرة كانت تمنعه من الانحناء للأمام، كان يمتلك ترهلات هائلة ككرات السلة الطائرة، ذراعاه مستلقيتان للخلف، كان هائل الحجم بالفعل كما وصفته تشانج من قبل، شديد البدانة، ورأسه أصغر من جسده، لونه مائل للحمرة بفعل أشعة الشمس، وعيناه ضيقتان، وحلقة شعره كانت مماثلة للرجال الثلاثة القتلى.

- يبدو كأنه هو الزعيم، وهو يؤنب هذا الرجل ذا الفانلة لسبب ما.

وقد كان يؤنبه بالفعل دون عظة أو صياح بكلمات هادئة وواثقة، وتلك الطريقة كانت أكثر فعالية، ولم يبدُ أن الرجل ذا الفانلة البيضاء يستمتع بالموقف على الإطلاق، كان يحدق في الهواء بجسد متأهبًا ينتظر انتهاء تلك اللحظة الطويلة.

قالت تشانج: علينا أن نكون متأكدين، ربما هو نائب ميرشينكو، ربما يكون أخاه أو ابن عمه.

- هل ذكر رجلك المحلي أي أقارب له؟

- لم تقل شيئًا بهذا الخصوص.

- هل لك أن تتأكدي؟



أجرت تشانج مكالمة هاتفية، في حين راقب ريتشر الرجل البدين، لم يكن ليذهب لأي مكان قريبًا، كان لا يزال يتحدث، سألت تشانج سؤالها، وحظيت بإجابتها قبل أن تنهي المكالمة.

- لا أقارب معروفين.

- يبدو كأنه الزعيم.

قالها ريتشر مجددًا.

- إلا أنه بلا حماية شخصية، لا حراس بنظارات سوداء وسماعات أذن، ومن المفترض أن يكون هذا الرجل زعيم منظمة إجرامية، ويجلس هكذا في الشارع دون حماية.

- ربما هو واثق بنفسه.

- ثقة زائدة، ربما هو يعتقد أننا في عداد الأموات، ولا يوجد لديه شيء آخر ليقلق بشأنه، سيكون هو في قمه الهرم البشري، المفترس دون منافس.

- لو كان هو رجلنا.

- لا نستطيع الجزم.

- ليتنا نستطيع بإمكاني إطلاق عليه النار من مكاننا هذا.

- حقًّا؟

- كلا ليس حقًّا مجرد مبالغة، ليس بمسدس على أية حال، علينا الاقتراب منه.



- ربما هناك حراس خلف البوابة.

- محتمل، لكنه سيراعي صورته الشخصية وكبرياءه، لو كان هناك حراس سيكونون خلفه وليس عند البوابة.

- أو ربما هو ليس رجلنا.

- هو يبدو كأنه رجلنا، رجل بدين، يرأس الجميع، ويُرسي القواعد.

- علينا التأكد.

- لن نتمكن من التأكد، لن نذهب ونطلب رؤية بطاقته، كما أني لا أرى جيوبًا في سرواله، لا أعتقد أنه يحمل بطاقة.

- إنه يرتدي «قفطان»(12).

- ها؟

- ما يرتديه.

- علينا التيقن فتلك فرصة ذهبية هو يجلس أمامنا الآن.

- وتلك هي المشكلة الأمر أجمل من أن يكون حقيقيًّا.

- ربما هو واثق بنفسه كما قلنا، يمارس روتينه المعتاد في هذا الوقت من اليوم، ربما هو يخرج يوميًّا هنا ليدخن السيجار، ويتابع موظفيه.

- وكم من الوقت سيظل كهذا؟



- إنه سيجار كبير، وهو يدخنه ببطء.

- لن نحظى بفرصة أفضل من الحاليَّة.

- وهي لن تدوم للأبد، لكن علينا التأكد.

لم يقل ريتشر شيئًا.

واصل الرجل البدين حديثه، وهو يزداد حِدَّة، ويشير لرأسه عدة مرات، بينما لحم عنقه يهتز، قال ريتشر: أعتقد أنه ينهي كلامه، يقول الملخص ويراجعه لمحتوى حديثه، وقتنا ينفد نحن بحاجة لاتخاذ قرار.

صمتت تشانج قبل أن تقول: انتظر، وأخرجت هاتفها، وفتحت الكاميرا، وأظهرت الشاشة الماثل أمامهما: الأشجار، والمبنى، والبوابة المفتوحة، والرجل البدين، ضغطت تشانج زر التقاط، تشاك، وأرسلت الصورة لرجلها، أو امرأتها للدقة في فينكس، وهي تقول: لقد طلبت منها أن نتعرف على الصورة، أتمنى أن ترد بسرعة..

وضع الرجل البدين يديه على المحفة، في الأغلب إشارة من لاوعيه أنه يستعد للوقوف، بينما هو يواصل الحديث وجسده يرتج، والرجل ذو الفانلة يقف في صمت ويتلقى الحديث.. قال ريتشر: سيرحل، تلقت تشانج صوت رسالة على هاتفها، نظرت للشاشة وقالت: أو، بالله عليك، فسألها ريتشر: ماذا؟

- تريد صورة أوضح وأقرب.



- هل نحن في محكمة؟

رفعت تشانج هاتفها مرة أخرى، واستخدمت خاصية التقريب تلك المرة، والتقطت الصورة مرة أخرى، بينما التفت ريتشر والتقط المسدس من الخلف من باب الاحتياط، سمع صوت إرسال الرسالة، وأبقى المسدس منحنيًا، كان سلاحًا بسيطًا وفعالًا وليس بشيء فاخر مثل سيارة محلية، مثل السيارة التي يجلس فيها في تلك اللحظة، وتذكر ريتشر حارس الأمن على البوابة «أتمنى لكم قضاء أمسية سعيدة».. انتظر ريتشر..

رفع الرجل البدين خاصرته لأعلى، تلك طريقته الخاصة في الوقوف، سيدفع نفسه من الخلف بيديه ليقف ببطء، لن يقضي عمره كله في تلك البقعة.

- لقد نفد وقتنا.

قالها ريتشر، ثم تحدث الرجل اللاتيني ذو الفانلة فجأة، ربما يقول له اعتذار عاطفي، ووعود مستقبلية، وفيما يبدو أن الرجل البدين أراد أن يعلق أو يرد على شيء في الكلام؛ لأنه عاد للجلوس بارتياح مرة أخرى، وبدأ في الحديث مرة أخرى.

أصدر هاتف تشانج صوت تلقي رسالة فنظرت لهاتفها قبل أن تقول: الآن نحن واثقون تمامًا من أن هذا الرجل هو ميرشينكو.



الفصل الثالث والأربعون

قادت تشانج السيارة عدة أميال، ثم انعطفت بها وعادت ببطء للتوقف بجانب الرصيف المواجه للبوابة، وقدر ريتشر المسافة بحوالي ستين مترًا للبوابة، وعشرين للهدف، فتح باب السيارة وترجل منها، لم تكن هناك طريقة لإخفاء السلاح الطويل فحمله خلف ساقه، سار على الرصيف قبل أن يستدير متجهًا للباحة، لم يكن هناك حراس، فقط كان حاملو النفايات أمامه، ومن خلفهم الحديقة والمحفَّة التي يجلس فوقها الرجل البدين، لا يزال يتحدث، ولم يرَ ريتشر.. بعدُ، بينما الرجل اللاتيني لا يزال واقفًا أمامه، بدأ ريتشر في سماع صوت الرجل البدين وهو يقترب، الأخير لا يزال يحدق باللاتيني، ثم التفت برأسه ورأى ريتشر وفتح فمه عن اتساعه، ورفع ريتشر المسدس عاليًا.

في حكايات الأطفال بجانب المدفأة ليلًا هناك دومًا مواجهة مع الشرير، حيث يخبره البطل بأفعاله، ومدى الأذي الذي يستحق العقاب عليه، مثلًا: إيميلي لاير، وبيتر، وليديا، وحارس البوابة، وعائلته التي فقدته، تلك الأشياء ستحول من الحكاية لقصة كلاسيكية عندما يتم قصها ليلًا جوار المدفأة، لكن الحكايات تختلف عما يحدث في العالم الحقيقي.. لم يقل ريتشر شيئًا، وأطلق الرصاص على رأس الرجل مرتين، بوب، بوب، الصوت الخاص بكاتم الصوت، ونظر بعدها لباب المطبخ الذي ظل مغلقًا، لم يسمع أحد شيئًا، كاتم الصوت أدى مهمته



بنجاح، استدار ريتشر، ومن خلفه صاح الرجل اللاتيني بلغته الأم: شكرًا لك يا رجل.

ابتسم ريتشر، هو أشبه بملاك منقذ من السماء لهذا الرجل، في الأغلب هذا ما كان يفكر به الرجل اللاتيني طيلة وقت المحادثة مع ميرشينكو، يا ليت أحد يأتي ويقتل هذا الوغد الآن، معجزة حقيقية، وسيتحدث اللاتيني أن دعاءه مستجاب في قداس يوم الأحد بطبيعة الحال!

عاد ريتشر للباحة، ومنها للسيارة، بخطوات سريعة غير متعجلة، ومسح المسدس على قميصه، متخلصًا من بصمات، ثم رماه في سلة مهملات، وواصل مسيرته، مرورًا بالبوابة، ورأته تشانج يقترب قبل أن يدلف للسيارة، أدارت هي المحرك وتحركت بعد ركوب ريتشر مبتعدة.

***

اختار ويستوود فندقًا فاخرًا بالقرب من سكتوسدال، ولم يكن هناك ازدحام في الطريق بسبب غروب الشمس وانقضاء ساعة الذروة، وجداه في البار الخاص بالفندق، بلحيته وشعره المتطابقين وملابسه نفسها، كان يقرأ كتابًا عن حشائش الماريجوانا، ربما هذا هو موضوع مقاله القادم.

جلست تشانج وقصت له باقي ما حدث، بينما ذهب ريتشر وغسل يديه متخلصًا من آثار البارود، عندما عاد سأله ويستوود: هل تعتقد أن للصحفيين مبادئ؟



- أنا واثق من أنها تختلف حسب الشخص.

- عليك أن تأمل أني لا أمتلك مبادئ؛ لأن تفسير ما قالته مس تشانج هو أنك ارتكبت جريمة قتل اليوم.

- جريمتا قتل.

- هذا ليس بشيء مضحك.

- ارحل إذا أردت، إنها حقوق كتابك أنت التي ستخسرها، بإمكان شخص آخر الكتابة عن القصة بعدما ننتهي.

- وهل هناك قصة؟

- هناك ثلاثة أجزاء لم نتأكد منها بعد.

- وهي؟

- البداية.. الوسط.. والنهاية.

صمت ويستوود لبرهة مفكرًا ثم قال: لقد سمعت عن ميرشينكو من قبل، عندما كنت أعمل على مقالة الشبكة الخفية، الشائعات قالت: إنه يقدم لعملائه قائمة من الخدمات، وهو يضمن إخفاء موقعك الإلكتروني، وسيتولى حل أي مشكلة، كأنه نوع من الاشتراك، تحصل على كل المميزات للخدمة، اليوكرانيون دخلوا مجال العمل الإلكتروني مبكرًا، لم أستطع الكتابة عن ميرشينكو؛ لأني لم أمتلك أي دليل، ولم يكن القسم القانوني بالمجلة يتركني أفعل هذا.



- كم عدد عملاء ميرشينكو؟

- عشرة، حسب ما قاله الناس، قرابة العشرة، نوع من المجموعة الصغيرة.

- كلا، لا مجموعات صغيرة هنا، لقد كان يمتلك نادي تعرٍّ أكبر من استاد «دودجر»، مطلي باللون القرمزي، لقد كان يحب التباهي، والأشياء الكبيرة.

- عشرة هو ما سمعته.

- إذن المال سيكون هو القدر الكبير هنا، عشرة عملاء كل واحد منهم يدفع له ثروة.

- محتمل، على أية حال الشبكة الخفية أكثر بمئات المرات من الشبكة الظاهرة أو التي على السطح، القليل منها يدر المال على ما أعتقد، ولكن الأقل يحتاج للمال، في عالم كبير كهذا.. لا بد أن هناك طريقة ما غير منتشرة لجلب الثروات من الشبكة الخفية لكني لا أتخيلها..

- هل بَنَتِ الحكومة محرك بحث قادرًا على إظهار مواقع الشبكة الخفية؟

سألت تشانج، قال ويستوود: لا.

- لهذا السبب كان مكاين يتصل بك.

- إذن هو كان يسأل الأسئلة الخاطئة، أو يسأل السؤال الصحيح بطريقة خاطئة، أنا أفقد اهتمامي عندما يبدأ



المتحدث في الحديث عن الحكومة، وأتوقع نظرية مؤامرة أخرى، مثل اختبار عباد الشمس (11)، أعني من الذي سوف يبني محركات بحث حكومية؟ مهندسون برامج؟ مبرمجون؟ مشروع كهذا يحتاج لمبرمجين، وأفضل المبرمجين يعملون كمغنيين روك الآن، لديهم وكلاء ومديرو أعمال ويحظون بربح هائل، الحكومة لن تتحمل تكلفتهم، ولن توظفهم أيضًا، المبرمجون ليسوا مسؤولين، هم شباب غرباء الأطوار لهم عالمهم الخاص.

- وما هو السؤال الصحيح الذي كان يجب على مكاين طرحه؟(10)

- كان عليه البحث في وادي «السيليكون» والسؤال عنه بدلًا من الحكومة.

- هل قام أحد في وادي «السيليكون» ببناء محرك بحث كهذا؟

- كلا.

- مكاين شعر أن هناك تلميحًا في مقالتك عن محرك بحث كهذا.

- لقد طرحت سؤالًا فحسب، ما هو الدافع، لجوجل مثلًا، أن تفعل شيئًا كهذا، محرك كهذا سوف يساعد السلطات القانونية، ولكنه لن يدر مالًا، لو أراد أفراد الشبكة الخفية التسويق والإعلان لذهبوا للشبكة الظاهرة



وفعلوا هذا، المغزى من كلامي أن أحدًا لن يفعل هذا، هم لا يريدون الظهور ولا الإعلان ولا التسويق، وبناء محرك بحث كهذا سيجعلهم يختفون أكثر فحسب، ولن يجني أحد، من أي الأطراف أي ربح، فلماذا سيفعل أحد شيئًا كهذا؟

- لقد اتصل بك مكاين تسع عشرة مرة، لا بد أن التلميح كان حقيقيًّا.

- لقد قلت: إن شخصًا آخر سيفعلها، ولا بد أنه افترض أني أتحدث عن الحكومة، لكني لم أكن أقصد هذا على الإطلاق، وشركات عملاقة مثل جوجل لم تكن دومًا بهذا الحجم، لقد كانوا صبية في مرآب يحلمون، بعضهم أصبح مليونيرًا والبعض لم يصبح، وهؤلاء أصبحوا يحلون مشاكل تساوي الملايين، إنها مسألة تخص الشخصية، وليست المشكلة بحد ذاتها، وفكرتي كانت أنه ربما بعض من هؤلاء الخبراء الذين لم يطاردوا الملايين واهتموا بحل المشاكل قد يبنون محرك بحث قادرًا على إظهار الشبكة الخفية.

- إذن مقصدك كان أن بعض الصبية المراهقين في مرآب بيتهم سيبنون محرك البحث؟

- لم أقصد مراهقين ومرآبًا بالأخص، لكني أعتقد أنهم سينجذبون لتلك المشكلة، هذا التحدي، وسيريدون حله؛ لأن تلك هي شخصيتهم، ولكن في المعتاد لن يحظوا بربح



مادي؛ ولذا سيعملون في وظيفة يومية، ويصبح الأمر هواية لهم، لكنهم سيعاودون لطرق الموضوع كل حين وآخر، لن ينتهوا منه بسبب التكلفة والوقت، ولكن تلك ليست بعقبة حقيقية عندما يصبح الأمر هواية، في الحقيقة هذا هو المغزى من امتلاك هواية.

- ومَن تحديدًا الذي كنت تلمح عنه؟

- هو يمتلك شركة صغيرة في «بالو التو»، في التاسعة والعشرين، حاليًّا يعمل في مجال أنظمة الدفع الإلكتروني، ولكن عندما كان طالبًا أخبره أحدهم أنه لا يستطيع البحث عن الشبكة الخفية، وهكذا بدأ الأمر، بدُعابة تقنية ليس أكثر، لا مال ولا شيء في الأمر، هواية فحسب، هو يعترف أن للعجرفة والغرور دورًا في الأمر، بعض غرباء الأطوار يحبون هذا، أن يتفوقوا على باقي غرباء الأطوار.

- هل اقترب من الانتهاء من تصميم المحرك؟

- هذا سؤال من المستحيل إجابته، كيف سيعرف؟ ربما يرى أجزاءً واضحة منه خلال اليوم لكن هذا كل شيء.

- أنا لا أفهم لماذا لم تكتب عن هذا في مقالتك، هذا جزء مهم من القصة.

- الرجل لم يتركني أكتب عنه، كان خائفًا من رد فعل أفراد الشبكة الخفية، بعض تلك المواقع لا تريد لأحد أن يجدها، هذا الرجل هو الذي أخبرني عن ميرشينكو، هواية خطرة كتلك قد تجعلك هدفًا سهلًا، هو رجل واحد رغم



كل شيء، ومن حقه أن يخاف، وطبقًا لما حكيتمانه لي فإن لديه سببًا للخوف كذلك مع أني اعتقدت أنه يبالغ حينذاك ويميل للدراما لأنه يعيش في عالمه الخاص.

قال ريتشر: علينا مقابلته.

- لن يكون هذا سهلًا.

- حاليًّا كل ما نملكه هو قيل وقال، ولكن الواضح أن مايكل مكاين استخدم الشبكة الخفية ودخل هذا العالم، وذهب بعدها لـ«استراحة الأم»، علينا فهم هل هناك علاقة بين الاثنين؟

- أنت تعتقد أن «استراحة الأم» تستدرج الناس للشبكة الخفية؟

- لقد رأينا شخصين يترجلان من القطار للبلدة، يقضيان ليلتهما في النزل هناك، ثم تقلهما سيارة كاديلاك بيضاء لمكان غير معلوم.

قالت تشانج: هما لا يمتلكان شبكة هاتف، كيف سيمتلكان إنترنت؟

صمت ويستوود، ثم قال ببطء: علينا الذهاب لمكان أكثر خصوصية.

***

في «استراحة الأم»، جلس الرجل ذو السروال الجينز والشعر الأنيق ينتظر المكالمة الهاتفية، بنفاد صبر، يحاول



ألا يتعجل في رد فعل، أو يتصل هو أولًا، آخر مرة اتصل في موعد غير محدد شعر بأنه يظهر قلقه، «لنفعل ما نجيده»، كلا، هم لم يفعلوا هذا، ليس بعد، لن يستطيع الانتظار، التقط سماعة الهاتف وأجرى الاتصال، ولم يتلقَّ ردًّا.

***

وجد ريتشر وتشانج أن ويستوود قد حجز ثلاث غرف، غرفة مستقلة لريتشر، وأخرى لتشانج، وعندما استوعب خطأه لم يبدُ عليه الإحراج ولا القلق، اختار الغرفة الأقوى في شبكة «الواي فاي»، وقال لهما: إنه سيجعلها المكتب الخاص بعمليتهم، وأخرج حاسبه الآلي ووضعه على الكومود ليعطي الغرفة إيحاء المكتب، وجلس كل من ريتشر وتشانج فوق الفراش، قال لهما ويستوود: أنتما ذكرتما «استراحة الأم» من قبل، في البداية، وقد قمت ببحث شامل عنها، أي صحفي جيد لديه مصدران؛ لذا تفقدت خرائط جوجل، ووجدتها، رغم أنها غير مدرجة في السجلات، وهي تبدو كمحطة صغيرة في الخريطة، في منتصف العراء، كأن المقاطعة بأكملها اللهم إلا من تلك البلدة؛ ولذا قمت بالعبث قليلًا في خريطة القمر الصناعي واقتربت بعدسة التكبير من البلدة، ورأيت بناءً حوالي عشرين ميلًا جنوب البلدة، المبنى الوحيد الموجود، ومعزول تمامًا؛ لذا اقتربت منه أكثر بخاصية التكبير.

وأدار حاسبه ليريهما: وهذا ما رأيته.



كان هناك بيت متوسط الحجم، خلفه مبنى توليد كهرباء، ومزرعة خنازير ودواجن، ومساحة ركن سيارات، وعمود خاص بشبكة الهاتف، المزرعة تقبع أمام بيت وجوارها العمود، بينما مبنى الكهرباء في الخلف، رغم أنهم كانوا في وقت الليل لكن صور القمر الصناعي لم تكن ببث مباشر؛ ولذا رأوا المشهد في ضوء النهار.

- هناك جهاز التقاط إشارة قنوات من القمر الصناعي كذلك.

- من أجل التلفاز.

- حسنًا، هناك ثلاثة منهم، اثنان للتلفاز، أعتقد أن الثالث لغرض آخر، فشكله مختلف.

- قنوات أوروبية؟

- أو للإنترنت، يحصلون على خدمة إنترنت مستقلة وآمنة بمولد كهرباء خاص بهم.

- هل نستطيع الجزم من شكل الأجهزة؟

- نحن بحاجة لمعرفة تاريخ التقاط جوجل لتلك الصورة.

- علينا إلقاء نظرة داخلية، نحن بحاجة للحديث مع رجلك ذي محرك البحث الخاص بالشبكة الخفية، قد يساعدنا هذا في معرفة فيمَ يستخدمون الإنترنت هناك؟

- بإمكاني محاولة سؤاله.



- أخبره أن ميرشينكو قد مات، أخبره أنك أرسلت من يقتله، وأن كل المبرجمين يدينون لك بمعروف الآن.

لم يعلق ويستوود.

التفت ريتشر صوب الشاشة وقال: أين هذا الموقع بالضبط؟

أجابته تشانج: عشرون ميلًا جنوب «استراحة الأم».

اقترب ريتشر من الشاشة واستخدم عدسة التكبير، حركها ليجعل المزرعة أصغر حجمًا ويكبر من حقل القمح، وهو ينتوي الذهاب بالخريطة للبلدة ذاتها، ليقيس المسافة الجغرافية، ولكن قبل أن يحدث هذا، أظهرت الصورة خطًّا مستقيمًا وقال ريتشر: ما هذا؟

- قضبان السكة الحديد.

- أرني إياها.

أمسك ويستوود بالحساب وحرك الشاشة، واقترب من خط السكة الحديدية، والمزرعة على مقربة ثلاثة أميال، قال ريتشر: أنا أتذكر تلك المزرعة.. عندما كنت في القطار وفي طريقي لـ«استراحة الأم»، قبل عشرين ميلًا من البلدة، لقد كان هناك عمال، وجهاز جرار زراعي على ما أعتقد، في منتصف الليل.

- هل هذا تصرف طبيعي؟

- لا أعلم.



- لقد افترضنا أن الكلاديلاك تذهب في رحلة عشرين ميلًا عندما حسبنا الوقت لو نتذكر، عشرون ميلًا ذهابًا وعشرون أخرى إيابًا، والآن نحن نعلم الوجهة، حيثما ذهب الرجل والمرأة من النزل، بحقائبهما، ولكن ماذا بعد وصولهما هناك؟

لم يرد أحد

تساءل ويستوود: هل يستخدم المزارعون الشبكة الخفية؟

- أحدهم يستخدمها، نحن بحاجة لمحرك البحث.

- هذا الرجل يتقاضى أجرًا نظير عمله؟

- لا أحد يعمل دون مقابل، هذا شيء تعلمته.

- هو لن يأتي إلى هنا، سيتحتم علينا الذهاب لسان فرانسيسكو.

- كأننا متشردون في عام ١٩٦٧.

- ماذا؟

- لا شيء.

بعد عشر دقائق كان ريتشر وتشانج في الغرفة الأخرى ذات تغطية «الواي الفاي» الأضعف..



الفصل الرابع والأربعون

استيقظوا في الصباح الباكر، وأشعة الشمس تتسلل من الستائر المفتوحة، صباح مشابه لمثيله في شيكاغو، وقد مرَّ أربع وعشرون ساعة فحسب منذ أن أشرقت الشمس عليهم حينئذ، ريتشر كان يفكر في نظريته بخصوص المزرعة في جنوب «استراحة الأم»، بينما كانت تشانج تشاهد النشرة الإخبارية، وتفكر هل سيخرجان من فينكس أم ستصل إليهما الشرطة بسبب جريمة القتل الخاصة بالرجل البدين، أحد المذيعين كان يتحدث عن مقتل الرجل، وافترض أنه إعدام خاص بالمنظمات الإجرامية، وكان هناك شريط أخبار بعنوان: عصابات موسكو تصل لفينكس، وصورة للنادي، وقد افترض ريتشر أن هذا سيزعج الأوكرانيين؛ بسبب الخلط بين البلدين، هم عصابات مستقلة ونخورون بوطنيتهم الآن.

مذيع آخر كان يتحدث عن حادثة اقتحام منزلي بغرض السرقة تحولت لمأساة، وكان هناك مدح للناجين خصوصًا الطبيب المحترم ذائع الصيت الذي دافع عن منزله وعائلته وقتل المعتدين، وبهذا يكون قد أنقذ ابنته من مصير أسوأ من الموت، عرضوا صورة لإيفان لاير من على بعد، وهو يلوح بيده في تواضع بينما الإعلاميون يوجهون الأسئلة له، لقد بدأت أسطورة الطبيب البطل بالفعل، بعدها ظهرت لقطات لإيميلي، وقد غيرت قميصها ورداء البحر وارتدت سروالَ جينز وقميصًا آخرَ صيفيًّا، وليديا تقف بجوارها تنظر



للأرض.

وقالت المذيعة الثالثة إنها حظيت بتصريح من قسم الشرطة بأن الحدثين -الاقتحام المنزلي وجريمة القتل في نادي التعري- قد يكونان مرتبطين، وأن المقتحمين القتلى شركاء للضحية في قتله رميًا بالرصاص عند نادي التعري، وأضافت المذيعة الرابعة أن مكتب المدعي العام أدلى بتصريح أن ما فعله د.إيفان لهو قتل مبرر(9)، وأدلى أيضًا المكتب بإفادة أن سلاح القتل المستخدم في جريمة نادي التعري قد تم استعادته من صندوق نفايات لكنه كان بلا بصمات؛ ولذا لا يوجد مشتبه بهم حتى الآن، ولسوف يستمر التحقيق، ظهر بعدها اختصاصي طبخ يتحدث عن عشر طرق لطهو الدجاج.

نظرت تشانج لريتشر وسألته: هل أنت بخير؟

- على قمة العالم، إلا أن رأسي لا يزال يؤلمني.

- لا رد فعل؟

- بخصوص ماذا؟

- كل هذا.

قالتها تشانج مشيره للتلفاز، هز ريتشر كتفيه مجيبًا: هناك طنين في أذني.

- ليس هذا ما أقصده.

- أنا أترك الناس لشأنهم في حالة تركوني لحالي، هم



الذين بدؤوا وليس أنا.

- أنت لست غاضبًا؟

- هل أنت غاضبة؟

تجاهلت تشانج السؤال وقالت: ما هي الآلة التي رأيتها في المزرعة في منتصف الليل؟ قلت: إنك لم تكن متأكدًا.

- لقد كانت نقطة بعيدة من على مسافة طويلة، كان هناك أضواء كشافات، سقف معدني، شاحنة، تخميني جرار زراعي، أو حفار آلي، كانت تعمل بقوة، وهناك غبار حولها في كل صوب.

- أعتقد أنها كانت حفارًا.

- لماذا؟

- تلك ليلة اختفاء كييفر.

فكر ريتشر، ثم قال: ربما كانت حفارًا.

هنا أجابت تشانج سؤاله، ببطء: لهذا أنا لست غاضبة، كان من الممكن أن أكون الجثة التي يتخلصون منها، لو كان مايكل قد اختفى في سياتل، وبيتر مكاين تواصل معي أنا، فأذهب أنا لـ «استراحة الأم» وأتصل بكييفر من أجل طلب الدعم، كان الممكن أن تكون أنت هنا مع كييفر تبحثون عني أنا.

- انسي تلك الفكرة.



- أنت تعلم أن هذا كان من الممكن أن يحدث.

- أنتِ كنتِ ستتعاملين مع الأمر بشكل أفضل.

- كييفر كان ذكيًّا يا ريتشر.

- كان؟

- علينا مواجهة الحقيقة عاجلًا أم آجلًا؟

- حسنًا كييفر كان ذكيًّا، ولكن ليس بما فيه الكفاية لقد ارتكب خطأ.

- أي خطأ؟

- ربما الخطأ نفسه الذي أوشكتُ على ارتكابه، لقد استهان كييفر بهم، لو كانوا حقًّا قد دفنوه في فناء المزرعة الخاصة بهم؛ فهذا يعني أن ميرشينكو لم يكن متورطًا، ليس بعد، هذا كان فعلهم الخاص، دون مساعدة، هم أكثر خطورة مما كنّا نتوقع.

- هم لم يبدو بتلك الخطورة.

- تمني الأفضل، وخططي من أجل الأسوأ.

***

اجتمع الرجال الثمانية في «استراحة الأم» مع حلول الصباح داخل متجر المنتجات الجافة، وكما حدث في الاجتماع السابق كان أول الحاضرين هو صاحبَ المتجر ذا القميصين الصيفيين، طليق لحية الوجه وغير مهندم،



انضم بعدها بائع قطع الغيار ومعه سائق الكاديلاك، والموظف ذو العين الواحدة الخاص بنزل البلدة، والمزارع، أتى بعدها مسؤول الحسابات من المطعم، وابن العم موهينيان الذي تلقى ضربًا مبرحًا من ريتشر، وأخيرًا وصل الرجل الثامن بعد خمس دقائق، لم يقل أحد من الرجال شيئًا، ظلوا صامتين بانتظاره أن يبدأ الحديث، وقد بدأ هو بالفعل: الأنباء ليست سارة، ثقتنا بالمساعدة الخارجية لم تكن في محلها، ولم تكن قائمة خدماتهم فعالة، نحن وحدنا الآن وعلينا التصرف.

ظلوا صامتين وإن اعتلى وجوههم تعبير من «عندما كان يسير الأمر على ما يرام كنت تتحدث وكأنها فكرتك، والآن تتحدث بصيغة الجمع»، وهز بعضهم رؤوسهم قبل أن يسأل المزارع: هل هذا ما شاهدته في نشرة الأخبار؟ مقتل الرجل الروسي في فينكس؟

- لقد كان أوكرانيًّا، ونعم، لكن ليس مقتله وحده، هناك ثلاثة آخرون قتلى.

- وماذا عن الآخر؟ ما كان اسمه؟ هاكيت؟

- هو في المستشفى في شيكاغو بين يدي الشرطة.

- إذن لم يحقق أحد منهم المهمة.

- هذا ما قلته.

- طلب المساعدة الخارجية كانت خطوة كبيرة ومهمة.



- هي لم تكلفنا شيئًا سوى المال، ريتشر وتشانج لا يزالان حيين، ولسوف يعودان إلى هنا، وحينئذ سنقتلهما.

- سيحضران معهما الشرطة.

- لا أعتقد هذا، لقد وضعا هاكيت في المستشفى، وهما من قتلا اليوكرانيين الأربعة في فينكس، وهذا يعني أنهما لم يتصلا بالشرطة، لو فعلا هذا فسيتم القبض عليهما، أو على الأقل التحفظ عليهما لحين انتهاء المسألة، كلا، سيأتيان هنا وحدهما.

المزيد من هز الرؤوس، ثم قال سائق الكاديلاك: ومتى سيأتيان؟

- قريبًا.

أجاب الرجل الثامن، ذو السروال الجينز والشعر اللامع وأردف: ونحن نعلم ما الذي سيحدث جيدًا، نحن نتوقع قدومهما، ومستعدون من أجلهما، ولسوف نفتك بهما فورًا.

***

انضم ريتشر وتشانج لويستوود على الإفطار، وقال لهما الأخير: إنه اتصل بالمبرمج في «بالو التو» وحدد معه موعدًا، في منتزه «مينلو»، وأخبرهما أنه يتوقع تأخر الرجل عليهم؛ لأنه من هذا النوع من المبرمجين، وحجز ويستوود تذاكر طيران من مطار «سكاي هاربور» إلى مطار سان



فرانسيسكو، ثلاثة مقاعد في درجة الأعمال التجارية، وحجز فندقًا كذلك، بغرفتين فحسب، فكر ريتشر أن ويستوود يقامر بميزانية المجلة، لكنه سيحظى بالكثير قريبًا.

استقلوا سيارة أجرة للمطار، وأتاحت تذاكر درجة الأعمال الفاخرة بالجلوس في استراحة خاصة، حيث تناول ريتشر الإفطار مرة أخرى، لأنه كان مجانيًّا، صعدوا على متن الطائرة في الصفوف الأولى من الركاب، جلسوا في المقدمة وهذا كان أفضل من المقاعد الخلفية بالقرب من المخرج، الرحلة نفسها لم تستغرق وقتًا طويلًا ولا قصيرًا، لكنها أقل وقتًا من رحلة نيورك إلى شيكاغو، خرجوا من مطار سان فرانسيسكو واستقلوا سيارة أجرة أخرى، وادي سانتا كلارا يقع خارج المدينة؛ لذا كانت الرحلة بالسيارة سهلة لأنها لم تتعرض لأى زحام مروري، الوادي نفسه لم يكن بمكان هادئ، لقد بدا كأنه مركز العالم، كمزار سياحي يقع جانب التفافة البحيرة، وكان سائق الأجرة يعرف طريقه جيدًا في المنطقة، مكان المقابلة كان بالقرب من مكتبة في منتزه مينلو، وجده السائق عند المحاولة الثانية، وصلوا مبكرين ولكن ليس إلى حد كبير، لكن الوقت سمح لهم بالذهاب للفندق وترك أمتعتهم قبل العودة مرة أخرى لمكان اللقاء، نقدوا السائق أجرته وتحرك مبتعدًا وهم يدخلون البار الذي كانت كل جدرانه مطلية بالأحمر، واسمه كان «البار الأحمر»، وقد أصاب هذا ريتشر بالحيرة، وتساءل الجزء في مؤخرة عقله إن



كان ويستوود شرطيًّا أو رجلًا شريرًا يحاول الدفع بريتشر للاعتراف بقتل الرجل الأوكراني في نادي «القرمزي»، وأنه اختار هذا المكان ليذكر ريتشر ويعذب ضميره كأنه في مسرحية لشكسبير، أو قصة لشيرلوك هولمز، ثم تذكر ريتشر أن المبرمج هو من قد اختار مكان اللقاء؛ ولذا فالأمر مصادفة ليس أكثر، كما أن المكان كان مضحكًا وليس مبتذلًا مثل نادي التعري، الجدران كانت مصممة بطريقة متعرجة كأنه ديكور من العصور القديمة، هناك خوذات وسترات تخص الجيش الأحمر معلقة هنا وهناك، وكلمة أحمر كانت مكتوبة والحرف الأول مقلوب بالطريقة الروسية، وأصابت الحيرة ريتشر مرة أخرى، هل للمكان علاقة بميرشينكو؟ هل ويستوود يعمل على تعذيب ضميره؟ لكنه لن يخلط بين الروس واليوكرانيين، سألته تشانج: هل أنت بخير؟

- أفكر بكثرة، عادة سيئة تخصني، بمقدار سوء عدم التفكير نفسه على الإطلاق.

- لننتظر في المكتبة.

قال لهم ويستوود: إنه ذهب لتلك المكتبة من قبل في حفلة توقيع من أجل كتاب لعدة مؤلفين اشترك في كتابته، وقد حصل الكتاب على جائزة علمية قيمة، المكتبة كانت لطيفة وأنيقة، وهذا يتضمن عملاءها، تجول ويستوود في اتجاه وتشانج باتجاه آخر، في حين نظر ريتشر للكتب المرصوصة فوق مناضد العرض، لقد



كان يقرأ عندما يستطيع، وفي المعتاد من خلال المكاتب العامة، الكتب القديمة، المنسية، برائحتها القديمة وأوراقها الصفراء، تلك النوعية من الكتب التي تجدها في محطات انتظار الحافلات، أو على حافة معروضات الفناق، يقرأ، يستمتع بالكتّاب، ويرحل، كان يحب الروايات الخيالية أكثر بالكثير من الواقعية؛ لأن الواقع دومًا خالٍ من نكهة اللامعقول، وكيف أن ما يأخذه الناس كمسلمات يتم العبث به في الروايات الخيالية، لم يكن يحب نوعًا معينًا بالأخص، يميل لشتى الأنواع من الروايات الخيالية، عادت تشانج وبعدها ويستوود، ذهبا وجلسا قبالة الحانة وهما ينتظران وصولهما مبكرين أعطاهما فرصة أفضل لاختيار مكان الجلوس، جلسا بالقرب من النافذة، وطلب كل من تشانج وويستوود الصودا بينما طلب ريتشر القهوة السوداء.

قال ويستوود مفكرًا بصوت عالٍ: لا تبنوا آمال عالية، حتى لو نجح المبرمج في مهمته، فالشبكة الخفية ليست بمكان جميل، حسبما أسمع؛ الأمر ليس كما تتوقعون لأني ارتدتها وتصفحتها بنفسي، وأعتقد أنكم ستحبون ما سترونه.

رد ريتشر: إنها بلاد حرة، ومايكل ابن بيتر وليس ابني أنا، أنا لا أكترث لما كان متورطًا به.

تحركت الساعة على الحائط ومرت أمامها نادلة تحمل كأسًا من الفودكا، ساعة السعادة في الحانة، دخلت الحانة فتاة عشرينية، وجنتاها متوردتان باللون الأحمر، كأنها



جديدة في العمل لكنها تجيده.

دخل بعدها المبرمج من «بالو التو»، وصل في موعده بالضبط دون ثانية تأخير، يرتدي الأسود، في التاسعة والعشرين من العمر، رأى ويستوود فاتجه إليهم.

هز رأسه ثلاث مرات محييًا إياهم، وجلس قائلًا: الوادي ممتلئ بالأماكن المضحكة، ولكن ساعة السعادة في تلك الحانة الروسية لا مثيل لها، بملابس الجيش الروسي وكل شيء على ما يرام، لقد سمعت عن مقتل ميرشينكو اليوكراني بالأمس، وتلك مصادفة سعيدة، إلا أنه سيتم استبداله بشخص آخر، احتياج السوق سيملأ تلك الوظيفة الشاغرة؛ ولذا أنا لن أتحدث علانية، أو بشكل رسمي أبدًا عن الشبكة الخفية.

قال له ويستوود: ولا نحن أيضًا إلا بعد فترة طويلة، وعندما يحدث هذا سيكون في مقالة تم نشرها بواسطة الجريدة، ولن يتم ذكر اسمك، ولن ينتبه أحد إلى دورك في الأمر وسط كل الفوضى التي ستحدث، لا تقلق، كل ما نحتاجه هو محرك البحث، الآن وفي سرية، نحن نحاول إيجاد شخص مفقود ووجهة اختفائه.

- عن ماذا تريد أن تبحث؟

- غرف محادثة، مواقع تجارية.

- أنا لا أريد أن أصبح مصدرًا عامًّا.



- لن أدفع لك مالًا لو أنت قلق بشأن تسجيل اسمك في ميزانية المجلة.

- إذن سأفعلها من الصداقة حينئذ، وهذا التزام أسوأ من العمل.

سأله ريتشر: هل تستطيع فعلها لو أردت؟

- لقد كنت أفعلها منذ أن كانوا يدعون الشبكة الخفية باسم «الإنترنت» الأرضية، لقد ازداد الأمر صعوبة لكني ازددتُ براعة كذلك.

- الوجهة، حيث ستبحث، قد تكون صعبة.

- حل الشفرة سهل، ولكن إيجاد الوجهة هو التحدي.

- إذن هل ستعطينا ساعة من وقتك؟ بجانب تقاضيك لأجرك؟

- هل لديكم دافع؟ بخلاف حصولكم على أجر، آه هل يمتلك أي أحد دافعًا لفعل أي شيء؟

- في الواقع نحن لا نتقاضى أجرًا.

- إذن لماذا أنتم مهتمون؟

- لأن هناك شخصًا ما يعتقد أنه بارع وذكي للغاية.

- وأنت تعتقد أنك أذكى وتريد إثبات هذا؟

- أنا لست مضطراً لإثبات هذا، لكني أريد إثباته؛ احترامًا لرابطة الأذكياء، أعنى علينا الحفاظ على قيم الجودة.



- أنت تحاول استدراجي لفعل ما تريده في معركة «الأنا» تلك، أنا ضدهم، كمبرمج، محاولة جيدة، أنت تفهمني جيدًا، رغم أنك قد قابلتني للتو، لكني تغيرت، أنا سعيد في حياتي، وأعلم أني أكثر براعة منهم، أنا واثق من هذا، وعلى يقين من تلك المعرفة، أنا لا أشعر برغبة في التحدي، لا بدافع الاحترام، ولا أي شيء، ربما النسخة الأصغر سنًّا كانت ستتفق معك ولكن ليس الآن.

- وما الذي ستتفق عليه نسختك الجديدة معي؟

- أخبرني عن الشخص المفقود، هل هو شخص مثير للاهتمام؟

- هو في الخامسة والثلاثين، مصاب بمرض نفسي يدعى «اندهونيا»، أي عدم القدرة على الشعور بشيء، عمتُه تدعو حالته تلك بمؤشر بوصلة معلق عند الرقم صفر، معدل ذكائه عادي، وقادر على القيام بوظائفه الحيوية.

- هل كان يعيش وحده؟

أومأ ريتشر برأسه.

- نعم، في إسكان حكومي.

- وقد اختفى؟

- نعم.

- هل ظهر صديق جديد فجأة في حياته قبل اختفائه؟



- نعم.

- اثنتان وثلاثون ثانية.

قالها المبرمج فسأله ريتشر: من أجل ماذا؟

- أنا أعلم أين أبحث عنه في الشبكة الخفية، سأجده خلال اثنتين وثلاثين ثانية.

- متى ستفعل هذا؟

- أخبرني عن العمة أولًا.

- هي متزوجة من طبيب ولديها ابنة جميلة، هي تحب ابن أخيها وتفهمه.

- لقد عجبني وصفها بخصوص بوصلة السعادة.

- لقد اتفقنا أن بوصلتي من أربعة لتسعة.

- أنا أعلى من هذا، عشرة الآن، طيلة الوقت.

- هذا تأثير المولي(8).

- ماذا؟

- تأثير المولي، لقد قرأت عنه ذات مرة في جريدة.

- أنا لم أتناول هذا النوع من الحبوب منذ أعوام.

- نوع جديد إذن؟

- كل الأنواع الأخرى في الحقيقة، لمواجهة بعض الضغط النفسي.



- تذكر، الإفراط في تلك الأشياء يقتل مثل السرعة الزائدة أثناء القيادة، كما علمونا ونحن صغار.

نظر المبرمج لريتشر قبل أن يقول: عليك أن تتفهم أني لن أصبح مصدرًا عامًّا أو رسميًّا، ولن أكون شاهدًا رسميًّا.

- لن تكون هناك محاكمة ولا حاجة لنا لمصدر رسمي.

- هل أنت من قتل ميرشينكو؟

- خذها مني نصيحة، لا تعترف لأحد بشيء، ولا حتى في فراش الموت.

- سأفعلها، لكن ستكون مرة واحدة فحسب، لا تكررا الطلب مني أبدًا، أنا بحاجة لمساحتي الشخصية ولا أحب الإزعاج.

- متى ستفعلها؟

- الآن لو أردت.

- أين؟

- في بيتي، كلكم مدعوون.



الفصل الخامس والأربعون

ركب ويستوود مع المبرمج، وفكر ريتشر أنهم ربما يتحدثون عن الأيام الخوالي، تحركوا في سيارتين، الأخرى حملت تشانج وريتشر، وقد طلب المبرمج السيارتين عن طريق تطبيق أجرة خاصة في هاتفه، وصلوا لبيته، هو مكان مصمم على شاكلة بيوت الخمسينيات، بصندوق بريد وفناء، وبدا أنه أعيد تحديثه في السبعينيات، ليبدو كبيوت الثلاثينيات، وفكر ريتشر أن المنزل يحمل ثلاث هويات لثلاث حقبات زمنية مختلفة، وتكلفة بيت كهذا هي أكثر من أي مال جناه هو في حياته من قبل.

بالداخل كان المكان نظيفًا، مطليًّا بالأسود، ومزينًا بالفضة، كان ريتشر يتوقع عددًا هائلًا من الحواسب الآلية مثلما رأى في شقة مكاين بشيكاغو، ولكن هذا العرين لم يحتوِ إلا على منضدة زجاجية متواضعة تحمل حاسبًا آليًا صغيرًا مزودًا بلوحة مفاتيح، ووحدة تحكم خارجية، وفأرة، كلها غير متناسقة، وهناك خمسة أسلاك فحسب موصلة به، قال المبرمج: لقد شيدته بنفسي، صنعته، هذا الحاسب، كان تحديًا رائعًا، أن تركب جهازًا كهذا، كان الأمر في البداية كزيارة بلد غريبة عنك، تواجه معلومات ناقصة وتحديات تقنية، لكني تعلمت اللغة الجديدة، وكيفية ارتداء الملابس والاندماج وسط القوم بأمثالهم الشعبية، وصنعت هذا الحاسب، والأهم، أني ألفت برنامجَ تصفحٍ خاصًا، مستلهمًا من برنامج «تور» وهو المتصفح الذي يستخدمه



الجميع، مركز الأبحاث البحرية الأمريكية هو الذي طور برنامج «تور» من أجل تصفح آمن للمعارضين السياسيين ونافخي الصفارات (7)؛ ومن هنا أتت السخرية، قانون العواقب غير المتعمدة، لقد تحول البرنامج من متصفح آمن لغرض يستخدمه أبناء السوق السوداء في الشبكة الخفية، طبقة تختفي خلف أخرى، مثل تقشير البصل، هكذا هي الشبكة الخفية، بصلة من الصعب تقشيرها.

جلس الرجل أمام الحاسب، وشغله، لم تكن هناك صور أنيقة على خلفية شاشته، لا صورة تمثل الفضاء الخارجي أو أيقونة ما، مجرد حقل أسود وعبارات بالأخضر، كلخفية احترافية لحاسب آلي في مطار أو شركة تأجير سيارات.

سألهم المبرمج: ما هو اسم الرجل المفقود؟

- مايكل مكاين.

- رقمه التأميني؟

- لا نعلم.

- عنوانه؟

- لا نعلم.

- هذا ليس جيدًا، هناك خطوات بدائية لا بد من اتخاذها، أنا بحاجة لما أدعوه بالبصمة الإلكترونية الخاصه به، إنها معادلة كتبتها، القليل من هذا وذاك، معلومات بسيطة لكي أصل لنتيجة حاسمة، معادلة أنيقة في الواقع،



نستطيع أن نبدأ بشيء بسيط، مثل فاتورة استخدامه للإنترنت أو الهاتف، لكنَّ هناك طرقًا أخرى، هل نعلم من هو أول قريب له؟

- سيكون هذا والده، بيتر مكاين، والدته متوفاة منذ أعوام.

- وهل لدينا عنوان بيتر مكاين؟

أعطته تشانج العنوان، شقة ٣٢، منتزه لينكون، الشارع والمربع السكني، كتب الرجل العنوان على لوحة المفاتيح، وظهر له رقم بدا كرقم تأميني، كان يخترق سجلات الحكومة، نظر ريتشر لتشانج التي أومأت برأسها كأنها تقول: لا بأس، أنا أفعل ذلك أحيانًا، بحث المبرمج بالرقم التأميني الخاص ببيتر، وتوصل فورًا للرقم التابع لابنه مايكل؛ لأن كل منهما منتفع من الآخر في حالة الوفاة طبقًا للقانون التأميني، وقاده الرقم التأميني الخاص بمايكل لعنوان الأخير، والذي كان أيضًا في منتزه لينكون بشيكاغو، هنا أدخل الرجل بيانات مايكل من عنوانه ورقه؛ فظهر له أرقام إحصائية عدة، والبصمة الإلكترونية الخاصة بمايكل.

أدخل الرجل أمرًا جديدًا في الحاسب، وأظهرت الشاشة عنوانًا جديدًا، كأنه شيء يخص منتجًا تجاريًّا، أكثر كلمة واضحة في الشاشة وظاهرة كانت: غواصة أعماق، نظر ريتشر للصفحة جيدًا، تبدو دِعائية جدًّا، وسألهم المبرمج:



أفهمتم؟

- مثل الغواصة قادرة على الاختفاء في عمق المحيط.

- في البدء أطلقوا عليها اسم نيمو(6) على اسم هذا الرجل في رواية: «عشرون ألف فرسخ تحت الماء»، كان قبطانًا، واسم غواصته نيوتيلس، لقد أحببت اسم نيمو لأنه يعني «لا أحد» باللاتينية، ثم صنعوا فيلمًا بعدها عن سمكة تدعى نيمو وأفسدوا كل شيء.

أدخل أمرًا جديدًا بعدها، وحصل على ناتج فقال: حسنًا يا سادة، اضبطوا ساعاتكم، يبقى اثنتان وثلاثون ثانية، هذا هو الرهان..

بدأ يدخل معادلات عدة داخل شاشة البحث، ليس اسم مايكل مكاين، بل بصمته الإلكترونية، وبدأت الساعة داخل عقل ريتشر في العمل..

خمس ثوانٍ.

قال المبرمج ويداه تعملان على لوحة المفاتيح: يومًا ما سيكون الأمر أسرع، البحث أسرع، والمحرك أقوى..

اثنتا عشرة ثانية..

- ولكن لا تأخذوا الانطباع الخاطئ، اثنتان وثلاثون ثانية هي مدة سريعة في العرف، ولكن الشبكة العميقة كبيرة للغاية، لا أحد يريد لفت الأنظار، لا توجد إعلانات خاصة بـ «جوجل» هنا، هم يريدون الغوص في



الأعماق، إلا أنهم لا يستطيعون أن يروني، ولكني أراهم..

خمس وعشرون ثانية.

لم يقل المبرمج شيئًا آخر، توقف البحث..

وظهرت روابط عدة على الشاشة..

وقال المبرمج: لقد استغرقنا ستًّا وعشرين ثانية، أقل من الوقت الرسمي.

- جيد للغاية.

قال له ريتشر.

- لقد قامرت وخاطرت، وقللت من دائرة البحث، لقد كنت أعلم مسبقًا أين سأجده.

- أين؟

- أتمنى أن يكون ويستوود قد شرح لكم تلك النقطة عني، بعض الأشياء التي نعرفها تختارنا ولا نذهب إليها بمحض إرادتنا.

- طريقة الحل أحيانًا تكون أهم من المشكلة نفسها.

- البحث في الشبكة الخفية تحدٍّ تقني رائع، ولكن ما تجده بالداخل لا يكون في المعتاد بالبهجة نفسها، سوق سوداء، مكان آمن للمجرمين، كل شيء قابل للبيع، بداية من رقمك، وحسابك البنكي؛ وصولًا لحياتك، مواقع تعمل كمزاد لبيع تلك الأشياء، حيث يتنافس القتلة المأجورون



للحصول على وظيفة، هناك موقع تصف فيها الطريقة التي تبغي بها موت زوجتك، وهناك مواقع قد تعطيك خصمًا على التنفيذ.

كررت تشانج سؤال ريتشر: أين وجدت مايكل مكاين؟

- في أحد أسوأ المواقع الإباحية الخاصة بالشبكة الخفية، أشياء تقبض المعدة من شدة تطرفها، وأنا لست بشخص يهوى مشاهدة الأشياء العادية، لكننا نتحدث هنا عن أشياء متطرفة فحسب.

- وهل هو في الموقع؟ يعمل به؟

- كلا، لقد وجدته في القسم الثالث بالموقع.

- وما هو القسم الثالث؟

- لقد كان تخمينًا سهلًا، أن أجده هناك؛ بسبب مرضه النفسي، وبوصلة السعادة المتوقفة عند الرقم صفر، القسم الثالث من الموقع الإباحي هو عرض مقاطع فيديو تخص الانتحار.

***

تابع المبرمج: أنا أتصفح تلك المواقع من حين لآخر كمستكشف، وليس كمستطلع، أتخيل أن مايكل مكاين كان مكتئبًا بشدة، ووالدته متوفاة منذ أن كان صغيرًا، ليست بمعادلة لطيفة، أنا أثق بأنه أراد لكل شيء أن ينتهي، لا يمكننا أن نشعر حقًّا بما يمر به المكتئب كل



يوم، تلك ليست تقلبات مزاجية فقط، هم يكرهون حياتهم، بعمق وصدق، ويريدون الرحيل، يريدون لحياتهم أن تتوقف، يريد ركوب الحافلة والرحيل عن المدينة، تلك العبارة التي يستخدمونها، ولكنها خطوة صعبة، بعض تلك المنتديات تقدم الدعم؛ ولذا سألتكم عن ظهور صديق مفاجئ في حياته، يدعونه بشريك الانتحار، يفعلونها سويًّا، يتشابكون بالأيدي ويقفزون، تلك المنتديات تساعدهم في التعرف على بعضهم البعض، بعض أسئلة عديدة عن التوافق والتجانس بينهم، هل شريك أو صديق مايكل مفقود أيضًا؟

- لا نعلم أي شيء عن الصديق، ولا حتى كونه رجلًا أم امرأة، كل ما نعرفه أنه في تلسا، أو أوكلاهوما.

وسأل ويستوود: وما الذي يتحدثون عنه في المنتديات الأخرى؟

- كيفية الانتحار، يتناقشون في استخدام البندقية لتفجير الرأس، أو مسدس في الفم، وكيف أن نسبة الطريقة الأولى أعلى من الثانية، يتحدثون ويتناقشون عن الشنق، والحرق، واحتمالية النجاح في كل منها، والقفز من على متن قطار سريع، أو قيادة سيارتك من فوق جسر عالٍ، لكن تأكد من ارتدائك لحزام الأمان لكي لا تسقط خارج السيارة وتعيش في نهاية الأمر، عليك أن تكون في المقعد عندما يهشم المحرك جسدك، هناك أحاديث عن سم السيانيد، ويتناقشون عن مشكلة أن كل الطرق المثلى



عنيفة للغاية، وبعضهم لا يستطيع تحمل هذا، سواء أكانوا رجالًا أو نساءً، بعضهم لا يستطيع تصويب السلاح لرأسه فما بالك بالذهاب للقطار للقفز من فوقه.

- إذن ما الذي يفعلونه؟

- يتحدثون بلا نهاية، عن الطرق الخالية من الآلام، كتناول حبوب، موت هادئ إبان النوم دون ألم، كانت تلك طريقة مضمونة فيما سبق ولكن ليس الآن، مع طرق الإنقاذ السريع التي قد تقوم بها العائلة، وينتهي بك الأمر وأنت مصاب بصداع ودوار وغثيان فقط، يتحدثون عن كل هذا، وكيف أن طرق الرعاية الصحية قد تطورت في أمريكا، وتلك التحديات هي التي أتت بهم للشبكة الخفية منذ بادئ الأمر؛ بحثًا عن حلول لمشاكلهم تلك، دون روادع أخلاقية وواجبات اجتماعية خاصة بالعالم الظاهري، حيث السيارات مزودة بأجهزة أمان، والحبوب يمكن إسعافك منها.

ساد الصمت قليلًا ثم سألت تشانج: وما هي الأشياء الأخرى غير القانونية التي يرتكبونها؟

- كل ما يتحملون فعله، الاختناق في السيارة، سيترك جثتهم في حالة جيدة دون تشوه، ويسهل عمل الحانوتي قبل الجنازة، بعضهم يفضل الموت في المنزل، هل لي أن أسألك سؤالًا بخصوص حقيقة طبية مثيرة للاهتمام، لو كتمت نفسك، ما الذي سيدفعك للتنفس مرة أخرى؟



- احتياجي للأوكسجين.

- تلك الحقيقة المثيرة للاهتمام، كلا، ليس نقص الأوكسجين هو السبب، بل تزايد ثاني أوكسيد الكربون، والمغزى أنه يمكنك استنشاق أي نوع من الغاز، طالما هو لا يحتوي على ثاني أكسيد الكربون، سيكون عقلك سعيدًا حينذاك، وسيمتلأ صدرك بالنيتروجين بدلًا من الأوكسجين، ولسوف يقتلك هذا، لكنك لن تجزعي، وستصبح رئتاك بسعادة: نحن بخير، لا ثاني أكسيد كربون هنا، لا حاجة بنا للضخ إلا عندما نراه قادمًا.. ولكنهما لن يضخا، أبدًا، وطبعًا سيحتاجان لأقنعة وأنابيب لاستنشاق النيتروجين، أحيانًا يجربون الهيليوم، لكن بعض القوم يفضلون الطرق الكلاسيكية كالحبوب المنومة، بعض تلك المنتديات والمواقع تكون بغرض النصب فحسب، ويأخذون أموال المنتحرين دون أن يقدموا لهم طريقة فعالة للموت، ويتغذون على الأمل الأخير للمنتحر في الموت.

- وهناك عروض جادة دون نصب؟

سأله ريتشر.

- نعم، وأغلبهم يستخدمون النيمبيوتال المستورد من الصين، يذوب في المشروب وهو أداة فعالة للقتل السريع، يسرقونه ولا يستوردونه طبعًا، ومن السهل نقله وشحنه، وجرعات قليلة منه تكفي لقتل العشرات، صفقة رابحة



جدًّا.

تذكر ريتشر البيوت في بلدة «استراحة الأم»، والمتاجر، والمزرعة.

قال ريتشر ببطء: أرنا بالضبط المنشور الخاص بمايكل مكاين، أريد أن أقرأ ما قاله.



الفصل السادس والأربعون

جذبوا مقاعدهم جميعًا واقتربوا من الشاشة، اسم مايكل في المنتدي كان مايك، وكان يكتب بعشوائية كأنه تخلص من أعباء الحياة كلها، لغته النحوية كانت جيدة، ورسمية، وهذا ليس بأمر طبيعي في المنتديات، كأنه متحدث عام لبق يرتدي حلة رسمية، أول منتدى كان خاصًا بالتعارف بين الشركاء، ومايكل كان يبحث عن شريك متعاطف ومتفهم، ليس لأنه بحاجة لمساعدة، كان هناك محادثات وأسئلة للاختيار بينه وبين آخرين، المنتدى الثاني كان يتحدث ويختص بكيفية الموت، وقد شارك فيه مايكل بالتعليقات كل حين وآخر، بكلمات محايدة خالية من مقت أو غضب، كان يدافع عن حق الانتحار، وشارك في موضوع يتحدث عن النيمبيوتال، كان يبحث عن توجيه، ويسأل هل سيظل الطعم سيئًا لو مزجه بعصير؟ وكان هناك نصائح عن زيادة فعالية استخدام السم، وتناول حبوب أخرى لتجنب الغثيان وغسل المعدة، لا أحد منهم يريد الاستيقاظ بعد عشرين ساعة من النوم ليجد أن الطريقة قد فشلت، علق مايكل أيضًا في موضوع يتحدث عن مزودي النيمبيوتال، وقال: إنه تعرض للنصب عدة مرات، وأن السوق أصبح غابة كبيرة، مليئة بالنصابين، هناك شائعات عن مزود في تايلاند، هناك منشور عن وصول شحنة، وأن الأمر خالٍ من النصب، مواد فعالة جدًّا، وهناك تعليق آخر مؤيد، وتحدث القوم بعدها في



حماس عن أن تلك أفضل طريقة، وتحدثوا بعدها عن «ا م» وكيف أن «ا م» خالية من النصب، وإنها أفضل من يؤدي الخدمة، وإنها الأفضل، سأل مايكل في تعليق عن «ا م»؟ فأجابه أحدهم «استراحة الأم».

بعدها بيوم وجدوا تعليقًا من مايكل مع شريكه يقول له: إنه تفقد «استراحة الأم»، وأن على شريكه تفقدها أيضًا؛ لأن هناك الكثير للحديث بشأنه، خصوصًا في المستوى الخامس.. وبعدها لا تفاصيل أخرى.

سأل ريتشر: ما هو المستوى الخامس؟

- تذكر البصلة، الطبقات العديدة، هكذا هي الشبكة الخفية، المستوى الخامس سيكون في الأغلب شيئًا خاصًّا جدًّا وقد تم إخفاؤه تمامًا.

عادوا لتصفح المنتدى، أجاب الشريك بأن المستوى الخامس مثير للاهتمام، ثم توقفت التعليقات، في الأغلب بسبب رحيل مايكل لأوكلاهوما لملاقاة صديقه، ليستعدا.. ولا بد أن مناقشاتهما استمرت في أرض الواقع.. فكر ريتشر قليلًا ثم قال: هل نستطيع تفقد الموقع الخاص بـ«استراحة الأم»؟

- علينا إيجاده أولًا.

- أنت فعلت جيدًا فيما سبق، وتوصلت قبل الوقت القياسي بست ثوانٍ.



- لقد كنت أعلم مسبقًا أين سأبحث، البحث عن «استراحة الأم» سيكون بالدقائق، وليس بالثواني لو كنّا محظوظين.

- كم عدد الدقائق؟ ما هو الرهان؟

- عشرون دقيقة.

أدخل المبرمج عدة أوامر في لوحة المفاتيح، وبدأت الساعة في عقل ريتشر بالعمل، واسترخت تشانج وويستوود في جلستيهما عائدين بظهريهما للخلف.

غمغم ويستوود: مئتا حالة موت، مئتا عميل يستخدم النيمبيوتال، لا أستطيع تحديد الطريقة التي أنظر بها للأمر من وجهة نظر صحفية، هل في فضيحة؟ النيمبيوتال قانوني في واشنطن واريجون.

- ليس بالضبط، أنت بحاجة لاثنين من الأطباء ليوافقا على استخدامك إياه، وعليك أن تكون قرابة المئة عام، ولديك مرض مميت ومؤلم، حينئذ يكون الانتحار بالنيمبيوتال قانونيًّا، وليس للشباب المكتئبين.

قالها المبرمج وهو يواصل البحث فهز ويستوود رأسه: إذن سيتحول الأمر لجدل أخلاقي، هل نحترم قرار الشخص بالانتحار؟ أم نحكم عليه؟

قالت تشانج: وَفْقَ أسبابه، هناك فارق بين اقتحام خصوصيته، ومدى جديته في ارتكاب الأمر، بعض



المنتحرين يحاولون إنقاذ أنفسهم في اللحظة الأخيرة وهم في حالة فزع.

- إذن ربما النظام الحالي جيد، كنظام قانوني أعني.

قاطعهم ريتشر: وما الذي تجنيه «استراحة الأم» من كل هذا؟ شحنات من النيمبيوتال، والذي هو رخيص الثمن، مئتا زجاجة، بثمن أقل من مئتي ألف دولار، هذا ليس بربح، تكلفة الشحن وباقي التفاصيل أعلى، لن يستطيعوا الدفع لرجل ميرشينكو بمال قليل كهذا، يبدو الأمر كهواية، كلا، هناك شيء آخر يدور في «استراحة الأم» ؛ لأن..

ثم صمت، سألته تشانج: لأن ماذا؟

- نحن نعتقد أن رجلنا قد قتل هناك.

- من؟

- كيبفر، في البدء، ودفنوه، ولن يقتلوه من أجل أمر كهذا، هناك شيء آخر.

- المستوى الخامس؟

- بلى.

نظر ريتشر للشاشة، المبرمج لا يزال يبحث، قال: أحاول تخيل ما هو الشيء الخاص في المستوى الخامس الذي سيدر عليهم أموالًا تجعلهم يتحملون ثمن خدمات رجل مثل ميرشينكو.



أجابه المبرمج: أنا أشعر بالأسى للمنتحرين.

- وأنا كذلك، أعتقد أنهم لا يجب أن يحرقوا منازلهم، ولكن يجب إعطاؤهم حرية اتخاذ القرار، هم لم يطلبوا أن يولدوا في هذا العالم؛ الأمر مثل إعادة سترة لمتجر الملابس.

ردت تشانج: لا يجب أن يكون الانتحار أمرًا سهلًا؛ الأمر ليس عادلًا ولا هينًا.

قال ويستوود باستياء: هذا ما كنت أخشاه، جدل أخلاقي، كان بإمكاني الكتابة عن تلك القصة من مكتبي، لا داعي لهدر أموال التنقل والسفر، أنا لن أجني شيئًا من تلك القصة.

مرت عشرون دقيقة.

قال لهم المبرمج ساعدوا أنفسكم، وإن الثلاجة قريبة، اشربوا قليلًا ببيت المبرمج، ذكر ريتشر بشكل غير واضح بالمنازل التي رآها وهو طفل، طريقة ترتيب المطبخ، تبدو كأن ربة بيت هي التي فعلتها، ولكن والدة ريتشر كانت فرنسية، ولها طرق مختلفة، وذات مرة عندما مرض أخوه بسبب تناول أكل من مطعم عالجت والدته الأمر بشكل فعال للغاية بوصفة خاصة من المطبخ.. سألته تشانج: أنت بخير؟ أومأ ريتشر برأسه.

عادوا لعرين المبرمج، وقال لهم الأخير: لم نتفق على ماذا



نتراهن، بخصوص التوقيت؟

- ما الذي حددناه في المرة الأولى؟

- لم نحدد.

- نحن لا نريد الإطالة عليك في البقاء هنا.

- لا تقلق، سأصل، أنا أفضل منهم.

- ما هي أطول مدة استغرقتها في البحث؟

- تسع عشرة ساعة.

- وعن ماذا كنت تبحث؟

- جدول الرئيس على موقع قاتل مأجور.

- رئيس الولايات المتحدة؟

- هو بعينه، وقد وجدت ما أبحث عنه.

- هل أبلغت عن الأمر؟

- لقد كان الأمر معضلة حقيقية، أنا لست مصدرًا رسميًّا، ولا أحب العلانية، ولم تكن هناك معلومات أكثر بحوزتي، والموقع الذي بحثت فيه لتسع عشرة ساعة كان يحتوي على شراك عدة، ولو أبلغت عن الأمر ستدمر الأجهزة الأمنية أدواته، وربما أخذوني لمدة عام من أجل الاستشارات؛ ولذا لم أبلغ عن الأمر.

- ولم يحدث شيء.



- وأنا ممتن لهذا.

هنا توقف البحث وظهرت على الشاشة روابط عدة.



الفصل السابع والأربعون

أظهرت الروابط موقع «استراحة الأم»، وصفحة أخرى تابعة، تفقدها المبرمج أولًا، لأنه قال: إن هذا أمر غريب، وغير مألوف، ودخل غرفة محادثة، بها تعليق من مستخدم اسمه المستعار «دماء»، والتعليق كان يقول: لقد سمعت أن «استراحة الأم» بها أشياء جيدة، باقي المحادثة لم تكن واضحة، ربما كان منتدى انتحار، لا معلومات أخرى وطريق مسدود.

غمغم المبرمج: لنذهب للموقع الرئيسي، السفينة الأم.

لم يستخدم الفأرة، بل لوحة المفاتيح؛ لأن برنامج الموقع كان كلاسيكيًّا، وقد أحب المبرمج هذا، هو من المدرسة القديمة على أية حال، وكان يتصفح بسرعة، وأصابعه تعمل باحترافية.

ظهر أمامهم موقع «استراحة الأم»..

كان هناك صورة..

محتوى الصورة كان حقلًا من القمح، وطريقًا، وقضبان السكة الحديد، والطريق إلى «استراحة الأم».

وفوق الصورة جملة: ابدأ رحلتك معنا.

وأسفل الصورة تمت كتابة: «استراحة الأم».

الصفحة الأولى الفرعية بها آراء بعض القوم الذين



يتحدثون عن الثقة والمنفعة المتبادلة.

الصفحة الثانية كانت لتسجيل الدخول باسم المستخدم وكلمة السر، والصفحة الثالثة قادتهم مباشرة للمستوى الرابع حيث المنتجات..

كان هناك ثلاثة منتجات، العرض الأول كان زجاجة نيمبيوتال، ٥٠ ملم، بمئتي دولار، والثاني كان زجاجة ١٠٠ ملم بثمن ٣٨٧ دولارًا، بينما الثالث ١٠٠ ملم بثمن ٤٥٠ دولارًا، وهناك إرشادات مكتوبة للجرعة القاتلة، ٣٠ ملم، بالإبرة، أو ٢٠٠ ملم عبر الفم، وهناك جملة تسويقية «حان وقت النوم العميق»، وتوقع ريتشر أنهم سيفضلون التناول عبر الفم وليس الحقنة لأنهم لو من مستخدمي الإبرة فجرعة هيروين زائدة ستفي بالغرض؛ ولذا الأكثر مبيعًا سيكون زجاجة تناول الفم، ثمن التوصيل كان ثلاثين دولارًا، وهناك رقم متسلسل للمتابعة، وطريقة الدفع عن طريق «ويسترن يونيون»، أو «البريد» فقط، «الشيكات» لم تكن مقبولة، وكان هناك طرق استخدام مشروحة، مثل الاحتفاظ بالنيمبيوتال في الثلاجة وهو مغلف بعد التسلم.

وبعد كل هذا هناك خيار: اضغط هنا للطلب.

قالت تشانج: ريتشر محق، تلك الصفحة لن تكفي لدفع تكلفة ميرشينكو، المنتجات رخيصة للغاية.

- علينا تفقد المستوى الخامس.



استغرق الأمر وقتًا، وريتشر كان واثقًا أن المبرمج يعمل بأقصى سرعته، كمحارب يواجه القطيع، وظهرت أمامهم الصفحة، التي دعاها صديق مايكل مكاين بأنها «مثيرة للاهتمام».

وقد كانت، كانت تعرض خدمة النقل، وبها دعوة للأعضاء ليسافروا لـ«استراحة الأم»، بالقطار من شيكاغو أو أوكلاهوما، وسوف يقابلهم ممثل للبلدة في المحطة، ولسوف يقضون الليلة في غرفة فاخرة بفندق، وبعدها ستقلهم سيارة مريحة للمقر الإداري بـ«استراحة الأم»، وهناك مكان خاص بجناح شبيه بالفنادق الفاخرة، سيكون مريحًا للغاية، ولسوف يختارون مساعدًا ليشرف على تناولهم للنيمبيوتال، ولو أرادوا بديلًا سيوفر المساعد حبوبًا منومة، وهناك دعوة للأعضاء لمعرفة ثمن الخدمة.

تخيل ريتشر الرجل من القطار، بحلته، وحقيبته الجلدية، والمرأة ذات الفستان الأبيض، الفستان المناسب لحفل جميل في حديقة بمونت كارلو، كلاهما غني، ومريض نفسيًّا، وذاهبان ليلقيا نهايتهما، تخيل حياتهما في عقله، وذكرياتهما المختلفة، والآن هما في نزل «استراحة الأم» بالغرفة ٢٠٣، يقفان أمام النافذة، الصباح الأخير بالنسبة لهما.

سألت تشانج: هل هذا ما فعله مايكل وصديقه؟

وقال ويستوود: تلك هي القصة، سوف أعرض الفكرة



بعنوان هل هكذا سيكون المستقبل بعد مئة عام من الزيادة السكانية، والفوضى، سيكون عليَّ أن أقدمها بشكل قوي، وأرى الأمر، بعد صرف أموال السفر تلك.

علق ريتشر: سيكون علينا التفقد أولًا.

- تفقد ماذا؟ نحن نعلم ما الذي يحدث، عملاء يريدون الانتحار ونيومبيوتال، وشبكة خفية تتنبأ وتحقق الرغبة البشرية، سيكون الكتّاب عن تلك القصة في قسم الفلسفة الاجتماعية، وهل سيكون الأمر كهذا للجميع بعد مئة عام أم لا؟

- كييفر لم يعتقد هذا، لو كان هذا كل شيء، لهز كييفر كتفيه ورحل، لقد رأى شيئًا آخر هناك.

- حقًّا؟

- هذا ما اعتقده كييفر.

- وما هو هذا الشيء الخاطئ؟

- أنا لا أرى كيف لمايكل وصديقه أن يتحملا تكلفة الذهاب إلى هناك، هما ليسا ثريين، إذن أين هما؟

سأله المبرمج: هل انتهينا؟

أجابته تشانج بأن نعم. وشكرته كثيرًا، وأضاف ريتشر: أنت بارع حقًّا، هم لا يرونك، لكنك تراهم.

وقال له ويستوود: أرسل لي فاتورتك.



قال لهم المبرمج: سوف أطلب لك سيارة.

وأمسك بهاتفه.

وقفوا جميعًا، واتجهوا صوب الباب عندما شعر ريتشر بالعالم يهتز من حوله، زلزال، فقد ريتشر اتزانه وسقط أرضًا ليرتطم بالباب، مهشمًا الزجاج بصدره، حاول ريتشر رفع رأسه، لم يكن زلزالًا، اعتدل ريتشر بصعوبة، وانحنى الجميع حوله فقال: أنا بخير.

- أنت سقطت، هل رأسك يؤلمك؟

- نعم.

- سوف نذهب بك للطوارئ.

- هذا هراء.

- ريتشر أنت نسيت اسم كييفر عندما كنت تتحدث وقلت الرجل، تلك علامة فقدان ذاكرة مؤقت، ربما تكون مصابًا بارتجاج، هذا ليس جيدًا، أنت سقطت الآن، وتترنح بشدة كأنك تحلم وأنت مستيقظ، أو تتحدث لنفسك.

- أنا أفعل هذا؟

- ستذهب للطوارئ.

- هذا هراء لن أفعل هذا.

- من أجلي يا ريتشر.



- كلا يا تشانج، سيكون هذا مضيعة للوقت، علينا الذهاب للفندق.

- افعلها من أجلي.

- لم أذهب للطوارئ من قبل.

- هناك مرة أولى لكل شيء.

لم يرد ريتشر، وقال المبرمج: اذهب للطوارئ يا رجل.

نظر ريتشر لويستوود وقال: ساعدني هنا في إقناعهم.

رد ويستوود: غرفة الطوارئ.

وأضاف المبرمج: أخبرهم أنك تعاني حالة طارئة نتيجة إصابة عمل، أخبرهم أنك عامل بناء، لن يجعلوك تنتظر، هناك تبرعات من الشركات للمستشفيات بهذا الشأن.

وفعلوا مثلما قال المبرمج، وأعطى ريتشر تلك القصة الوهمية للأطباء، وأدخلته تلك القصة الطوارئ بسرعة دون انتظار، وأجروا عدة إشاعات لريتشر، بينما ظل هو يؤكد أن هذا هراء، وأنه ليس بحاجة لكل هذا، وانتظروا الطبيب كي يفحص الأشعة، في النهاية أتى الطبيب إليهم، وقال محدثًا ريتشر بينما تشانج وويستوود في الغرفة: أنت أُصبت بضربة في رأسك.

- لا داعي للقلق، أنا أعلم أي يوم في الأسبوع نحن فيه، وأعلم من الرئيس، وما الذي تناولتُه في الإفطار.



- لديك إصابة في رأسك.

- هذا غير ممكن.

- أنت تمتلك رأسًا، ومن الممكن إصابته، لديك كدمة تسببت في إصابة دماغية، أو كما ندعوها باللاتيني «كونتيوسو كيريبري»، وهي ناتجة عن ضربة قوية في جانب الرأس.

- هل تلك أخبار جيدة أم سيئة؟

- لو تعرضت لتلك الضربة في ذراعك فكنت ستصاب بكدمة هائلة، وهذا ما حدث لرأسك، ولكن الكدمة داخلية، في عقلك، ولها توأم على الجانب الآخر؛ لأن رأسك اصطدم بالجهة الأخرى، وأدت جمجمتك عملها في ارتطام داخلي عكسي.

سأله ريتشر: والأعراض؟

- صداع، وحيرة، ورغبة في النوم، ودوار وفقدان للوعي، وشعور بالغثيان وقيء، وانقباضات، وصعوبة في التركيز والحركة، وفقدان للذاكرة والرؤية، وصعوبة في النطق والحديث، والسمع، والتحكم بالعاطفة.

- تلك أعراض عديدة.

- إنه العقل البشري.

- وماذا عن حالتي؟ أي أعراض سوف أصاب بها؟



- لا أستطيع التحديد.

- لديك تاريخي المرضي كله.

- ليس من السهولة التنبؤ بالأعراض.

- حسنًا، انتهت القضية هنا، أنت تخمن فحسب، لقد تعرضت للضرب في رأسي من قبل، تلك المرة ليست مختلفة، لا شيء خطرًا هنا.

- إنها كدمة داخلية في الرأس.

- متى ستقول شيئًا جديد؟

- تقارير الأشعة تلزمني بإبقائك هنا لليلة من أجل الملاحظة.

- هذا لن يحدث.

- عليك البقاء.

- لو كان الرجل قد ضربني في ذراعي، كنت ستخبرني أني سأكون على ما يرام خلال يومين، والكدمة ستعالج نفسها، وسوف ترسلني للمنزل، أنا بخير، اعتبر أنك قد قرأت التقرير الخطأ.

- العقل البشري ليس مثل الذراع.

- أتفق معك، الذراع بها عظام أكثر.

- حسنًا أنت رجل بالغ ولا إجبار هنا، وقِّع على الاستمارة وبإمكانك الخروج.



ثم استدار الطبيب وخرج دون كلمة أخرى، وانغلق الباب من خلفه.

قال لهم ريتشر: إنها كدمة، سوف تتحسن.

- شكرًا لأنك تفقدت الأمر، لنذهب للفندق.

قالتها تشانج، فرد ريتشر: كان علينا الذهاب للفندق مباشرة.

- أنت سقطت يا ريتشر.

لم يرد، وسار معهما بحرص ليستقلاه بسيارة أجرة.



الفصل الثامن والأربعون

اعتاد الناس القول بأن مدينة سان فرانسيسكو تبدو كإبهام على الخريطة، إبهام يشير للشمال، وقد فكر ريتشر أنها تبدو كإصبع أوسط في إشارة بذيئة، لكنه لم يجد سببًا لغضب المدينة من المحيط في الشمال لتعطيه تلك الإشارة، ربما بسبب الضباب القادم منه، واصل ريتشر أفكاره ثم تحول فكره للفندق عند وصولهم، كان الفندق قبالة سد مائي، مظلم، وفارغ، يطل على جسر «جولدن جايت»، والذي كان مضاءً بأضواء ليلية، دخلوا الفندق وسجلوا أسماءهم، هناك مطعم لتناول العَشاء، بأضواء بيضاء، غرفة المطعم كانت جميلة، وهناك ثنائي يجلسان سويًّا ومجموعة من أربع أفراد، قال ويستوود وهو يتصفح الإنترنت عبر هاتفه الخلوي: هناك أربعون ألف حالة انتحار سنوية في أمريكا، كل ثلاثين دقيقة، إحصائيًّا نحن مرجحون لقتل أنفسنا قبل أن نقتل بعضنا البعض.

- لو استخدم كل خمسة منهم بلدة «استراحة الأم»، فهاتان مئتا حالة موت كما كان مكتوبًا في ملاحظة كييفر.

- هل ستدفعين من أجل خدمة كهذه؟

- أتمنى ألا أفعل هذا.

- لو كان ثمن الخدمة ٩٠٠ دولار سيكون هذا منطقيًّا، سيكون الإجمالي خمسة آلاف حينئذ.



- ربما، لا تنسَ المساعد الذي سيشرف على العملية ويدلك.

- من الأفضل غرز سكين في عين المرء بدلًا من كل هذا!

- ما الذي تفكر به؟

- قائمة القتل الخاصة بـ«استراحة الأم» تضمنتني أنا، وأنت، وكييفر، ومكاين، وعائلة لاير، سبعة أفراد، دفعوا لميرشينكو كي يتم المهمة، هذا رد فعل كبير، أنا أعلم أن هناك شيئًا آخر يجري هناك.

- الناس يقتلون بعضهم من أجل دولار يا ريتشر.

- الفقراء منهم وهم في حالة ذعر أو اضطراب، ليس بشكل استراتيجي ومنظم، هناك شيء آخر يجري هناك.

- ليس بالضرورة أن يكون قرارهم منطقيًّا، ربما أصابهم الخوف، وأرادوا حماية تجارتهم.

- وهل كنتِ ستدفعين مقابل تلك الخدمة لو كنتِ في مكان العملاء؟

- لا أعلم، من الصعب تخيل الأمر، تخيل أنك ثري، وتريد إنهاء حياتك، بطريقة بها رفاهية، ومساعدون يتأكدون من أنك تتم الأمر بشكل صحيح، يمسكون يدك بحب، لم لا؟ الناس يدفعون من أجل ابتياع سيارة أفضل في النوع فحسب.



- متى سنرحل من هنا؟

سألهم ويستوود.

- عندما نمتلك خُطة، الأمر بحاجة لخُطة، سيكون مثل الاقتراب من جزيرة صغيرة في بحر كبير، سينتظروننا، هم يتوقعون مجيئنا، سنجدهم في المباني، والمحطة، والمتاجر، وخلف كل ركن.

- نستطيع الذهاب ليلًا.

- سيرون أضواء السيارة.

- نطفئ الأضواء.

- لن نرى طريقنا، سيكون ظلامًا مطبقًا في الليل في تلك المنطقة.

- الطرق خالية.

- كلا، كما أننا غير مسلحين.

لم يعلق ويستوود.

بعد العَشاء ذهب ويستوود لغرفته، وخرج كل من تشانج وريتشر ليجلسا في العراء، في قلب الليل..

- بم تشعر؟

- قليل من الصداع.

- أنا لا أريد العودة لـ«استراحة الأم» حتى تكون أنت



أفضل.

- أنا بخير لا تقلقي.

- أنا لم أكن لأعود هناك مطلقًا لو لم يكن الأمر بخصوص كييفر، من أنا كي أحكم؟ هم يحققون رغبة المنتحرين فحسب، ربما ويستوود يكون محقًّا، وسنفعل كلنا هذا بعد مئة عام، وتكون تلك خدمة قانونية.

لم يقل ريتشر شيئًا.

سألته هي: ماذا؟

- لقد كنت سأقول: إني لن أدفع مقابل خدمة كتلك، واستخدم بندقية لإنهاء الأمر لكن هذا سيكون صعبًا فمن الذي سيجد جثتي؟ الشيء نفسه مع المسدس أو الشنق، والوقوف أمام القطار ليس بأمر عادل للسائق، شرب مستحضرات الغسيل ليس بأمر مبهج للخادمة، ربما لهذا يختارون هم خدمة «استراحة الأم»، لكي يسهلوا الأمور لمن سيجدهم، لكني لا زلت لا أرى مبررًا لاستئجار ميريشينكو.

- وأنا لا أرى كيف سنذهب إلى هناك؟

- من أوكلاهوما.

- تريد استقلال القطار.

- أريد إبقاء اختياراتنا موجودة.



***

استيقظ ريتشر مبكرًا في صباح اليوم التالي، قبل تشانج، ذهب للحمام، وأغلق الباب خلفه، الآن هو يعلم أن نظريته بشأنه هو وتشانج خاطئة، سوف يزداد الأمر في التحسن بينهما دون توقف.

وقف قبالة المرآة ونظر لانعكاسه، هناك كدمات أخرى جديدة من سقطة البارحة، والكدمة الكبيرة من ضربة هاكيت، مصفرة اللون، بحجم طبق عَشاء، لم يتبول دمًا، والصداع يخف تدريجيًّا، وهناك دوار خافت يبدأ من جانب رأسه، لم يشعر برغبة في النوم، وقف على قدم واحدة وأغمض عينيه، لم يتأرجح، كان واعيًا، لا غثيان، لا انقباضات، سار في خط مستقيم، من حوض الاستحمام للمرحاض ذهابًا وإيابًا، وهو مغمض العينين، لم يتأرجح، رفع يده وفرك أنفه ثم معدته، انحنى يسارًا ويمينًا، لا مشاكل في التركيز، انفتح الباب من خلفه ودخلت تشانج، رآها في انعكاس المرآة، تثاءبت قائلة: صباح الخير.

- صباح الخير.

- ماذا الذي تفعله؟

- أتفقد الأعراض، الطبيب أعطاني قائمة طويلة.

- وما هي الحالة؟



- لا يزال أمامي اختبار كفاءة الذاكرة، والتحكم بالعاطفة، والتفكير، والسمع، والكلام.

- أنت اجتزت اختبار التحكم بالعاطفة بجدارة، لقد أبهرتني، بالنسبة لرجل عسكري، والآن لنختبر الذاكرة، أخبرني بأسماء ثلاثة مشاهير في أوكلاهوما بما أننا ذاهبون إلى هناك.

- ميكي مانتل، جوني بينش، وجيم ثورب، ونقاط إضافية لوودي جاثري، ورالف اليسون.

- ذاكرتك بخير.

ثم جلست على حافة حوض الاستحمام، ورفعت إصبعين وسألته: كم؟

- اثنان.

- رؤيتك بخير.

- ليس باختبار شامل.

- حسنًا ابقَ مكانك وأخبرني عن الشركة المصممة لديكور الغرفة.

نظر حوله، كان هناك عبارة صغيرة مكتوبة من على بعد.

قال: شركة الأساس الأمريكي.

لأنه كان يعرف الإجابة بالفعل.



- رؤيتك بخير.

ثم همست تشانج بشيء ما، بصوت خافت للغاية.

- في الطائرة؟

- موافق.

- سمعك بخير، هذا بالتأكيد، ما هي أطول كلمة في عنوان «جيتيسبيرج»؟ (5)

- أي اختبار هذا؟

- التفكير.

- هناك ثلاث، التركيز، والمعركة، والعرض (4).

- لينكولن كان مصابًا بالحصبة حينئذ أتعلم هذا؟

- تلك معلومة خاطئة.

- أعلم، كان اختبارًا إضافيًّا خفيًّا للذاكرة.

- لقد اختبرنا الذاكرة بالفعل، يتبقى الكلام، أول جملة في الخطاب؟

- الرجل الذي أسس شركة الزيت كان حفيد جيتيسبيرج، وسمي بهذا الاسم تيمنًا به.

- معلومة خاطئة.

- تلك معلومات عامة، وليست من ضمن الأعراض.

- إنه مرتبط بالذاكرة.

- لقد انتهينا من الذاكرة.

ثم أردف بصوت عالٍ كممثل مسرح مقلدًا لينكولن: منذ سبعة أعوام أتى الآباء المؤسسون بدولة جديدة، قائمة على الحرية والمساواة بين جميع الرجال.

تردد صدى الصوت في الحمام..

وتابع ريتشر بصوت أعلى: والآن تأتينا تلك الحرب الأهلية التي تختبر أمتنا كلها.

- حسنًا، كيف حال صداعك؟

- يخف تدريجيًّا.

- لم يذهب بعدُ كليًّا؟

- في طريقة للرحيل، لم يكن بأمر مهم على أية حال.

- الطبيب كان قلقًا بشأن الصداع.

- طبيعة الأطباء أن يقلقوا ويتعاملوا بحرص، ويفترضوا الأسوأ دون أي روح مغامرة، لقد مرت الليلة بسلام وأنا لا أحتاج للملاحظة.

- أنا سعيدة أن الطبيب كان حريصًا.

لم يقل ريتشر شيئًا.

اتصل بهما ويستوود ليخبرهما أنه حجز تذاكر الطيران، ولا



حاجة للتعجل، أمامهم الظهيرة بأكملها؛ ولذا طلبا قهوة من خدمة الغرف، مع الإفطار.

وفي بلدة «استراحة الأم»، كان النزل شبه شاغر، المطعم به قليل من الرواد، والمتجر العام كان مكتظًا بالمزارعين، سائق الكاديلاك في متجر تحويل الأموال، ومحل قطع الغيار مغلق، ورجل الحسابات بالمطعم لم يكن موجودًا كذلك، الرجلان كانا في طريقهما للمبنى الرخامي، بجوار السكة الحديد، وقفا صامتين أعلى المبنى يراقبان محطة القطار، وينتظران.

«سننتظرهما، ونقتلهما».

***

خرج الثلاثة من الفندق، واستقلوا سيارة أجرة، للمطار، وقال ويستوود منزعجًا: هذا فندق غريب للغاية حتى بالنسبة لسان فرانسيسكو، طيلة الوقت وأنا استحم كنت أسمع صوت رجل يردد خطبة لينكولن.



الفصل التاسع والأربعون

قال ريتشر لتشانج وهما في رحلتهما السلسة بمقاعد الطائرة: اذهبي وتحدثي مع المضيفة، إنهم يتلقون تدريبًا كمرشدين سياحيين، وأخبريها أنك من نوعية الأشخاص الذين يفضلون التعرف على البلدة عن طريق التجول بها، ولكنك قلقة بشأن الأمان، واسأليها أي مناطق عليك تجنبها.

عادت تشانج بعد عشر دقائق بخريطة عليها نقاط معلمة بالقلم الحبر، حيث المناطق التي يجب عليها تجنبها، بدت الخريطة كأنها تعود لبرلين إبان سقوطها للحلفاء، وقالت تشانج مشيرة لنقطة معينة: لقد أخبرتني ألا أذهب أبدًا لتلك المنطقة ليلًا أو نهارًا.

- نوعيتي من الأماكن.

- سأذهب معك.

- أنا أعتمد على هذا.

وصلت بهما الطائرة، أكلا مبكرًا، والقهوة كانت جيدة وممتعة، بعدها انتظرا ساعة لتغرب الشمس، وهما يجلسان في حانة، وبدأت ضوضاء الرواد في التعالي، ثم قال ريتشر: هيا بنا.

كانت مسيرة طويلة، وتزاحم الشارع من حولهما بالقوم المتجهين لمنازلهم بعد غروب الشمس، بعض المتاجر



كانت مغلقة، بخلاف متاجر الطعام، والتبغ، والكحول.

- ريتشر أنت بخير؟

- رائع.

انعطف بغريزته وتبعته تشانج، وسار هو لنوعية المكان الذي تجمعت به شتى أنواع السيارات، وبعض الناس من الواقفين، زقاق جانبي، توقف ريتشر أمام سيارة متوسطة الحجم، بسقف متحرك، ومحرك كلاسيكي، نظر ريتشر للسيارة.

- تشانج أنا بحاجة لرؤية صور الأقمار الصناعية -الخرائط الإلكترونية- مرة أخرى.

- لماذا؟

- لا أعلم، هناك شيء في عقلي يلح على رؤيتها، ولا علاقة لهذا بالذاكرة أنا على ما يرام.

- هل أنت متأكد؟

- اختبريني.

- من كان نائب الرئيس الخاص برووزفيلت؟

- تشارلز فايربينكس.

- آه كنت أعتقد أنه ممثل سينما.

- هذا كان دوجلاس.



- حسنًا.

واصلا السير، مرورًا بصفٍّ من البيوت المتجاورة، وأسوار ليست بطويلة، وبيوت كلاب في الفناء، خرجا من الزقاق الطويل لشارع طويل، وقال ريتشر: هنا سيكون مناسبًا.

وتابع وهو ينظر لمجموعة من الصبية يسيرون بلا مبالاة: هنا سنتظاهر بأننا قد أدركنا أننا ذهبنا لمنطقة خطر، ونتراجع بذعر!

استدارا عائدين للزقاق، وانعطفا يمينًا، شارع تلو الآخر، وقال لتشانج: الآن لنذهب ونحصل على ما أتينا من أجله.



الفصل الخمسون

اختارا بيتًا مهجورًا بقفل مهشم وبلا سياج، دخلا بسرعة، ووصلا للباحة الخلفية المهملة الخاصة بالبيت، حيث السياج الخلفي موجود ويغطي الباحة بأكملها، وفي الجانب الأيمن عبرا فتحة من السياج لزقاق خفي ومنه لبيت آخر مهجور لكنه ليس خاليًا به عدد من البلطجية، يقومون بمعاملاتهم التجارية، قال ريتشر: أبقي يديك في جيبك ليعتقدوا أنك تحملين سلاحًا.

- هل سيفلح هذا؟

- ربما.

- هل هم تجار مخدرات؟

- نعم، هم مثل بائعي شطائر اللحم المقدد في الطرق السريعة، نقد سريع ووجبة جاهزة، هم يافعون في السن، وسيتغير هذا الجزء قريبًا على أية حال مع نشاطهم هذا.

نافذة كبيرة على اليمين تطل على غرفة معيشة وعلى يسارها باب أسود، يواجه غرفة بدت كأنها مطبخ، جرب ريتشر إدارة مقبض الباب لكنه لم ينفتح، تحرك خطوتين ووقف أمام النافذة، نظر للمطبخ حيث القمامة، وأطباق متسخة، وعلب بيتزا، وزجاجات جعة خالية.

أخذ ريتشر خطوة أخرى، قبالة الحائط، وأغمض عينًا ليركز بالأخرى محدقًا برجلين في الداخل، يجلسان فوق



الأريكة، ينظران لهاتفيهما، أصابعهما تتحرك بسرعة كأنهما يلعبان، وأمامهما على المنضدة هناك حقائب سوداء، رخيصة الثمن، ربما بخمسة دولارات، وجوارهما سلاح آلي، تراجع ريتشر للخلف وهمس: لنجد حجر.

- لنهشم النافذة؟

أومأ ريتشر برأسه، انحنت تشانج والتقطت واحدًا متسائلة: هل سيصلح هذا؟

كان حجرًا مربعًا ضخمًا، سألها: هل تستطيعين رميه؟

- بالتأكيد.

ابتسم متابعًا: لا أقصد رميه كما يحدث على الشاطئ، تصويبة ورمية قوية، فور أن أهشم الباب.

أمسكت تشانج بالحجر، وهي تتخذ وضع استعداد.

همس ريتشر: مستعدة؟

أومأت تشانج برأسها..

واحد، اثنان، خطوة ثالثة، اندفعت رِجْل ريتشر لتهشم الباب، الذي انفتح على مصراعيه، في اللحظة نفسها التي قفز هو فيها من النافذة ليهشمها ويستقر داخل البيت، ثم تحرك بسرعة خاطفة عبر المطبخ، بينما يد أحد الرجال تتحرك نحو السلاح الآلي، ولكن سرعان ما تراجعت يده وانبطح عندما انطلق الحجر داخل البيت وهو يعتقد أنه رصاصه، ثم رأى حذاء ريتشر يركله في وجهه، قبل أن



تظلم الدنيا من حوله، وأخذ ريتشر السلاح مصوبًا للرجل الثاني المذهول وقال بلهجة آمرة: لا تتحرك.

تسمر الرجل مكانه، واسترق ريتشر السمع، لم تكن هناك جَلَبَة في الأرجاء، لا أحد يبدو قادمًا.

قال الرجل: ما الذي يحدث؟

- سوف آخذ أموالكم وسلاحكم.

نظر الرجل بتلقائية للحقيبة، وأدخلت تشانج يدها في جيبها، قال لها ريتشر: فتشيهما.

ومثل أي عميلة فيدرالية وكما علموها في التدريب فتشتهما تشانج بسرعة واحترافية، استخرجت مسدسين ومفاتيح سيارة، تلك هي الغنائم، مسدس من طراز بيريتا، والآخر غلوك، ٩ ملم، وهناك ذخيرة حية، قال لها ريتشر: تفقدي الحقائب.

فعلت تشانج ما قاله، إحدى الحقائب احتوت على الهيروين، والأخرى اكتظت بالمال، سأل ريتشر الرجل: أين السيارة؟

- بالخارج، أمام البيت.

- أنت قادم معنا، ستحمل الحقائب.

- تبًّا لك.

- نحن لسنا بشرطة.



قالها ريتشر وهو يرفع السلاح في وجه الرجل وأردف: أنت تخسر أحيانًا، وتكسب أحيانًا، تخطَّ الموقف لتظل حيًّا، سوف تعوض ما خسرته اليوم في أسبوع، والآن هيا تحرك.

حمل الرجل الحقيبتين، واحدة في كل يد، ودفعه ريتشر أمامه، والتقطت تشانج الغلوك في يدها اليمنى والبيريتا في اليسرى، الممر كان طويلًا ومتسخًا، وسمعا أصوات الشارع وهما يخرجان، مزاح وسباب، سيارات متحركة، والباب الأمامي للبيت.

قال ريتشر للرجل: عشر ثوانٍ أخرى وينتهي الأمر، كن ذكيًّا لِتبقى حيًّا.

انحنت تشانج وفتحت الباب، ثم تراجعت، ودفع ريتشر بالرجل للخارج، هنا توقف المزاح والسباب، هناك أحد عشر شخصًا بالخارج، بعضهم في الفناء، وآخرون على الممر الجانبي، أحدهم كان طفلًا، ربما ابن عامين أو ثلاثة، وفتاتان، لم يكملا العشرين عامًا بعد، ورجلان قويان في الثلاثينيات، والخمسة الآخرون كانوا مراهقين، في الثانية عشرة بالتقريب.

وفي الشارع مرت سيارة ببطء، ثم زادت من سرعتها ورحلت، دفع ريتشر الرجل في ظهره بفوهة السلاح، هنا تحرك القوم، مستعدين ومتأهبين للقتال فقال الرجل: دعوهما.



اتجهت تشانج للسيارة، وهي تصوب سلاحها، ثم عالجت الباب بالمفتاح، فتحت الباب الخلفي وألقى الرجل بالحقائب هناك، دفع بعدها ريتشر بالرجل صوب البيت وهو لا يزال يصوب سلاحه إليه، ركبت تشانج في مقعد السائق وأدارت المحرك، وجلس ريتشر جوارها وهو يصوب سلاحه إليهم، انطلقت تشانج بالسيارة مسرعة، هنا أمسك ريتشر بحقيبة الهيروين وألقى بمحتوياتها من النافذة، بينما السيارة تنطلق، جرى القوم خلف السيارة، يحاولون التقاط ما يستطيعون مما يسقط منها، وكذلك فعل الرجل ورفاقه من البيت، يحاولون استعادة ما كان معهم، وهذا كل ما رآه ريتشر؛ لأن تشانج أدارت المقود، بعنف، وانعطفت بهما السيارة يسارًا، وبعدها اختفى المشهد تمامًا ورحلت السيارة.



الفصل الحادي والخمسون

تخلصا من السيارة، في مرآب، على بعد أربعة مربعات سكنية من الفندق، وعادا لويستوود بعدها، وكساحر يخرج الأرنب من قبعته، أخرجا البيريتا(3)، والجلوك(2)، والسلاح الآلي، وقد حيًّا ويستوود كل سلاح بحفاوة واستقبال، ثم انفتحت بعدها الحقيبة وسقطت منها الأموال على الفراش أمام عيني ويستوود المندهشتين الذي قال: لقد غيرتُ رأيي بشأن قسم الفلسفة.

بدأت تشانج في عد الأموال، وتفحص ريتشر الأسلحة، وتأكد من حالة الذخيرة، ست وسبعون طلقة في المجمل، السلاح الآلي كان من طراز أوزي، وكان في حالة جيدة، سلاح فعال صمم لما يكون عليه حال المعركة فعلًا وليس ما يفترض أن تكونه، مثل الكلاشينكوف، على خلاف البيريتا مثلًا، الذي يحتاج لدقة وعناية، رغم كونه سلاحًا قويًّا مصممًا ببراعة.

في خبرة ريتشر أسلحة تجار المخدرات تكون ممتلئة بالعيوب، على خلاف أموالهم؛ بسبب سوء الصيانة، فعَّالة في نهاية الأمر، لكن المشكلة تمكن في الكفاءة، لكن ليس في حالة الأسلحة الحالية، رغم أنه يعتقد أن البيريتا والغلوك لن يكفيان، هل يكون السلاح سلاحًا بحق عندما لا نثق به؟

أفاق ريتشر من أفكاره على صوت تشانج.



- ريتشر تفقَّد هذا.

نظر إليها ريتشر، وأدرك أن المظاهر الخداعة، الأموال من فئة العشرين دولارًا كانت تخفي رزمة ضخمة، من فئة المئة دولار، بلفافة المصرف الرسمية.. سألها ريتشر: كم؟

- أكثر من مئتي وثلاثين ألفًا.

صمت ريتشر لفترة طويلة ثم قال: أريد رؤية صور القمر الصناعي مرة أخرى، أعطاه ويستوود الحاسب، وألقى ريتشر نظرة، فرأى المزرعة، والسياج، والخنازير، والدواجن، وحديقة خضراوات، حرك الصورة بأصابعه، بدأ بمركن السيارات، وتخيل إحداها تتحرك، فتبعها لباحة زراعية في طريق غباري، شرق القضبان، وشمال حقل القمح، وبدا أن هناك طريقًا خاصًّا داخليًّا بعد البلدة، على مسافة عشرين ميلًا، ثم انتهت الخريطة.

عاد حيثما بدأ، مرورًا بكل المناطق مرة أخرى، توقف عند مولد الكهرباء الاحتياطي، وقال لهم: لنفترض أن أكبر مكان هو البيت المقابل للسيارات، وأطباق القمر الصناعي، أين تقع غرف الانتحار؟

أجابه ويستوود: في الأغلب ستكون ثاني أكبر بيت، حيث سيكون هناك دورات مياه، وغرف معيشة، ونوم، وخلافه.

- ومكيف هواء، وإضاءة صناعية، وربما موسيقى خافتة؛ كل ما يجعل الأمر مريحًا للضيوف.



أشار ريتشر على الخريطة.

- هذا المكان؟

- يبدو كذلك.

- إذن أين السيارة التي ينتحرون بها بالغاز؟

- بعيدة وآمنة بجدران عازلة للصوت.

أومأ ريتشر برأسه وقال: لقد كنت في جنوب تكساس ذات مرة، ورأيتهم يستخدمون تلك السيارات عندما كان الجازولين أرخص من المياه، محركات تقليدية، أعيد صناعتها، كانت تعج بالضوضاء، نعم ستكون بعيدة بسبب الصوت.

- وسيحتاجون لصيانة، كذلك سيكون من المحرج بالنسبة لهم لو لم يعمل المحرك والعميل داخل السيارة.

- إذن أين تلك السيارة؟ في أي مبنى بالضبط؟

- هذا، أو هذا.

قالها ويستوود وهو يشير إلى مبنيين.

ثم أردف ويستوود بعد وهلة: أو أننا لا نراه.

- نحن نستطيع رؤية خطوط الهاتف، ومولد الكهرباء، انظر للأسف حيث المعدن، لا يوجد شيء سيمد بالطاقة حيثما ننظر من أي مبنى.



- ربما تخلصوا منه.

- لو أرادوا الاختباء، لفعلوها بطريقة أفضل، كلا، لا توجد غرف انتحار ولا سيارات كذلك، الموقع كان كذبة كبيرة.

اقترب ويستوود من الصورة وحركها وظل يبحث، لا خط غاز، لا جازولين، لا مبنى يدل على أن به أجنحة فندقية فاخرة حيث يوجد المساعدون، قال ريتشر: والآن، لنضع خُطتنا، معنا المال والسلاح وتلك بداية لا بأس بها، مئتا وثلاثون ألفًا لهي بداية لا بأس بها على الإطلاق.

صاغا الخُطة الجديدة ببطء، وبكل دقة وتفصيل، وقضيا المساء كله يفعلان هذا، ثم حل الليل، والصباح وهما لا يزالان يخططان، تكونت الخُطة من خمسة أجزاء، كل خطوة مخاطرة بحد ذاتها، وكل خطوة حيوية وبنفس أهمية الأخرى، واستخدما الحواسب والإنترنت إبان صياغتهما للخطة، باقي الخطة كانت قائمة تسوق.

قاما بالكثير من العصف الذهني، وتدربا على رد فعل الأشرار، وتوقعا وتخيلا، كل الاحتمالات، ماذا لو أمطرت أو حل إعصار بالبلدة؟ كل شيء، ثم تفحصا مقتنياتهما من قائمة الشراء.

كانا يشعران بالإغراء كالأطفال في محل حلوى وهما يتسوقان بكل تلك الأموال، لكنهما ابتاعا ثلاثة أشياء فحسب، مسدس هيكلر وكوخ، مسدس ب ٧ لويستوود،



كان شبيهًا بسلاح هاكيت الاحتياطي، صوب وأطلق دون حاجة لخبرة، صغير ويمكن وضعه في حذائه، ثم ابتاعا رشاشين من طراز م ب ٥ ك، أحدهما لريتشر والآخر لتشانج، أكبر حجمًا من المسدس، ولكن ليس بفارق ضخم، ابتاعا الذخيرة، وعددًا احتياطيًّا كافيًا منها.

سألت تشانج: كل شيء على ما يرام؟

- كل شيء رائع.

- أنت بخير؟

- أشعر بالروعة!

- سعيد بالخُطة؟

- إنها خُطة رائعة.

- لكن؟

- هناك شيء اعتدنا قوله في الشرطة العسكرية، كل الناس يتملكون خُطة حتى يتلقوا لكمة في فكهم.

نظر ويستوود لساعته، باهظة الثمن، كانت الخامسة مساءً، غمغم: سبع ساعات متبقية، علينا تناول الطعام، سنجد عدة مطاعم.

قال ريتشر لتشانج: اذهب أنتِ، سنبقى هنا في الغرفة، ونطلب خدمة الغرف، وسنطرق بابك وقت الرحيل.



الفصل الثاني والخمسون

بدأت الشمس في الشروق وتحول لون الأفق للأزرق الداكن؛ استعدادًا ليتحول مرة أخرى للغسق الأحمر في بلدة «استراحة الأم»، وفي المبنى الرخامي المواجه لمحطة القطار، على قمته، انعكس ظل شخص يجلس ناظرًا للمحطة، وقد بدا أنه ينظر لحافة العالم من مجلسه، وتحركت أصابعه الشاحبة، في تفكير، كأنه يقرر شيئًا ما، وانبعث ضوء خافت ليس بقوة كافية ليعكس ظلال بُعد، ثم بدأت الشمس في البزوغ ورأى الرجل الأفق بشكل أوضح، وأصبح المشهد أكثر وضوحًا، كان هذا الرجل هو سائق الكاديلاك، وجواره جلس ابن العم موهينيان، يرتدي سترة جلدية، ويشعر بالسوء وهو يتذكر ضرب ريتشر إياه، كان ينظر للشرق، بينما يتفحص سائق الكاديلاك الغرب، لم يريا سيارات قادمة، فقط حقول القمح، ومحطة القطار خالية، الهدوء يخيم على البلدة، السيارات مركونة، بعض الناس يتجهون للمطعم من أجل الإفطار، وبعد عشرين دقيقة كانت الشمس تتوسط قلب السماء، هذا ثالث صباح لهما وهما يراقبان، لم يكن هناك سحب، وتحركت أعشاب الحقل إثر هواء خافت، وشعر كل من الرجلين أنهم في مركز العالم من موقعهما هذا، رفع سائق الكاديلاك ساقيه وتربع، ووضع عليهما منظار المراقبة، ثم نظر من خلاله، لأقصى نهاية الطريق خلف حقل القمح، كأنه ينظر لشيء قادم من على بُعد،



رفع موهينيان يده ليحجب الشمس من على عينيه، ورفع منظاره إلى عينه لينظر بدوره، أتاهما صوت الرجل الثامن عبر اللاسلكي: أصحاب النوبة الثانية سوف يتأخرون قليلًا، أريد منكما البقاء حتى وصول القطار الصباحي.

تبادل كل منهما نظرة صامتة وتنهدا، ووضعا اللاسلكي جانبًا، بعد أن قال موهينيان: حسنًا.

ثم نظر لساعته وقال: عشرون دقيقة.

ثم التقط منظاره مرة أخرى، ونظر من خلاله، ثم قال: لديَّ شيء هنا.

ألقى سائق الكاديلاك نظرة على الجنوب الخالي، ثم حجب الشمس بيده مرة أخرى، وضيق عينيه ناظرًا من خلال جهاز المراقبة، ثم رآها، إنها شاحنة قادمة من على بُعد.

- راقبها جيدًا، وتأكد من عدم وجود سيارات تسير خلفها.

قالها سائق الكاديلاك، ثم نظر بالاتجاه الآخر قبل أن يقول: سحقًّا.

- ماذا؟

- هناك ما يبدو كأنه سيارة حمراء بعيدة، لكنها لا تتقدم للأمام.

- متأكد؟



- ربما أتخيل، هي بعيدة للغاية تبدو كنقطة صغيرة، هل هناك سيارات خلف الشاحنة؟

- لا أستطيع التحديد بعد.

- نعم هي سيارة حمراء قادمة ببطء بالفعل، لا خيالات هنا.

التقط بعدها موهينيان اللاسلكي، وتحدث من خلاله: لدينا سيارات قادمة من الشرق والغرب، وموعد وصولها بسرعتها الحالية سيكون مثل القطار الصباحي.

أتاه صوت الرجل الثامن: إنهما ريتشر وتشانج، يريدان لنا أن نقلق بشأن ثلاثة أشياء في وقت واحد لنتشتت.

ضيق سائق الكاديلاك عينيه وهو يراقب الشاحنة، لم يبدُ له أنها تحرك للأمام الآن، كانت بيضاء اللون، وهناك ألوان أخرى، لون برتقالي مألوف، قال سائق الكاديلاك: انتظر.

فكرر موهينيان عبر اللاسلكي: لحظة.

وأردف سائق الكاديلاك: إنها شاحنة بريد «فيديكس» قادمة من أجلي.

فقال موهينيان للرجل الثامن: تلوح من جهة الشرق.. إنها شاحنة «فيديكس»، ولكن السيارة القادمة غربًا غير معلومة.

قال له الرجل: راقبها.



- سأفعل هذا.

وضع موهينيان اللاسلكي جانبًا، وتفحص شاحنة البريد سريعًا ثم استدار غربًا، السيارة لا تزال قادمة، من على مسافة هائلة، وأشعة الشمس منعكسة عليها، التفت سائق الكلاديلاك ونظر للقضبان، لا شيء يبدو قادمًا من الشمال، لكنه لاحظ اهتزازها - القضبان- معلنة أن القطار القادم من أوكلاهوما يقترب رويدًا، ربما على بعد خمسة عشر ميلًا، التفت شرقًا، شاحنة البريد قادمة، وغبار الصحراء يتطاير من حولها إثر عجلاتها، هنا قال سائق الكاديلاك: لحظة أنا هنا، كيف سوف أتسلم الشحنة من شاحنة فيديكس؟

- سيستغرق الأمر وقتًا طويلًا منك لتذهب وتتسلم وتعود.

ثم نظر للسيارة الحمراء وأردف: تلك أبطأ سيارة في العالم.

- لا بطء هنا، هم يتعمدون الوصول مع القطار.

- ما مدى بُعد القطار الآن؟

- السيارة أقرب.

- لكن القطار أسرع.

لم يرد سائق الكاديلاك، ذكره السؤال بهراء المدرسة القديم، لو كانت السيارة على بعد اثني عشر ميلًا، وبسرعة أربعين ميلًا في الساعة، والقطار على بعد خمسة عشر ميلًا،



وقادم بسرعة ستين ميلًا في الساعة أيهما سيصل الأول؟

كلاهما، لقد كان الأمر مخططًا له، وواصلت السيارة الاقتراب ببطء، وكذلك القطار، خرج بعض الرجال من المطعم، لقد أرسلهم الرجل الثامن، وتلك خطوة ذكية، سيكون هناك حفلة استقبال للسيارة، إلا لو كانت فخًا هي الأخرى، وهم على متن القطار، كفيلم رعاة بقر قديم، وتذكر كلمات الزعيم: نحن نعرف الخُطة وما الذي سنفعله بهم جيدًا عندما يأتون.

رأى القطار بوضوح وهو قادم، والسيارة كذلك، وهناك شاحنتان تخصهم، وعدد من الرجال ينتظرون السيارة، بفخر واستعداد، كتماثيل سوداء على بوابة دخول قصر، هنا، وفجأة، سمعوا صوت مروحية تقترب..



الفصل الثالث والخمسون

قفز كل منهما: موهينيان وسائق الكاديلاك كالملسوعين وهما يتراقصان كالمخابيل، كرجال يهاجمهم وابل من النحل، وهم ينظرون للسماء بحثًا عن المروحية، ثم رأياها، إنهما مروحيتان في قلب السماء، تهبطان بسرعة، واحدة من الشمال والأخرى من الشرق، واب.. واب.. واب، يتعالى صوت المروحية وهي تقترب من البلدة، بينما حقول القمح تموج بقوة، في الوقت نفسه اقتربت السيارة وكذا فعل القطار، أتاهم صوت الرجل الثامن اللاسلكي: أبقوا عيونكم على المروحيات، أريد أن أعرف من بداخلها وأين سيهبطون.

ثم صمت اللاسلكي، ثم رأوا الرجل الثامن بنفسه بالأسفل ممسكًا باللاسلكي، واب.. واب.. واب، يقترب القطار والسيارة من الوصول، بينما المروحيات تحلق، كلهم يقتربون سويًّا، سيصلون في أقل من دقيقة..

هنا حدث مجموعة من الأشياء وظل موهينيان وسائق الكاديلاك يتلفتان حولهما محاولين رؤية كل ما يحدث، أول شيء كان اقتراب المروحية بسرعة هائلة من شرق القضبان متجهة جنوبًا، صوب المزرعة، ثم وصلت السيارة الحمراء لحفلة الاستقبال وتوقفت، وانحنى رجلان من البلدة صوب نافذة السيارة التي بدت رخيصة وقديمة ومستأجرة ليتحدثا مع السائق.. وثالثًا تراجعت المروحية



الثانية غربًا، وظلت مكانها، فوق الميدان حيث النزل، وكانت مقتربة جدًّا من الشارع، ثم غربت شاحنة البريد صوب القضبان الحديدية، وظلت المروحية الأولى تبتعد في الأفق متجهة للمزرعة، ووصل القطار، وللمرة الأولى في تاريخ وصوله كان هناك شيء آخر أعلى منه في الضوضاء وهو المروحية..

الرجلان من حفلة الاستقبال لا يزالان يتحدثان مع سائق السيارة الحمراء.

انفتحت أبواب القطار.

علت أصوات المروحية.

واب.. واب.. واب.

لم يخرج أحد من القطار.

تحرك القطار مبتعدًا، عربة تِلْوَ الأخرى..

ارتفعت المروحية في الميدان عاليًا..

وواصلت شاحنة البريد التقدم..

تراجعت المروحية مبتعدة، ومن الجنوب عادت الأخرى، وابتعدت بدورها؛ لتصبح كل من المروحتين نقطة بعيدة في السماء، وخفتِّ الضوضاء، ثم عاد الصمت اللهم إلا صوت حقول القمح الهادئة، وأتاهم صوت الرجل الثامن عبر اللاسلكي فقال له موهينيان: لم يترجل أحد من المروحيات ولا القطار.



في التوقيت نفسه تراجعت الشاحنة عن حفل الاستقبال، وابتعد رجال حفلة الاستقبال، لتمر السيارة الحمراء، فقال موهينيان: ما الذي يحدث؟

قال له الرجل الثامن: يقول إنه عميل، وقد أحضر معه الكثير من الأموال، سنتفقد أمره..

تم عقد اجتماع سريع في المطعم حيثما ذهب سائق السيارة الحمراء، العميل المفترض، كلهم كانوا هناك إلا ابن العم موهينيان الآخر، وتم إجراء تحليل سريع لما حدث، هل هم قادمون؟ هل هم من أرسلوا المروحيات؟ لم يأتِ أحد من القطار، أجروا تصويتًا سريعًا، ثم التفتوا صوب العميل، كان يبدو بحالة جيدة، كمذيع في قناة تلفزوينة، شعر رمادي، ولحية باللون نفسه، في العقد الرابع من العمر، ملابس غريبة، وحذاء جلدي طويل، قال لهم: إن اسمه تورانس، وأنه تخلص من هويته قبل القدوم كنوع من الاحتياط؛ لأنه لم يرد أن يتعرف عليه أحد بعد أن ينتحر، لقد أحرق كل أوراقه في حمام الفندق قبل مجيئه، هكذا أخبرهم، نظر إليه الرجل الثامن، ثم قال: سامحنا يا مستر تورانس علينا توخي الحذر، ثم نظر لموهينيان وأردف بحدة: أين أخوك اللعين؟

- لا أعلم.

- أنا بحاجة إليه هنا.

- حسنًا سأجده.



سياستهم في الاجتماعات كانت من يصل أخيرًا يخرج أولًا، وموهينيان كان آخر الواصلين لأنه استغرق وقتًا في الوصول من المبنى الرخامي؛ وبسبب إصابة رأسه، خرج موهينيان ليُحضر أخاه في حين نظر الرجل الثامن لويستوود وقال: مستر تورانس علينا التأكد من أنك لا تحمل جهاز تنصت.

نظر إليه ويستوود لوهلة ثم قال: بالتأكيد لا.

- إذن أنت لن تمانع أن تفك أزرار قميصك.

فعل ويستوود مثلما طلب الرجل، كاشفًا عن صدر مُشعر، لا جهاز تنصت..

تابع الرجل: سؤالي لك هو كيف وجدتنا؟

- الشبكة الخفية، عن طريق منتدى، مستخدم يدعى «طريق الخروج".

- نعم لقد عرفناها.

فكر ويستوود، هي، وصيغة ماضٍ..

تابع ويستوود: لقد أخبرتني أنها قادمة هنا مع صديق يدعى مايكل، اسمه كمستخدم هو مايك..

- لقد أتوا بالفعل، لقد عرفنا مايك كذلك.

- وقد رأيت أنه طالما أن الأمر ملائم بالنسبة لهما فسيكون مناسبًا بالنسبة لي.



- سؤال آخر، ما الذي انتويت فعله بخصوص سيارتك المستأجرة؟

- لقد فكرت أني لو دفعت زيادة ستتخلصوا أنتم منها من أجلي.

- يمكننا تنظيم شيء كهذا، ولو وجدها أحد سيزيد هذا من غموض اختفائك كما تريد، ربما يعتقدون أنها جريمة قتل.

- هذا ما فكرت فيه.

- كما تعلم مسبقًا يا مستر تورانس، نحن نوفر عدة خيارات؛ لإنهاء حياتك، نحن لا نحكم عليك، ولا نريد معرفة أسبابك، لن نقدم لك دعمًا نفسيًّا ولن نحاول تغيير رأيك، لكنك وصلت بطريقة غير اعتيادية؛ ولذا بشكل استثنائي سوف أسألك عن أسباب رغبتك في إنهاء حياتك.

- لقد اكتفيت، أنا لم أطلب أن أولد في هذا العالم، لم أستمتع أبدًا بشيء كي أكون صادقًا.

- المزيد من التفاصيل من فضلك.

- أنا مدين لأحدهم بالكثير من الأموال ولا أستطيع السداد، لا أستطيع مواجهة ما هو قادم.

- ديون قمار؟

- أسوأ.



- ديون حكومية؟

- لنقل: إني ارتكبت أخطاء فادحة.

تبادل الرجل الثامن نظرة شمولية مع فريقه، كلهم إلا أولاد العم موهينيان، ثم قال: أعتقد أننا قادرون على تلبية احتياجاتك، لكني أخشى أن الأمر سيكلفك كل ما أحضرته معك من أموال.

- أنا أريد محرك الجازولين هكذا أريد أن يتم الأمر.

- إنها طريقة محبوبة.

- غاز متسرب ونوافذ مغلقة؟

- بلى.

- هل هناك نسبة فشل؟

- لا تقلق بهذا الشأن، المحرك فعال للغاية، ثق بنا.

ثم نظر الرجل الثامن للشارع، أين ذهب آل موهينيان، وإزاء نظرته المتسائلة خرج رجل قطع الغيار قائلًا: سوف أجدهما.

- سوف أوجه إليك سؤالًا غريبًا يا مستر تورانس، هل تحب تناول الإفطار معنا؟

فكر ويستوود قليلًا، ثم أجاب بالموافقة، وعاد رجل الحسابات مؤقتًا لوظيفته في المطعم، وأعد لهم القهوة، وقال سائق الكاديلاك: إنه سيذهب ليتفقد شاحنة البريد،



وسيعود خلال دقائق، وبقي كل من صاحب المتجر العام، والمزارع، وموظف النزل ذي العين الواحدة، ثم تركهم صاحب المتجر ليذهب ويحضر شيئًا، دواءً لقلبه كما قال، وقال: إنه سيعود خلال دقيقة، لكنه لم يعد، وكذلك لم يفعل سائق الكاديلاك ولا آل موهينيان، أو الرجل الذي ذهب بحثًا عنهما، ظل الرجل الثامن مكانه، وقال: ما الذي يحدث هنا؟ هم يخرجون ولا يعودون.

ثم اقترب من النافذة ونظر للخارج، لا شيء، شوارع خالية، ثم قال لهم: لدينا مشكلة، اخرجوا من الخلف، أعذرنا يا مستر تورانس، سنعود لك لاحقًا.

ثم خرج مسرعًا من الباب الخلفي للمطبخ، يتبعه المزارع، ورجل الحسابات، والموظف ذو العين الواحدة، خرجوا لزقاق خلفي، ألقوا منه نظرة على الميدان، وجلس ريتشر وحده في المطعم قبل أن ينفتح الباب وتدخل تشانج ومن خلفها ريتشر.



الفصل الرابع والخمسون

ذهب أكبر قدر من المال للمروحيات التي استأجروها من شركة نقل خاصة في كنساس؛ لتصبح بمثابة سيارات أجرة طائرة، لم تكن هناك فرصة أن تهبط المروحيات، لا موقعَ مناسبًا لهذا، وتأمينها لن يسمح بهذا، وهكذا كانت مهمتهم أن يحلقوا حول البلدة قبل أن يعودوا أدراجهم؛ من أجل تصوير فيديو كما أخبرتهم تشانج، واتبعوا الموقع الإلكتروني الذي أعطتهم إياه، التوقيت كان يمثل تحديًا، لكنهم وصلوا في موعدهم، باقي الأموال حملها ويستوود معه، قدر كافٍ ليبهر أهل البلدة، وكطالب ثانوية حسب ويستوود سرعة القطار وقارنها بسيارته ليصل معه، خلال هذا التوقيت كان كل من ريتشر وتشانج في شاحنة البريد، بعد أن تواصلا مع الفرع في أوكلاهوما، وأخبراه أن لديهم طلبية عاجلة لا بد أن تصل خلال الليل وقبل الصباح لـ«استراحة الأم»، وتم إخبارهما في اللحظة الأخيرة بأنهم يستطيعان جلب شحنتهما، وابتهج السائق عندما رأى أموالهما التي صاحبتها عبارة ريتشر: خذ منها ما تريد، مقابل ركوبنا معك في الشاحنة، واحرص على أن تصل مع القطار الصباحي، في السابعة، وقد أخبرهم السائق أنه يستطيع فعل هذا بأعين مغلقة، وبإمكانهم البقاء بالخلف والقفز من الشاحنة متى أرادوا عندما يبطئ من سرعته بعد أن يدخل البلدة، وقد فعلا هذا عندما توقف أمام متجر سائق الكاديلاك، دون أن يراهما الأخير وسط كل



الفوضى التي أحدثتها المروحيات، ثم رأى ريتشر موهينيان يسير وحيدًا في الشارع، وتغلب ريتشر عليه بسهولة، وقام بتقييده جيدًا بأسلاك توصيل هواتف من المتجر العام، المجاور لمكتب سائق الكاديلاك، ثم لمح بعدها شخصًا يبحث عنه مرتديًا قبعة جلدية سخيفة، أفقده ريتشر الوعي، وقيده بالأسلاك نفسها، بجانب زميله، ثم شاهد رجل قطع الغيار، يبحث عن الاثنين، وتلك المرة لم يكن هناك محادثة عن كرة القدم، ضربة واحدة من الخلف على رأسه، والآن هو مقيد معهم.

ربما بقي أهل البلدة في بيوتهم بسبب غريزة البقاء، بعدما رأوا ريتشر وتشانج بالأسلحة الآلية، لا شيء فعلوه سوى الاختباء، لن يفيد الاتصال بالشرطة، هم على بعد مسافة شاسعة، ودخل سائق الكاديلاك المتجر، ليلقى ضربة بمؤخرة السلاح في وجهه، وجرى تقييده بالأسلاك، ثم خرج باقي الفريق من الزقاق الخلفي للمطعم، تاركين ويستوود بمفرده الذي قال لريتشر وتشانج بعد دخولهما: لقد اتفقت معهم على محرك الجازولين.

- سيواصلون خدعتهم تلك؛ الأمر ليس متعلقًا بأي انتحار.

- أنا أفترض أنهم قد ذهبوا للمزرعة.

- بالطبع.

- هل نحن مستعدون؟



- لقد فعلنا كل ما استطعنا فعله.

- هذا هو التوقيت الذي ستخبراني فيه أن أنتظركما أليس كذلك؟

- لن نخبرك بهذا إلا لو أردت أن تنتظر.

قالتها تشانج فهز ويستوود رأسه نفيًا.

وأضاف ريتشر: أتمنى أن أرسلك قبلي للاستطلاع أنت رجل بالغ، تعالَ معنا لو أردت، لكن ابقَ على يساري.

- لماذا؟

- أنا أيمن، وأحب حرية الحركة.

- مفهوم، هيا بنا إذن.

رأوا حفارًا آليًّا، أمام متجر السيارات المواجه للقضبان، نظر ريتشر إليه، كما لو كان سيشتريه ثم قال للبائع: إنه يريد اختباره في جولة قيادة، لكن ريتشر نادرًا ما يبتاع شيئًا، كما أنه هناك حقيقة أنه لا يجيد قيادة هذا الشيء، عكس ويستوود الذي - بحكم وظيفته كمحرر علمي- ذهب لمزارع وقاد تلك الحفارات من قبل، جلس ويستوود في المقعد الوحيد بالحفار، وتشانج على يمينه نصف واقفة وكذلك ريتشر على يساره، كل منهما كان ممسكًا بسلاحه، رائحة الحفار كانت جيدة، جديد وغير مستعمل، وتحرك ويستوود بالحفار، تاركًا الطريق الرئيسي واتجه لحقل القمح، وقاد الحفار من خلاله.. تمايل بهم الحفار كأنه



قارب والحقل هو البحر، تأرجح ويستوود في مكانه لأعلى وأسفل، بينما تعلق كل من ريتشر وتشانج جيدًا.

استمر بهم الحفار يسير خلال الحقل الذي كان أكثر أمانًا من الطريق الرئيسي، فربما يكون ملغمًا بهم، ولسوف يطلقون الرصاص فورًا عند رؤيتهم، على خلاف الحقل بأعشابه الطويلة الذي يعطيهم حرية الحركة، كما أن مقدمة الحفار المعدنية سوف تصد الرصاصات، الخُطة تعمل جيدًا حتى الآن، إلا أن الألم في رأس ريتشر قد بدأ في العودة.

أغلب الطريق للمزرعة كان يختفي خلف أشعة الشمس القوية، وأعشاب القمح، ثم رأوا المزرعة وهم يقتربون، السياج، والنزل، وسلك الهاتف، وعمود الإشارة، ورائحة الخنازير، كرائحة كيماويات، أوقف ويستوود الحفار وأطفأ المحرك، وعم الصمت، شعر ريتشر كأنه تمساح في بحيرة يراقب فريسته، ثم بدأت الفريسة في إطلاق الرصاص!

توالى إطلاق النار من على بعد مئتي ياردة، ثلاث بنادق، رصاصات منطلقة من كل أرجاء الحقل، صاح ويستوود: هل نتراجع؟

- كلا.

ريتشر كان مقامرًا بطبيعته، وأردف وهو يعد في عقله: سيعيدون ملء خزانات الرصاص، تحرك خمسين ياردة للأمام بسرعة.



- خمسين ياردة للأمام؟

- الآن.

أدار ويستوود المحرك وتحرك بهم للأمام.. رصاصات منطلقة في كل صوب، اصطدمت إحداها بمقدمة الحفار المعدنية، وسقطت أرضًا فقال ريتشر: أنا منبهر.

- بماذا؟

- لقد أصابوا الهدف أخيرًا، والحفار حقًّا قادر على صد الرصاص، لنتقدم للأمام.

- الآن؟

- لا وقت مثل اللحظة الراهنة.

- اعتنِ بنفسك يا ريتشر.

- وأنت أيضًا يا تشانج.

قفز كل منهما في الحقل، واتجه أحدهما يمينًا، بينما الآخر لليسار.



الفصل الخامس والخمسون

كما قال ويستوود في مقاله بخصوص حقول القمح فإن طول العشب قد يقارب ارتفاع شجرة، لو تم زراعته والاعتناء به جيدًا، وفي تلك الحالة سيستخدم المزارعون الطرق التقليدية، وقد غطت تلك الأعشاب ريتشر، وهكذا كان عنصر المفاجأة في صالحه، هم لا يزالون يعتقدون أنه في الحفار، ولذا زحف ريتشر في الحقل، ببطء، ممسكًا بالسلاح، من الصعب التصويب به من على تلك المسافة، يقترب رويدًا، وهو منحنٍ، ينظر للسياج من خلف أعشاب القمح، ركبتاه وساعداه في الأرض الطينية ورائحة الخنازير تعطب أنفه، وستلتصق الرائحة في ملابسه، فكر أن عليه ابتياع ملابس جديدة مع وجود تشانج في الأرجاء عندما ينتهي من مهمته، وفكر أن لو أن الأمر سينتهي اليوم فإن تشانج لن تكون موجودة غدًا، على بعد مئة ياردة انحنى صوب المزرعة مصوبًا السلاح، يقترب قدر الإمكان، بسلاح كال م ب ٥ ك عليه الاقتراب أكثر، ربما تسعين ياردة، رفع رأسه بعد دقائق بحرص ليرى أين هو، الموقع ملائم، بالقرب من السياج، خلف المبنى، ورجل الحسابات من المطعم هناك، جوار الموظف ذي العين الواحدة، والمزارع، يحملون بنادق م ١٦، انتظر ريتشر؛ بسبب الآلام التي داهمت رأسه، وزحفت تشانج في الاتجاه الآخر مقتربة من الجهة المجاورة للمزرعة، دورها أن تنتظر الحفار كي يتحرك، ويرميهم



ريتشر بالرصاص، ثم تبدأ هي، تلك كانت الخُطة، ورغم أنها خُطة ممتلئة بالمخاطر فلقد كانت تعمل حتى الآن، لقد توقع ريتشر أربعة في البلدة وقد حصلوا على خمسة، وتوقع أنهم سيخطئون التصويب عندما يبدؤون إطلاق الرصاص من المزرعة، وقد كان محقًّا في هذا، وعندما سألته عن الجزء القادم وهل سيسير مثل الخُطة أم لا قال لها: إنهم في الأرجح سيتراجعون داخل المبنى، كالذهاب لغرفة أمن محصنة، فسألته لماذا لم نخُطط لهذا الجزء؟ وأجابته كانت: ربما يحالفنا الحظ.

واصلت تشانج الزحف، وهي تعد الرصاصات، أرادت أن يحالفها الحظ، يقتنص ريتشر واحدًا منهم وهي تُردِي الآخر، تخيلت تشانج موقعها من صور القمر الصناعي، وواصلت الاقتراب، فكرت أن كييفر قد يكون مدفونًا هنا، في حظيرة الخنازير، رفعت رأسها ونظرت للسياج، رفعت سلاحها، أرادت للحظِّ أن يحالفها، أدار ويستوود المحرك مرة أخرى وتحرك، ليرتطم بالسياج، متذكرًا كلمات ريتشر، لا تقلق ولا تنتظر، وغمغم ويستوود: مستقبل الصحافة المهنية، الإنترنت قد غير من كل شيء، على الصحفي الآن التواجد في قلب الحدث، وواصل الارتطام بالسياج.

***

شعر ريتشر بالدوار بينما يتحرك الحفار، رفع رأسه مرة أخرى، ضرب مقدمة رأسه بيده، محاولًا التركيز، هذا



أفضل، الرجال الثلاثة في مواقعهم ببنادقهم، تحرك رجل الحسابات لليمين ملقيًا نظرة حريصة، ثم صوب سلاحه نحو الحفار وانتظر، بينما صوب موظف النزل سلاحه في الاتجاه الآخر، وتزايد الألم في رأس ريتشر، ككهرباء تسري في رأسه، ثم أطلقت تشانج الرصاص بسلاحها الآلي، تسع رصاصات في الدقيقة من الرشاش، بسرعة، انبطح موظف النزل للخلف، وانحنى موظف الحسابات يبحث عن مصدر الرصاص، تحركت معه فوهة سلاح ريتشر، ثم أطلق الرصاص، طلقة واحدة، اخترقت ظهر الرجل في المنتصف، ليسقط أرضًا، حالفه الحظ.

لقد كان يصوب للأسفل، لأكبر جزء من الهدف، في منتصف ظهره، انبطح المزارع، ثم هرب مسرعًا صوب حقل القمح، رجل ذكي، لكن موظف النزل تقدم للأمام وأطلق الرصاص، صوب ريتشر ومرت الرصاصة جوار الأخير، واصلت تشانج إطلاق النار، لتفرغ سلاحها وتعيد تعبئته، الغبار يتطاير، تراجع الموظف للخلف، والحفار يواصل تحطيم السياج، جزء في عقل ريتشر لم يرد إطلاق الرصاص على موظف النزل، وقال له هذا الجزء إنه رجل عجوز بعين واحدة، ثم قال جزء الآخر إن هذا الرجل العجوز يصوب سلاحه نحو تشانج؛ لذا صوب ريتشر، مركزًا على المقدمة، ثم عاد الألم في رأسه وزاغت رؤيته، وأصبح الهدف غير واضح، هز ريتشر رأسه، أغمض عينيه وفتحهما، ثم أطلق الرصاص، اخترقت الرصاصة رأس



موظف النزل، مهشمة جمجمته، لا مزيد من التفكير والتخطيط لهذا الرجل، الذي سقط صريعًا على الفور بسرعة باب يغلق بقوة، يتقدم الحفار، ويعدو المزارع، أطلق عليه ريتشر الرصاص لكن لم يصبه، الدوار يعصف برأسه، أطلقت تشانج جولتها الثالثة من الرصاص، وعدا المزارع بأقصى سرعته، الحفار يتقدم داخل المزرعة..

هنا ضم ريتشر سلاحه لصدره وجرى في الحقل صوب الحفار وهو منحنٍ، رآه ويستوود، وعدت تشانج من الجهة الأخرى، نظرت تشانج لريتشر لترى إن كان بخير، وقال لها: اثنان موتى.

- أربعة باقون.

- علينا إيجادهم.

- لقد تراجعوا للبيت، غرفة آمنة كما قلت.

كانوا يقفون خلف الحفار وسألهم يستوود: غرفة آمنة ومحصنة، كيف بنوها؟

- هم لم يبنوها، لقد صمموها مع المبنى، كل مزرعة في الولاية بها غرفة كتلك، للوقاية من الأعاصير.

- آه ستكون بالقبو وبها مخرج خاص في حالة تداعى المبنى مع قوة الإعصار، علينا إيجاد هذا المخرج لسده بالحفار بعد أن نركنه أمامه.

***



أدار ويستوود المحرك مرة أخرى، وطفق ينتظر، قال له ريتشر: لا وقت مثل اللحظة الراهنة.

تحرك الحفار بسرعة متوسطة، عبر السياج المحطم، وكل من ريتشر وويستوود قابضان على أسلحتهما في تأهب، لم يطلق عليهما أحد الرصاص، واقع المزرعة كان مطابقًا لصورة جوجل، وأمامهم المنزل، ومولد الكهرباء، وبناية أخرى صغيرة حيث كان الرجال الثلاثة يطلقون منها الرصاص، عمود التقاط الشبكة وكابلات الإنترنت..

تلفتوا حولهم، لا حركة..

أخرج ويستوود مسدسه الصغير من حذائه، وقال له ريتشر: الجزء القادم تطوعي ليس عليك المجيء.

- أعلم هذا.

- لنذهب ونبدأ بالبيت.

تحرك ثلاثتهم، لم يطلق عليهم أحد الرصاص، ساروا وسط الطين، نحو البيت، تشانج على اليسار، ويستوود في المنتصف، ريتشر على اليمين، رأسه يؤلمه كأن أحدهم غرز سكينًا في أذنه!



الفصل السادس والخمسون

وقف ريتشر يحرس المقدمة بعدما دخلت تشانج ومعها ويستوود البيت ليبحثا في الداخل، وتحركت أعين ريتشر بحثًا عن المخرج الثاني من الغرفة الآمنة؛ عليه توقُّع أي مفاجأة في أي لحظة، لكنَّ شيئًا لم يحدث، عادت تشانج بعد دقيقتين وقالت: لقد وجدنا المدخل الرئيسي، ويستوود يؤمنه.

وقفت تشانج مكان ريتشر ودخل هو ليجد ويستوود يقف في ممر غرفة نوم، أمام خزانة ضخمة، بها سلم يقود لغرفة تحت الأرض، مصممة بطريقة تمنع الأعاصير من الإطاحة بها، كانت الفوضى تعم المكان، مثل شقة بيتر مكاين، حواسب آلية في كل صوب، عشرون حاسبًا، أسلاك وكابلات، ولوحات مفاتيح، وشاشات صغيرة وعملاقة، ذهب ريتشر للأمام وانعطف ليجد غرفة معيشة، بها مقاعد ضخمة، خمن ريتشر من طبيعة تصميم المنزل أن المخرج الخلفي سيكون معاكسًا لاتجاه الباب الرئيسي، تلك هي الطبيعة البشرية، وسيكون النفق الأرضي بالطول أسفل المنزل متجهًا لمولد الكهرباء، طريق هروب مثالي لكل الأسباب الصحيحة.

لم يكن مصممًا فحسب للوقاية والهرب من الطبيعة بل ولهروب البشر كذلك..

المبنى الأصغر حجمًا كان يمتلك أبوابًا ذات اتجاهين مثل



بوابات المرآب، لم تكن هناك أقفال وهذا قرار ذكي لأن أحدًا قد ينسى المفاتيح، تخيل ريتشر شكل النفق، ضيق ويكفي لمرور فرد تلو الآخر.. حاول ريتشر فتح الخزانة دون جدوى..

بدأ كل من ريتشر ويستوود في حمل المعادن الثقيلة من أمام بوابة الغرفة الآمنة، المتمثلة في شاكلة الخزانة العملاقة بعيدًا، وبحثت تشانج عن شاحنة مفاتيح، ثم وجدت واحدة، تلك التي كانت أمام المطعم، قادتها للباب الرئيسي، ثم ترجلت منها بعد أن مركزتها لتصبح على خط مستقيم من ريتشر ويستوود، نظرت تشانج للمعادن الثقيلة وقالت: ما هية تلك الأشياء بحق الجحيم؟

وقد كان هذا سؤالًا جيدًا..

كانت معادن ضخمة وصدئة، على شاكلة نوافذ، بها أنابيب قصيرة، وتكون سياج معدني بدائي، ولم يكن لوجودها أي تفسير منطقي..

السياج الذي حطمه الحفار لم يكن من الخامة نفسها، لم تكن تلك المعادن مخصصة لبناء سياج..

ثم هتفت تشانج فجأة: يا إلهي، إنها أقفاص.

أسفل الأقفاص المعدنية وجدوا خطافات حديدية مسننة لتعليق البشر من أيديهم وهم واقفون، وأصفاد معدنية، ورباطات عنق جلدية كتلك التي يحيطون بها عنق العبيد ليجروهم منها.. أقنعة حديدية، مسامير، كماشات بها



بقع غامقة، قالت تشانج مبهوتة: تلك بقع دم!

صمتوا قليلًا، ثم نظر ريتشر خلفه حيث المنطقة التي يفترض أنها تضم غرف الانتحار وكرر: الجزء القادم تطوعي، ليس عليكم المجيء.

سارا معه في صمت، لغرف الانتحار..

الجناح كان ممتدًا من البيت الرئيسي ويماثل نصف حجمه، وهو مصمم من الرخام، السقف مائل للون البرتقالي الغامق بسبب الأمطار، لم تكن هناك نوافذ، وكان مُضاءً بالكهرباء.

- مستعدان؟

سألهم ريتشر.

- كلا.

قالتها تشانج بصوت خافت به نبرة هزيمة، تذكر ريتشر بحثهما سويًّا، وهي تنحني جواره فيما سبق لتبحث عن حرف الميم في دليل الهاتف، لمعرفة أن اسم مالوني يعني في الحقيقة مكاين، وبحثهما في غرفة كييفر، ثم تذكر الشحنات في مكتب سائق السيارة الكاديلاك، من ألمانيا واليابان، كاميرا تصوير الفيديو، والمستخدم باسم «الدماء» في غرفة المحادثة، والذي قال: إنه سمع أن «استراحة الأم» بها أشياء مثيرة للاهتمام، تحرك ريتشر للخلف، ثم للأمام وهشم الباب بساقه، دخل ريتشر..



كان هناك رائحة بالداخل أسوأ من رائحة الخنازير، أمامه وجد مطبخًا والعديد من زجاجات المياه، الباب على يمينه يخص دورة مياه، وعلاقة ملابس، سار ريتشر لباب آخر محكم الغلق وسألهم: مستعدان؟

- كلا.

هشم ريتشر الباب، ظلام مطبق بالداخل، الرائحة تزداد سوءًا، وصوت مساحة فارغة وضخمة، تحسس ريتشر الجدار، بحثًا عن قابس نور، وجده وأضاء الغرفة المظلمة..

ورأى المرأة ذات الفستان الأبيض..

لم تكن تتجه لحفلة حديقة في مونت كارلو..

لم تكن ذاهبة لحفل زفافها..

لم تكن متجهة لغرفة انتحار أنيقة حيث ستتناول النيومبوتال وتنام بهدوء للأبد..

لا شيء مما سبق..

لقد كانت مقيدة من معصميها بأغلال معدنية، ومعلقة لأعلى، قدماها تكادان تلامسان الأرض، ودماؤها في كل صوب، كانت ميتة، بعد أن ضربوها حتى الموت بمضرب بيسبول، المضرب كان ملقى على الأرض بجوارها، مغطى بدمائها، البقع الداكنة ذاتها في الأقفاص، الدماء تملأ شعرها، وجهها مشوه، أنفها مكسور، فستانها الأبيض مغطى بالدماء والقيء.. وأمامها كاميرا ومعدات تصوير،



وثلاث شاشات، وأضواء للتصوير، وأسلاك موصلة في الأجهزة، وهناك مكبرات صوت..

ثم وجدوا ورقة معلقة جوار الكاميرا، بها توضيح لما سيتم عمله، ورقم تم طباعته بعدما وصلت إليهم بالبريد الإلكتروني، من عميل، وكان مكتوبًا بها: أريد رؤية ساقطة متحكمة، تبدو كمديرة، أريد رؤيتها تموت ببطء، بمضرب بيسبول، ابدؤوا بساقيها، واجعلوا الأمر يطول قدر المستطاع، أريد سماعها تقول: آسفة يا روجر، أنا آسفة، مرارًا وتكرارًا، سأدفع مئة ألف دولار مقابل هذا.

تلك نوعية أخرى من العملاء، من موقع آخر يدعى «استراحة الأم» مثل الموقع الأول الذي يستدرج الضحايا، هذا ما رآه ويستوود على الشاشات، موقع يختص بعرض مقاطع الفيديو في الشبكة الخفية، فيديوهات حقيقية بأنواع مختلفة مثل: الموت من التضور جوعًا، وهذا كان الأغلى ثمنًا، لأنه يستغرق وقتًا، بعده فيديو بعنوان: طعن حامل بالمحراب، ثم فيديو: إطلاق الرصاص على المعدة، هناك قوائم مختلفة، بكل أنواع الضحايا، رجالًا، ونساءً، وعواجيزَ، ويافعينَ، وأطفالًا، ومتزوجينَ، حيث يتم قتل اثنين معًا، بَشَرَة غامقة، بيضاء، شقراوات، سود الشعر، ثم طرق القتل: طعن، تمزيق، ضرب، كهرباء، تجارب طبية، إطلاق رصاص، إغراق، خنق.

ثم تأتي المرحلة الخاصة، الطلب والتنفيذ حسب رغبة العميل، حيث يرسل العميل ما يريده بالتفصيل، والدفع



والتسعير بعد رؤية الضحية والاتفاق عليه أو عليها.

قالت تشانج بصوت حزين وخافت ومهزوم: انظروا لهذا.

آخر فيديو مضاف للمجموعة كان بعنوان: رجل نحيف، كل ضلوعه مهشمة..

كان هذا هو الرجل الذي قدم من القطار ببذلته وحقيبته..

هناك فيديو آخر بعنوان: صديقان تعسان والآن لديهما سبب حقيقي للتعاسة.

قالت تشانج: هذا مايكل وصديقه أليس كذلك؟

قال ويستوود: لندعهما باسميهما الحقيقين، تلك المقاطع، إنها أفلام قتل(1) أردف ويستوود: أقصر فيلم في هذه الأفلام مدته ساعتان، والأطول خمس ساعات، والأحدث تم نشره البارحة، ثم نظر للشاشة قليلًا قبل أن يقول: خمنوا عدد المقاطع المنشورة قبل اتصال مايكل مكاين بي؟

- مئتان.

- مئتان وتسعة.

- هناك فيديو بعنوان: الموت بألف طعنة هل تريدان رأيته؟

- كلا.



- أتخيل بم كانوا سيدعون اسمي؟ موت النصاب، لربما قتلوني طعنًا بالأقلام.

- كم من الوقت يستغرق الأمر للمنتحر أن يدرك حقيقة ما الذي سيحدث؟ فور دخولهم تلك الغرفة، أو عندما يشمون رائحة الموت، ويهددهم سائق الكاديلاك بالسلاح.

نظر ويستوود وتشانج لريتشر، الذي قال: لنذهب إليهم.

ساروا لخزانة الغرفة، قال ريتشر: لنربط باب الخزانة بالشاحنة الآن لتجره بعيدًا.

ثم أغمض عينيه إثر ألم برأسه، نظرت إليه تشانج متسائلة: أنت بخير؟

- في ظل الظروف الحالية، نعم..

ذهبوا للأمام حيثما توقعوا أن النفق سيكون أسفلهم، بالأبواب المزدوجة، ربطوا مقبض الخزانة بالشاحنة وقالت لريتشر: كيف سنفعل هذا؟

- خططي من أجل الأسوأ، هم مسلحون، منبطحون بالأسفل وينتظروننا، أو ربما هربوا.

ركب ويستوود الشاحنة وأدار المحرك، سألهم: الآن؟

هزت تشانج رأسها وكذلك فعل ريتشر، صمت ويستوود، ثم فعل مثلهما، انطلق ويستوود بالشاحنة وتهشم الباب لينفتح على مصراعيه أمامهم، أتى ويستوود مسرعًا، ونظر معهم للداخل، لم يكن هناك فتحة تقود لغرفة آمنة أو



نفق.



الفصل السابع والخمسون

لقد كان هذا فخًّا، بوابة زائفة للنفق، قال ريتشر: إنه خطئي، لم أفكر جيدًا.

- لا يفيد البكاء على اللبن المسكوب، علينا معرفة مكان الغرفة الآمنة.

قالها ويستوود فردت تشانج: كلا، علينا معرفة هل استخدموها بعد أم لا؟

أتتها الإجابة سريعًا، عندما سمعت صوت تعمير بندقية، ووابل من الرصاصات ينهمر باتجاههم، انحنوا أرضًا، وقال ريتشر: هم لا يعرفون مكاننا لكنهم على بعد أقل من مئة ياردة، ويؤمنون المكان.

انهمر وابل آخر من الرصاص، محدثًا ثقوبًا في الجدران تسللت منها أشعة الشمس، هم يقفون بالخارج ويرمون المنزل كله بالرصاص، كالفريق ألف (0) ، ظلوا منحنيين، من المستحيل رؤيتهم بالخارج، الجدران الخشبية تتهاوى مع وابل جديد من الرصاص، استغل ريتشر هذا وضرب أحد الجدران بساقه محدثًا فجوة، عبر منها، وبعده عبر ويستوود وتشانج، ووجدوا أنفسهم في الباحة الخلفية للبيت أمام حقل القمح، والحفار على بعد عشرين ياردة، أمامهم أستوديو التصوير الداخلي، الآخرون يقتربون ببنادقهم المصوبة أمامهم، وهل سيرونهم أم لا، من المحتمل أن يمر شخص دون أن يتم اكتشافه حتى لو كان يرتدي زي



غوريلا، لكن ثلاثة أفراد، هذا مستحيل... همس ريتشر لرفاقه: ابقيا هنا ولا تتحركا، سأعود من إليكما.

- تعود من أين؟

- المبنى.

- هذا جنون.

- كلا، انظري لموقعهم، إنها مسألة حساب، واحتمالات، أنا لست بأمان هنا ولا حتى بداخل المبنى.

- هذا جنون!

- هناك احتمالية أن أصاب بنوبة قلبية هنا كذلك، كل شيء محتمل.

- سوف آتي معك.

- حسنًا، لكن ويستوود سيبقى هنا، الحرب تتطلب رد فعل من جهة أخرى.

- وأنا تلك الجهة؟

- أنا أحاول أن أشعرك بالتحسن، أنت تفكر في حقوق كتابك.

- ليس بالضبط.

- في كل الأحوال، ابقَ هنا.

ذهب كل من ريتشر وتشانج للمبنى، وزحفا عائدين



للداخل، رصاصة أخرى مرت أمامهما فتوقفا وهمس ريتشر: هم يطلقون النار بشكل عشوائي، كل الأماكن سواسية بالنسبة لهما.

أغمض عينًا وفتح أخرى معتمدًا على أشعة الشمس المتسللة للداخل وهمس: علينا تحديد موقعهم، من مصدر الإطلاق، أريد مطاردتهم.

ثم نظر بدقة، انطلقت رصاصة أخرى وأردف هو: لقد رأيت أحدهم.

يتطاير الغبار من حولهم إثر الرصاصات.

- رأيت اثنين الآن، في اليسار خلف أستوديو التصوير، على مئة متر، هم يتبادلون الأدوار حين تنفد ذخيرة واحد منهم، ليعيد التعبئة، كرجال الصاعقة، أحدهم المزارع، لم يهرب، والآخر له شعر مصفف كالإعلاميين.

- هل نستطيع إصابتهما من موقعنا؟

- يمكننا إهدار خزانة رصاص لإخراسهم قليلًا، ثم نتحرك للركن الخاص بالأستوديو.

- وما الذي سنفعله بعد هذا؟ نتسلل من ركن لآخر؟ إنه طريق طويل والمبنى ملتف.

- سنخاطر ونستغل لحظة إعادتهم ملء الذخيرة.

- ليس جيدًا بما فيه الكفاية.



- أنت لن تحبي الخُطة الأخرى.

- نبرتك اعتذارية.

- سحقًا، بالتأكيد ستكون اعتذارية.

- ما هي الخُطة الأخرى؟

الألم يعاود رأسه، قال ريتشر: صفقة مع الشيطان، لن يكون الأمر سارًّا ولا آمنًا، يطلق أحدنا الرصاص ليغطي الآخر الذي سينطلق عدوًا..

أطلق ريتشر الرصاص أولًا، وجرت تشانج لأنها الأسرع، ارتكز ريتشر بين الباب المفتوح والمغلق وأطلق مرة أخرى، مصوبًا على الركن الأيسر من الأستوديو، لثوانٍ متتالية، انحنوا هم، لقد أخرسهم قليلًا، واصلت تشانج العدو، ثم احتمت هي في ركن وأطلقت الرصاص فبدأ ريتشر بالجري للأمام، وهو يعيد تعبئة رصاص سلاحه، ثم انضم لتشانج..

- مستعدة؟

لم ترد عليه، انزلقا من باب الأستوديو، حيث رائحة الموت والطبخ وزجاجات المياه، انتظرا، سمعا ضوضاء، أحدهم يتحرك في الركن، انتظرا، سمعا طلقة، في الاتجاه الخاطئ حيث يعتقدون هم أن ريتشر وتشانج لا يزالان هناك، تحرك ريتشر وتشانج لاصقين ظهريهما ببعض، مرَّا بدورة المياه التي كانت خالية، الأضواء الكهربية، المرآة



ذات الفستان الأبيض معلقة وميتة مكانها، انتظرا، وقد أصبح الصياد هو الفريسة الآن، سيحاولان النجاة حتى آخر لحظة، فكر ريتشر، كل الرجال الذين قتلوا وسرقوا كان لديهم غريزة نجاة قوية ورغبة قوية في الإفلات من العقاب، وسيرغبون في حماية ممتلكاتهم الثمينة كالكاميرات ومعدات التصوير، تلك هي غريزتهم، ربما سيدخل أحدهما، أو الاثنان؛ لذا انتظر ريتشر.

إنها الطبيعة البشرية..

دخل المزارع بيديه الكبيرتين وكتفيه العريضتين، ملابسه مغطاة بالطين، وهو يتلفت حوله بحذر، أطلق عليه الرصاص في جبهته، انتهت اللعبة، سقط المزارع جثة هامدة، لقد سمع الرجل الأخير ما حدث؛ ولذا سيهرب الآن؛ لأنه وحده، فريسة لمخاوفه البدائية، والآن لديه حرية أن يستسلم لتلك المخاوف دون شهود؛ ولأن المطاردات العسكرية كانت من اختصاص ريتشر، فقد جرى أولًا وخلفه تشانج، خلف الرجل الثامن.



الفصل الثامن والخمسون

قفز ريتشر من فوق جثة المزارع وهو يعدو خارج الأستوديو، مصوبًا سلاحه أمامه، نحو المرآب بجوار البيت لأنه يعلم مسبقًا أن هذا هو اتجاه هدفه، الطبيعة البشرية، سيحاول الهرب بالسيارة، وهذا هو مخرجه الوحيد، الخيار الآخر هو حقل القمح، رأوا الرجل الثامن يعدو من على بعد ستين مترًا، ينظر خلفه، ثم أمامه، بندقيته في يده، وصل للمرآب ونظر خلفه مرة أخرى، الرجل كان وحيدًا ومزرعة الخنازير من خلفه، وقف الرجل مكانه، بجانب السيارة، وهو ينظر، قالت تشانج: هل تستطيع إصابته من موقعك؟

لم يرد ريتشر، نظرت تشانج إليه لترى إن كان على ما يرام وسألته إن كان بخير.. أجابها: بنسبة تسعين بالمئة.

هكذا كان يشعر، لا توجد عظام مكسورة ولا جرح ينزف، لكنَّ هناك شيئًا مختلًّا في رأسه، وتذكر جملة الطبيب: «العقل البشري ليس كالذراع الآدمية».

- كيف سنفعلها؟

سألت تشانج، عد ريتشر في عقله، كم عدد الرصاصات التي أطلقها بالداخل وكم المتبقي معه؟

الذاكرة..

وقف ريتشر فجأة، فصوب الرجل الثامن بندقيته، تقنيًّا



تلك مخاطرة كبيرة، أي قناص جيد لن يخطئ التصويب من على مسافة ستين مترًا، ببندقية م ١٦، لكن الرجل الثامن لم يكن بقناص جيد، لقد أثبت هذا من قبل، في المبنى الصغير، والآن هو يجري، ويتنفس بصعوبة، صدره يتحرك بسرعة، قلبه ينبض بقوة، وقف ريتشر مكانه، وأطلق الرجل الثامن الرصاص..

أخطأ الرجل التصويب وشعر ريتشر بالرصاصة تمر بجواره، لتستقر في المبنى حيث الرجال الموتى، انحنى ريتشر مرة أخرى، وقال: عاجلًا أم آجلًا ستنفد رصاصاته.

- سيعيد التعبئة حينها.

- لن يكون سريعًا بما فيه الكفاية.

- تلك هي خطتك؟

- نعم، وأنت الخطة الاحتياطية.

- كيف؟

- اثنان أفضل من واحد، خصوصًا في حالتي الحالية.

- حالتك الحالية؟

- أنا لست بخير، لكني سوف أصمد.

- سأفعلها أنا إذن.

- لن أسمح لك.



- لماذا؟ لأني امرأة؟

ابتسم ريتشر وفكر في النساء التي عرفهن، ثم قال: كلا، سبب شخصي، ربما بحكم العادة.

- كيف سنفعلها؟

- سأجذب انتباهه، وسيخطئ في كل مرة، أعدك بهذا، وعندما تفرغ رصاصاته، سأطلق أنا الرصاص وحينئذ ستجري أنت بالقرب منه؛ ولذا لو لم أصبه ستقتلينه أنت.

- كلا، كلانا سيجذب انتباهه، سنفعلها معًا.

- لن يكون هذا بالأمر الفعَّال.

- لا أهتم سنفعلها سويًّا.

وقف الاثنان، الرجل لا يزال هناك، وقد قرر القتال بدلًا من الهرب؛ لأنهما حطما عمله، وكشفا أسراره، طبيعة بشرية، يقف وحيدًا بالبندقية وسرواله الجينز على بعد ستين مترًا، صوبت تشانج سلاحها بعين مغلقة، وقف ريتشر مكانه، بذراعين مفتوحتين ينظر للسماء، سلاحه في قبضته، كأنه يقول للرجل الثامن: أرني أفضل ما لديك.

أطلق الرجل الرصاص، بعدما صوب بحرص، وأخطأ الهدف، لم يصب أيًّا منهما، هنا ضغطت تشانج الزناد وأطلقت، ولكنها لم تصبه، تراجع الرجل، أطلقت تشانج مرة أخرى الرصاص، وانحنى الرجل، لم تصبه، تحركت أعشاب حقل القمح بهدوء، رفع الرجل بندقيته وصوبها،



لكنه لم يطلق الرصاص، همست تشانج متسائلة: هل نفدت رصاصاته؟

- لا أعلم.

ثم ابتسم وسألها: هل نشعر أننا محظوظان؟

ثم رفع سلاحه، ليطلق الرصاص قبل أن تنتابه نوبة دوار مفاجئة، اكتنفت جسده بالكامل وزاغت رؤيته، الأعراض كلها تحدث الآن، صعوبة في الحركة والتركيز، اضطراب في الرؤية والذاكرة، خلل في التحكم بالعاطفة والتفكير، أخفض ريتشر سلاحه وعاد منحنيًا.

ثم قال ببطء: علينا الاقتراب منه.

قدروا المسافة بينهما وبين الرجل، الذي كان يتراجع ببطء، يتنفس بشكل طبيعي، كان يتحرك للخلف صوب المزرعة، اقترب كل من ريتشر وتشانج حيث الرائحة الكريهة.

لكنها لا تزال أفضل من رائحة الأستوديو..

رفع الرجل بندقيته ثم خفضها مسرعًا، ووقف أمام السياج المهشم، ارتفعت الشمس في الجنوب..

اقترب ريتشر للأمام، وبمحاذاته تشانج، هنا ألقى الرجل بندقيته ورفع ذراعيه لأعلى..

في الحكايات يجب على الشرير خوض محادثة قصيرة مع البطل لمعرفة سبب موته، لم يقل له ريتشر شيئًا، هناك



الحكايات وهناك العالم الحقيقي، رفع ريتشر سلاحه، لكن الرجل تحدث مسرعًا: حياتهم كانت عديمة الجدوى، لقد تخلوا عن حقهم في الحياة وأرادوا الانتحار، وأنتم تعلمون هذا، لقد اتخذوا قرارهم بالفعل؛ وبالتالي أصبحوا وفق إرادتي، وقد حصلوا على ما يبتغون في نهاية الأمر، لقد ماتوا كما أرادوا.

- لا أعتقد أن هذا ما كانوا يريدونه لأنفسهم.

قالها ريتشر ببطء.

- لقد تعذبوا ساعة أو ساعتين مما لم يكونوا يريدونه، لكنهم حصلوا على الموت في نهاية المطاف.

- كم عدد الساعات الذي استغرقها الرجل الذي تضور جوعًا حتى الموت؟ أم أنها كانت امرأة؟

لم يرد الرجل الثامن..

- سؤال علمي واحد.

قالها ريتشر، ونظر إليه الرجل..

- أين جثثهم؟

لم يقل الرجل شيئًا، لكنه نظر بتلقائية، رد فعل غير تطوعي، للخنازير، وهمست تشانج: لقد أطعموهم للخنازير!

سأله ريتشر: لماذا قمت بدفن كييفر إذن؟

أجاب الرجل: الخنازير كانت قد أكلت بالفعل هذا



اليوم.

لم يقل ريتشر شيئًا، قال الرجل: أنا ألبي الاحتياجات فحسب، طلبات العملاء، أنا رجل أعمال، لا تستطيع لومي بسبب طلبات العملاء.

لم يقل ريتشر شيئًا.

أراح الرجل ذراعيه، لقد كان يريد حرية الحركة لكتفيه، وعنقه ورأسه؛ من أجل لغة الجسد، والإيماءات، للشرح، والتوسل، وتقديم العروض، كل الرجال الذين عرفهم ريتشر كانوا يؤمنون أنهم سيفلتون من عاقبة أفعالهم.

رفعت تشانج سلاحها، وراقبها ريتشر، عينان سوداوان، وشعر يطابقهما في اللون، عين مغلقة، والأخرى مفتوحة، وقالت: هذا من أجل كييفر..

مثل الحكايات، كان عليها إخبار الشرير بسبب مقتله، وأضافت تشانج: كان بإمكاني أن أكون محله

ضغطت تشانج الزناد، وانطلقت الرصاصة لتخترق عنق الرجل، وتخرج من مؤخرة عنقه مواصلة طريقها لحقل القمح، تحشرج صوت الرجل، وبصق دمًا، ولثانية تسمر مكانه، ينحني جانبًا فحسب، ثم تهاوى كل شيء مرة واحدة، وسقط أرضًا كسائل منسكب.

نظر ريتشر لتشانج وسألها: أين كنتِ تصوبين؟



- عنقه، قلبه، صدره، المناطق الحيوية.

ابتسم ريتشر وقال: لا شيء أفضل من المناطق الحيوية.

ذهب ريتشر وجر الرجل، ثم ألقاه داخل المزرعة، وأتت الخنازير عدوًا..



الفصل التاسع والخمسون

لم يستقلوا السيارة عودةً للبلدة؛ لأنهم لم يتحملوا فكرة الجلوس حيثما جلس هؤلاء الأشخاص؛ ولذا قاد ويستوود الحفار بهم عائدين، وكل من ريتشر وتشانج بجواره نصف واقفين، بينما يجلس هو في المقعد الوحيد ويقود، وصلوا لـ«استراحة الأم»، وأعطى ريتشر رجل المبيعات الذي سلمه الحفار خمسة آلاف دولار، ما يأتي بسهولة يهدر بسهولة، ذهبوا بعدها للبلازا، حيث الميدان والمتاجر، أشعة الشمس كانت دافئة على وجوههم، كان هناك صبي يلعب بكرة، يرميها صوب الحائط ويتستعيدها ليرميها مرة أخرى، ذهبوا لنزل البلدة، حيث اتصل ويستوود بالجريدة وحجز غرفًا عدة لزملائه المصورين الذين سيأتون لتغطية الحدث، كان هناك موظفة جديدة، فتاة مراهقة، حجزت له الغرف بكفاءة وسرعة، ثم ابتسمت لهم بوجه مشرق، سألها ريتشر: «لماذا تدعى تلك البلدة بـ«استراحة الأم»؟»

- ليس من المفترض أن أقول لكم.

- لماذا؟

- المزارعون لا يحبون هذا، لقد فعلوا ما بوسعهم لدفن تلك القصة.

- لن أقول لهم: إنك أخبرتنا.

- إنه تحريف من مصطلح هندي قديم، أرافو، كلمة



واحدة في الأصل، وتعني بالهندية: المكان الذي تقع به أشياء سيئة.

***

أعطى ويستوود مفتاح سيارته المستأجرة لتشانج وودعهما، سار معها ريتشر للمطعم حيث السيارة الحمراء..

قالت تشانج لريتشر: أنت كنت في طريقك لشيكاغو.

- نعم.

- أردت الوصول إلى هناك قبل حلول الشتاء.

- تلك كانت فكرتي، شيكاغو لطيفة في الشتاء.

- بإمكانك استقلال قطار السابعة مساءً، بعدما تتناول العشاء في المطعم، وتنام قليلًا في المقعد الخارجي، لقد رأيتك تغفو فوقه في يومك الأول هنا.

- لقد رأيتني؟

- كنت أتجول في الأرجاء.

- كما أخبرتك سابقًا أنا كنت في الجيش، بإمكاننا النوم في أي مكان.

- سأقود السيارة لأوكلاهما، وأتركها هناك، وسوف أستقل طائرة من هناك.

- أنا كنت في شيكاغو، ربما عليَّ الترحال لمكان آخر.



ابتسمت وقالت: اذهب وقم بزيارة ميلواكي.

توقف ريتشر مندهشًا، هذا المكان الذي كاد يقترح فكرة الذهاب إليه سويًّا للعطلة.. ثم قال لتشانج: تعالي معي.

- إلى ميلواكي؟

- ليومين، كنوع من العطلة، نحن نستحق إجازة ولو لمرة واحدة؛ لنفعل مثلما يفعل الآخرون.

صمتت تشانج قليلًا، لخمس أو ست ثوانٍ، ثم قالت: لا أريد إجابة دعوتك هنا في تلك البلدة، اركب السيارة..

ركب كلاهما السيارة، وقادتها تشانج مبتعدة عن المطعم، مرورًا بمتجر المنتجات الجافة، والقضبان الحديدية، ثم استدارت يسارًا، والطريق السريع أمامهما، وبجواره حقول القمح اللامتناهية، وانطلقت السيارة مبتعدة، حتى اختفت بعيدًا في الأفق.

***

النهاية



الهوامش

(31) في مجال تجارة الحبوب يُعَرَّف مُصطَلح رافعة الحبوب أنه عبارة عن برجٍ يحتوي على رافعة للدلو أو ناقل هوائي يعمل على جرف الحبوب من مستوىً أدنى وإيداعها في صومعة الغلال أو أي وسيلة أخرى.

(30) أغنية أطفال شهيرة تتميز ببدايتها البطيئة المتصاعدة التي سرعان ما تتحول للحن سريع وصاخب.

(29) في علم النفس يطلق مصطلح عقل السحلية على الجزء داخل العقل الخاص بالمواجهة أو الهرب.

(28) يشير المؤلف هنا للحدث التاريخي الشهير بتطور مدن الغرب القديمة؛ بعد بناء السكة الحديدية.

(27) تعبير معناه القيام بخطوة صغيرة للحصول على رد فعل قوي من الطرف الآخر.

(26) شركة أمريكية مصنِّعة بشكل رئيسي للأسلحة.

(25) يقصد المؤلف أن FOUR من أربعة أحرف.

(24) تعبير أمريكي يعني أن احتمالية الفشل الأقوى.

(23) اقتباس من رواية الفرسان الثلاثة للكاتب الفرنسي إليكساندر دوماس.

(22) حيوان اليربوع أو الجربوع حيوان ثديي يشكل الجزء الأكبر من أعضاء فصيلة اليربوعيات. اليرابيع قوارض صحراوية وثَّابة نظرًا لامتلاكها أرجلًا طويلة، وجدت في جميع أنحاء شمال إفريقيا وآسيا شرقًا إلى شمال الصين ومنشوريا. فهي تفضّل العيش في الصحارى الحارة.



(21) Deep web and surface web هي مصطلحات إلكترونية خاصة بالبرمجة.

(20) عقل السحلية هو مصطلح نفسي يطلع على الجزء في التفكير المنطقي المسؤول عن الأفعال الناجمة عن الغريزة أو الشعور بدلًا من التفكير العقلاني.

(19) رهان باسكال هو مجادلة فلسفية طرحها بلايس باسكال في القرن السابع العشر، ومضمونها أن البشر يقامرون بحياتهم حسب ديانتهم وإيمانهم بالحياة الأخرى.

(18) يقصد هنا الكتابة على شبكة الإنترنت.

(17) الكتلة والطاقة متكافئتان، وهذه النظرية يمكن تمييزها في المعادلة 2Emc المعروفة. وتعني هذه المعادلة أن الطاقة (E) تساوي الكتلة (m) مضروبة في مربع سرعة الضوء (c)، وهي تعني ببساطة أن المادة والطاقة شيء واحد. لكنها رغم ذلك نظرية عميقة لأن سرعة الضوء عبارة عن رقم ضخم، فوفقًا للمعادلة يمكن لمقدار صغير من الكتلة أن يتحول إلى مقدار ضخم من الطاقة.. على غرار القنبلة الذرية

(16) أي مطار ميناء السماء الدولي، ولكن بما أنه عنوان مكان يفضل كتابة الاسم بالشكل السابق.

(15) مثل شعبي ولكن ريتشر قام بتحريفه، كسر المرايات قد يجلب سوء الحظ لسبعة أعوام حسب الخرافة الشعبية.

(14) تعبير أمريكي معناه أن كل شيء متاح وقابل للتحقيق.

(13) في الملاكمة هناك ما يدعى بلحظة الحقيقة؛ أي المواجهة الأخيرة بين الملاكم وخصمه عندما يعرف أحدهما من سيسقط الآخر ومن هنا أتى هذا التعبير القتالي.



(12) عباءة، أو رداء طويل.

(11) اختبار كيميائي تحول لتعبير منتشر ويعني اختيار ناتج واحد من عدد من المرشحين عن طريق طرح سؤال يحتاج لإجابة بإثبات.

(10) وادي السيليكون منطقة تكنولوجية، وقرية ذكية تعج بالشركات، وتقع في جنوب سان فرانسيسكو.

(9) معادل قانوني كناية عن الدفاع عن النفس.

(8) المولي اسم منتشر في العامية الأمريكية كناية عن الحبوب المخدرة التي تغير المزاج وتسبب السعادة المؤقتة.

(7) نافخ الصفارة تعبير يعني الموظف الذي يعمل في مؤسسة عملاقة، أو الصحفي، الذي يكتشف مؤامرة أو جريمة ترتكبها منظمة كبرى، مثلما حدث في فضيحة ووترجييت عندما تم فضح الرئيس السابق نيكسون على يد اثنين من الصحفيين.

(6) نيمو هو اسم القبطان الشهير في روايتي: جول فيرن «الجزيرة الغامضة»، و»عشرون ألف فرسخ تحت الماء».

(5) خطبة شهيرة وطويلة أعطاها الرئيس لينكولن.

(4) أحد عشر حرفًا باللغة الإنجليزية، ولذا فهي كلمات طويلة في خطبة الرئيس لينكولن.

(3) مسدس من ضمن سلسلة مسدسات من صنع شركة بيريتا الإيطالية.

(2) مسدس من إنتاج شركة جلوك لمؤسسها جاستون جلوك التي تخصصت في صناعة السكاكين وبعض مستلزمات الجيش.



(1) Snuff fims: أفلام أسطورية في السوق السوداء، حيث يتم قتل وتعذيب الضحية أمام الكاميرا.

(0) مسلسل الفريق ألف من الثمانينيات عن فريق قوات خاصة يؤدون مهمات صعبة، وقد تحول لفيلم سينمائي في الألفية الجديدة.



من يستطيع قتل جاك ريتشر؟

"أمتع سلسلة روايات وشخصية روائية مستمرة"

الكاتب ستيفن كينغ

"أنا واقعة في غرام جاك ريتشر، كرجل وكقدوة في الحياة، لا أستطيع نفضه عن عقلي"

الكاتبة والناقدة لوسي مانجان

في هذه الرواية:

جريمة قتل، وحالات اختفاء غامضة.. بلدة صغيرة تحوي سرًا كابوسيًا صادمًا.. ورجل يدعى "جاك ريتشر" يوشك على دخول مغامرة لا مثيل لها..

منذ أن قام جاك ريتشر بزيارة تلك البلدة الصغيرة التي تدعى "استراحة الأم" وهو يشعر أن الجميع يراقبه، الجميع يريدونه أن يرحل، لنبدأ رحلة التشويق الخاصة ونحاول الإجابة عن تساؤلاته..

- من الذي يحاول قتل ريتشر وصديقته؟
- ما هو السر الغامض والرهيب الذي تخفيه تلك البلدة؟
- ما هو سر جملة "مئتا حالة موت" التي تركها أحدهم ملطخة بالدماء قبل اختفائه؟

• لقد قام مؤلف يدعى "أندي مارتن" بتأليف كتاب كامل عن أسرار وكواليس كتابة تلك الرواية الماثلة بين أيديكم من شدة قوتها.



لـي تشايلـد

"جيم غرانت" كاتب بريطاني من مواليد 1954، اشتُهر باسم "لي تشايلد"، وبسلسلة رواياته العالمية "جاك ريتشر" التي حققت أعلى المبيعات على مستوى العالم، كما كتب أكثر من 25 رواية وقصة قصيرة مذهلة، وتميز بقدرته على خلق حبكات سينمائية مثيرة وغامضة ونهايات درامية مفاجئة، حتى صار المؤلف الأكثر مبيعًا في مجال الجريمة والتشويق والإثارة.

تصميم الغلاف: كريم آدم


9 789778 063417



